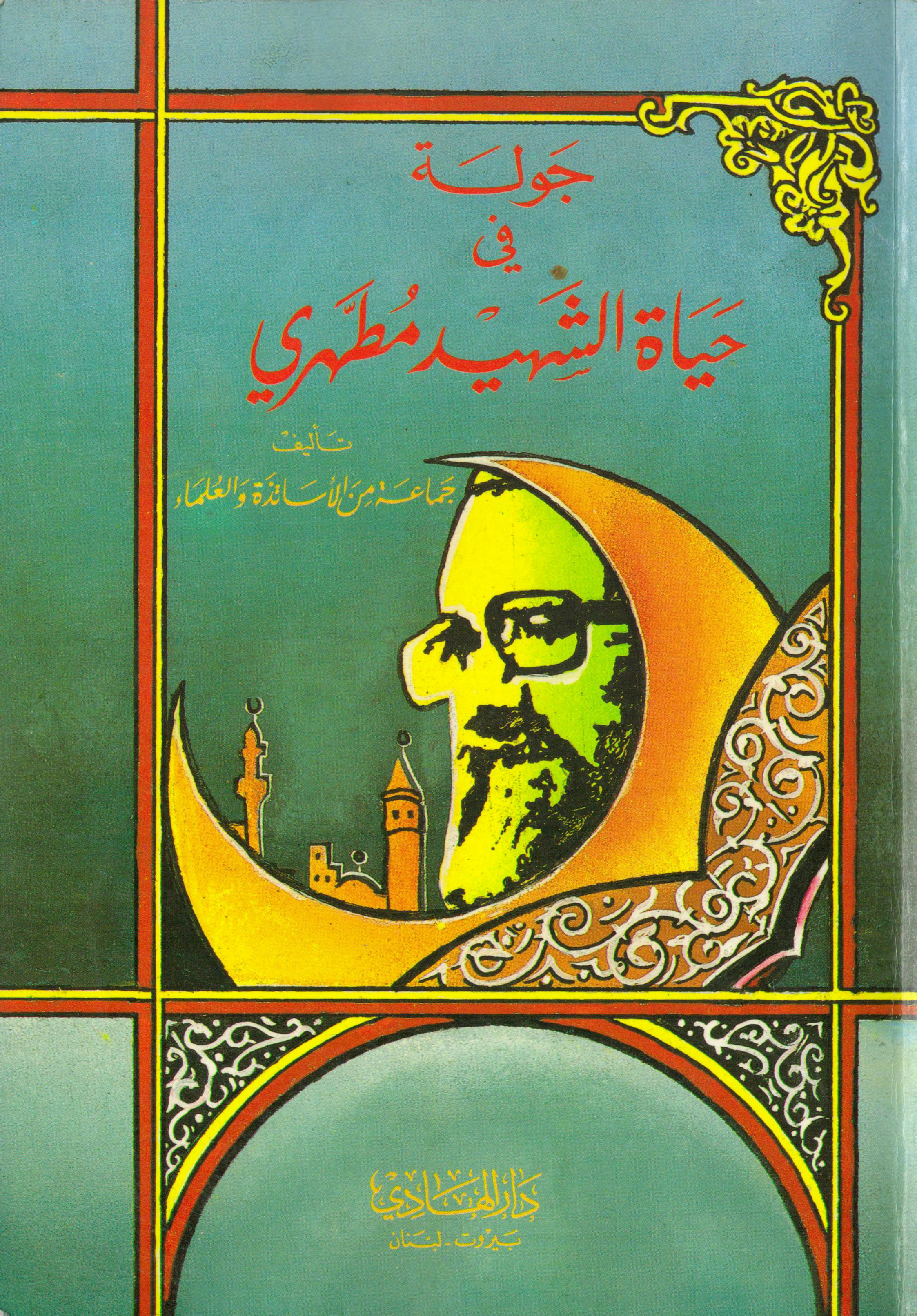


جولة
في
حياة الشهيد مطهّري
تأليف
جماعة من الأساتذة والعلماء
دار الهادي
بيروت - لبنان



جولة
في
حياة الشهيد مطهري

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: ٢٠٧٧٧MCS - ٢٢٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

جولة في حياة الشهيد مطهري

تأليف

جماعة من الأساتذة والعلماء

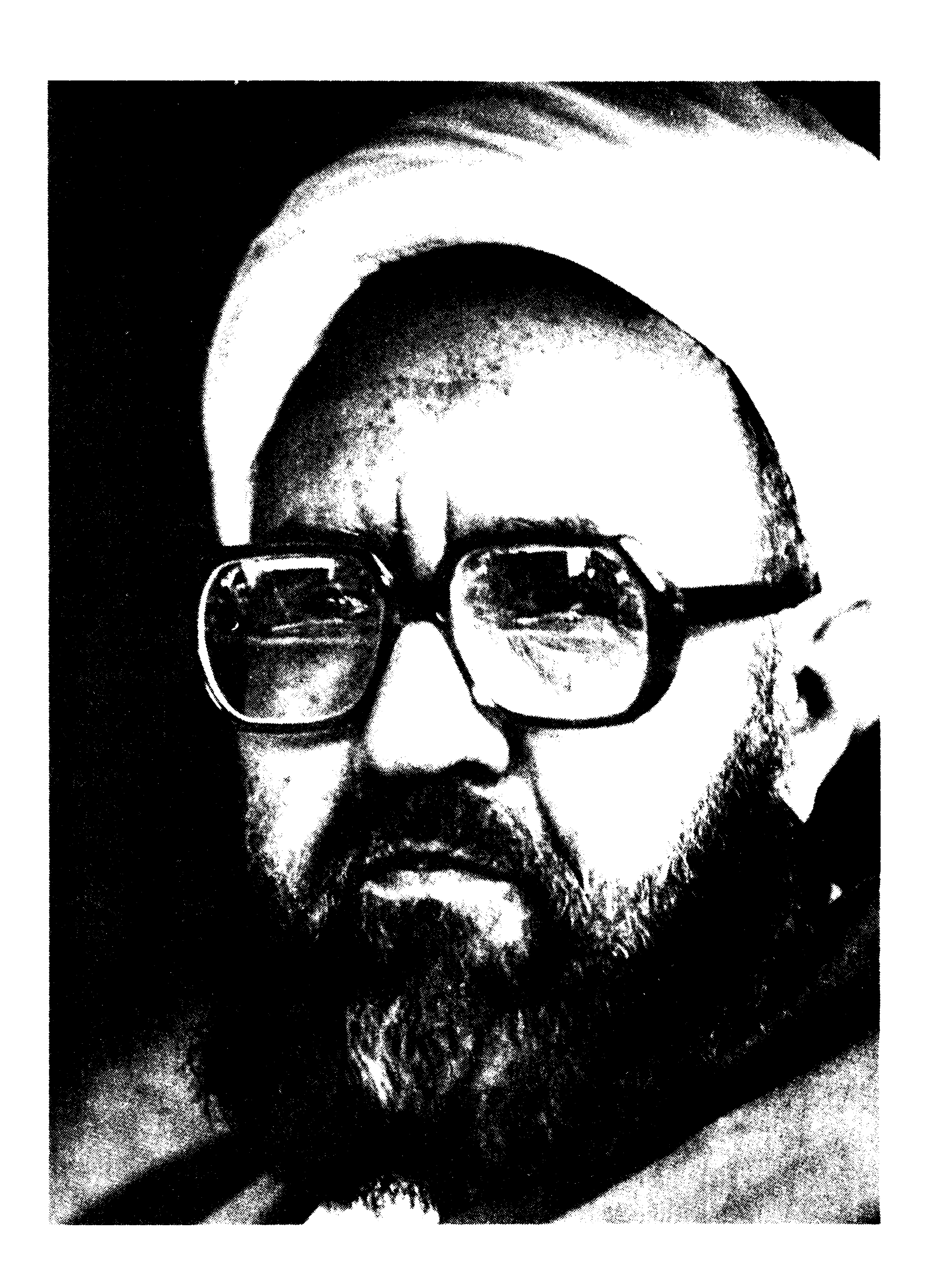
ترجمة

لجنة الهدى



بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم



الفصل الأول

جولة في حياة الشهيد المطهري

الاستاذ المطهري كما يراه : -

* الإمام الخميني (قدس)
* آية الله الخامنئي
* حجة الإسلام الرفسنجاني
* آية الله الموسوي الأردبيلي



الامام الخميني :

« إنني أُعزّي وأُهنّىء الإسلام والأولياء الكرام والأمة الإسلامية وخاصة الشعب الإيراني المجاهد بمصابهم المؤسف بالشهيد الجليل المفكر الفيلسوف والفقيه ذي المقام السامي المرحوم الحاج الشيخ مرتضىٰ المطهري ـ قدس سره .

أما العزاء فباستشهاد هذا الرجل الفذّ الذي قضىٰ حياته الكريمة المباركة في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة ومجاهدة كافة الأفكار المنحرفة والانحرافات ، وهذا العظيم عزّ مثيله في عمق معرفته بالإسلام ومعارفه المختلفة وتفسير القرآن الكريم ولقد فقدتُ ابناً عزيزاً وقد فُجعتُ بوفاته فهو من الشخصيات التي أعتبرها ثمرة حياتي .

وقد ثُلم في الإسلام العزيز باستشهاد هذا الابنِ البار والمفكر الخالد ثلمةً لا يسدها شيءُ .

وأما التهنئة فلأننا نحظىٰ بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون بأنفسهم ويشعّون بالنور في حياتهم وبعد وفاتهم . . .

وإني وإن كنتُ قد خسرتُ ابناً عزيزاً كان كبضعةٍ منّي ، ولكني أفتخر بأنه كان للاسلام ـ وسيكون ـ مثل هذا الابن المجاهد[1] .

« . . . إنني لا أستطيع وأنا علىٰ هذه الحالة[2] إظهار مشاعري وعواطفي تجاه هذه الشخصية العزيزة ، ولكني أقتصرُ علىٰ القول بأنه أسدىٰ إلىٰ الإسلام والعلم خدمات جليلة . . . »[3] .

« . . . كان المطهري ابناً عزيزاً وعماداً منيعاً للحوزات الدينية والعلمية وخادماً مخلصاً للشعب والوطن . . . »[1] .

« . . . لقد خلّف هذا الشهيد المُطهّر ـ ورغم قصر حياته ـ من الآثار الخالدة ما يشع نوراً من فطرة نقية وروح متأججة عشقاً للهدف المقدس ، لقد كان معلماً ومربياً للمجتمع ينطق بلغة يفهمها الجميع فيوضح المعضلات الإسلامية والحقائق الفلسفية ببيانٍ قوي وفكر قويم دون اضطراب أو قلق ، وكل ما خلفه من آثار ـ دون استثناء يفيضُ بالعلم ويربي الروح . . . ومواعظه ونصائحه التي كان يبثّها من قلبٍ مفعم بالإيمان ينتفع بها الخاصة

(١) من بيان الامام الخميني بمناسبة استشهاد المطهري بتاريخ ١٢، ٢، ١٣٥٨ (هـ. ش) ٥/ جمادى الثاني/ ١٣٩٩ هـ. ق.

(٢) كان الإمام في حينها يرقدُ في مستشفىٰ القلب في طهران إثر نوبةٍ قلبية حادّة.

(٣) من بيان الإمام الخميني بمناسبة الذكرىٰ السنوية الأولىٰ لاستشهاد العلامة المطهري.

(٤) المصدر نفسه. ٢٢٤.

والعامة . . . »[1] .

« . . . إنني أُوصي الطلاب الجامعيين والمثقفين المؤمنين أن لا يسمحوا لمؤامرات أعداء الإسلام بأن تودع كتب هذا الأستاذ العزيز في مطاوي النسيان . . . »[2] .

« . . . لقد غاب عنّا المطهري الذي قلّ نظيرُهُ في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان والتحق بالرفيق الأعلىٰ ، ولكن ليعلم الأعداء أنهم لن يستطيعوا قتل شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية ، وليعلم القتلة أنعم أعجزُ من اغتيال الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام . . . » .

« إن من كل شعرة لشهيد وكل قطرة تروي الأرض من دمه سيُولد مجاهدٌ قويُّ العزيمة . . . إن الشعب الذي انتفض بالتوكل علىٰ الله وإحياءً للإسلام لن يتراجع بسبب هذه المساعي اليائسة ، فنحن مستعدون للشهادة في سبيل الله . . .

أسأل الله تعالىٰ لابن الإسلام العزيز الرحمة والغفران وللإسلام العظمة والعزة . . . سلام على شهداء طريق الحق والحرية . . . »[3] .

---

(١) من بيان الامام في الذكرىٰ السنوية الثانية لاستشهاد المطهري .
(٢) من بيان الإمام في الذكرىٰ السنوية الأولىٰ لاستشهاد المطهري .
(٣) من بيان الإمام الخميني بمناسبة استشهاد العلاّمة المطهري .



سماحة آية الله الخامنئي :

قلّما نجد عالماً مثل الأستاذ الشهيد المطهّري ينشطُ في العمل بكل تلك الكفاءات السامية فكرياً وروحياً بحيث يمكن اعتبار كلِّ محاضرة من محاضراته نتاجاً تحقيقياً قيّماً ، ولذلك فإنَّ تراثه الفكري ومبانيه ونهجه الفلسفي حريٌ بأن تُجرىٰ بشأنه الكثير من التحقيقات .

إن نتاجات الأستاذ الشهيد المطهري تشكل الأساس الفكري لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران ، وإذا أردنا لهذا الأساس أن يترسّخ في أذهان الجماهير وتستمر حركتها الثورية فيجب أن نعمل علىٰ ترويج أفكار الأستاذ الشهيد المطهري بينهم وهذا ما هو حاصلٌ بالفعل بدرجةٍ ما .

والأستاذ الشهيد المطهري هو بحق التلميذ الكفؤ لإمام الأمة الخميني ،

وهو من نوادر عصرنا حقاً فهو يمثـل عصارة الأفكـار الإسلاميـة العميقة لـلإمام الخميني .

حجة الاسلام
الهاشمي الرفسنجاني :

كانت للأستاذ المطهري نشاطاتٌ في السوق والجامعات والحوزات الدينية إذ كان قادراً علىٰ تلبية احتياجات مَنْ فيها .

ويمكن من ملاحظة كتاباته ومحاضراته ، معرفةُ أن الأفكار قد انتظمت في ذهنه بصورةٍ جيدةٍ للغاية بفضل التفكر العميق .

ولو كان الأستاذ المطهري حيّاً لاستطعنا إنشاء أكبر جامعة إسلامية في التأريخ ولهذا فقد أُصبنا بضربة كبرىٰ بفقدانه ولو حدث لا سمح الله أن دُفنت آثاره في المكتبات للحقت بنا خسارة عظمىٰ .

علينا استثمار كل فرصة للانتفاع بأفكار الأستاذ المطهري وتجسيدها للجماهير من خلال أفلام ومسرحيات وتمثيليات وقصص قصيرة وغير ذلك وكلها تشكل في الحقيقة مكتبة كبرىٰ .

آية الله الموسوي الأردبيلي : -

يعتبر الشهيد المطهري (رحمة الله عليه) من تلك الثلة النادرة من الشخصيات التاريخية ، ويمكن القول إنّ نظائره قليلون ليس في عصرنا الحاضر ، بل في العصور السابقة ؛ لقد كانت له أفكار عميقة سامية تستند إلىٰ أسس علمية متينة ، كان عالماً نقاداً مقتدراً وذا فكر عميق وفي الوقت نفسه عاملاً نشطاً ومخلصاً .

كان معلماً للأخلاق ، وللفلسفة والتفسير ، وللعرفان وللقضايا الاقتصادية الإسلامية ولقد ساهم بقسط وافر في تقدم مسيرة النهضة والثورة .

وحقّاً لقد فقدنا بفقدهِ أمّةً وعالماً وذخيرة عظيمة ، ولو كان المطهري حيّاً خلال هذه الأعوام من عمر الثورة لعرف العالم أيَّ خططٍ عظيمة وأي توجيهات صائبة وخدمات جليلة كان سيسديها للثورة .

المطهري ...
في حديث المطهري

١ : توجهي للحوزة

في الأعوام (١٣٥٥ ـ ١٣٥٦ هـ .ق) ، كنت طفلاً أعيش في خراسان ، والذين أدركوا حوادث تلك الفترة يتذكرون أنه لم يكن يُوجد في كل أنحاء خراسان أكثر من اثنين أو ثلاثة « معمّمين » ، فالشيوخ الذين تجاوزوا الثمانين عاماً والحوزويون الذين تجاوزوا الستين والسبعين عاماً والمجتهدون ومدرسو الحوزة أصبحوا جميعاً آنذاك يرتدون « الطاقية » بعد أن نُزعت عمائمهم ، لقد أُغلقت أبواب المدارس الدينية وحتى أبواب المساجد كانت مغلقة في واقع





الأمر وإن بدت علىٰ غير ذلك ، ولم يكن هناك مَن يصدّق أن الحياة ستعود للدين .

في تلك الأحوال الصعبة ـ وعندها كان عمري في حدود ١٥ أو ١٦ عاماً ، لم أكن أقنع سوىٰ بالتوجه لطلب العلوم الدينية ، وكانت تترسخ هذه القناعة ، كلما فكرت في الأمر .

في ذلك الوقت لم أكن أفكر فيما يعنيه هذا القرار في تلك الأحوال ، كنت في الخامسة عشر عاماً عندما ذهبت إلىٰ مشهد ثم عدت ثانية إلىٰ بلدتنا وكان الحال فيها أشد من غيرها ؛ فوالدي العالم الحوزوي الذي تجاوز العقد السابع من عمره ، سحبوه بالقوة وأنزعوه زيّه الحوزوي عنوة وألبسوه الـ (طاقية) فعاد إلىٰ المنزل عبر السطح ، ولكونه كان يلتزم ارتداء زيِّه الحوزوي فلم يكن يخرج من المنزل ، أما أنا ورغم كلِّ ذلك فقد كنت مصرّاً وبعناد كامل علىٰ الذهاب إلىٰ حوزة قم التي كانت حينذاك تضم عدداً قليلاً من الطلبة « في حدود الأربعمائة » .

والدتي كانت تصر بدورها علىٰ عدم ذهابي إلىٰ قم لأنها كانت لديها « أفكارٌ ما » وكانت تريدني أن أبقى في البلدة ، ولذلك أوكلت إلىٰ شقيقها « خالي » مهمة إقناعي بالانصراف عن فكرة الذهاب إلىٰ قم ، وكان خالي يكبرني بحدود العشرين عاماً ومن حملة العلوم الدينية أيضاً ؛ وحاول إقناعي بالانصراف عن فكرتي تلك مراراً فكنت أرفض الاقتناع وفي ذلك دليل علىٰ أن الإسلام حق ، إذ وفي الوقت نفسه الذي كانت تُقطّع فيه ملابس كبار السن من الحوزويين ويجبرون علىٰ ارتداء « الطاقية » ، في هذا الوقت نفسه ينبري فتىٰ في الخامسة عشر مصراً علىٰ التوجه لطلب العلوم الدينية !!

* * *

٢ : تساؤلات داخل الحوزة

كنت في الثالثة عشر من العمر ـ علىٰ ما أتذكر ـ عندما بدأت هذه التساؤلات وتفاعلاتها تظهر عندي ، ظهرت فيَّ حينها حساسية عجيبة تجاه القضايا المتعلقة بـ « الله » ، فالأسئلة تهجم علىٰ ذهني تترىٰ ـ وبالطبع بما يتناسب مع مستواي الفكري آنذاك ـ في السنين الأولىٰ التي أعقبت هجرتي إلىٰ قم كنت غارقاً في هذه الأفكار وأنا لم أكمل بعد دراسة مقدمات علوم العربية ، وظهرت فيّ آنذاك نزعةٌ حادة للعزلة فلم أعدْ أتحمّل حتىٰ وجود زميلي في غرفة المدرسة ، ولذلك استبدلتُ الغرفة الجيدة في الطابق الثاني من المدرسة بغرفة صغيرة أو نصف غرفة أشبه ما تكون بالمخزن ، لأستطيع فيها الخلوة بأفكاري تلك ، ولم أكن حينها أرغبُ في التفكير ـ خلال ساعات الفراغ من الدرس والمذاكرة ـ بأيٍّ موضوع آخر ، وواقع الأمر كنت أُقيّم الطريق الذي اخترته لاتجاه حياتي ، كنتُ أُسائل نفسي ، هل كان من الأفضل لي اختيار هذا النوع من العلوم للدراسة ، أم اختيار فرع ما من العلوم الجديدة ؟!

نظراً للحالة المعنوية التي كانت لديّ ونظرة الاحترام التي كنت أنظر بها للإيمان والمعارف المعنوية ، فإن أول ما خطر في ذهني للإجابة علىٰ هذا السؤال هو تساؤلٌ مقابل عن الحالة المعنوية التي كنت سأصبح عليها لو اخترتُ طريقاً آخر ؟! ، لقد كنت أرىٰ أنه باختياري لهذا الطريق امتلكت اعتقاداً قوياً

جازماً بأصول التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة وغيرها ، وكنت أعتزّ بذلك ، وأتساءل مقابل ذلك هل كنت سأصل إلىٰ ذلك لو اخترت فرعاً من فروع العلوم الحديثة كالعلوم الطبيعية أو الرياضية أو الأدبية ؟!

كنت أجيب علىٰ هذه التساؤلات بأن الإيمان والاعتقاد بهذه الأصول بل وأن الروحاني الحوزوي الحقيقي لا ينحصر سبيل الوصول إليه بالدراسة في فرع العلوم القديمة ، فكثيرون هم الذين حرموا من هذه الدراسة لكنهم يتمتعون بإيمان قوي جازم وبتقوى حقيقية وأحياناً يصبحون حماة ومبلّغين للإسلام علىٰ الرغم من تخصّصهم في علوم أخرىٰ ؛ إلا أن لهم قراءات إسلامية بدرجة أو بأخرىٰ ، وكان من المحتمل أن أحصل علىٰ إيمان أقوىٰ مما حصلت عليه الآن لو كنت قد اخترت إحدىٰ تلك الفروع العلمية .

في تلك الأيام كنتُ قد تعرّفت حديثاً علىٰ علوم الحكمة الإلهية الإسلامية ، ودرستها عند أستاذ لم تنحصر مهارته فيها بحفظ سلسلة من الأمور الظاهرية وخلافاً لما تدعيه الأكثرية الغالبة لمدعي الحكمة الإلهية ومدرّسيها ، فقد تذوّق هذا الأستاذ حقاً المعارف الإلهية الإسلامية وأدرك أعمق أفكارها وكان يشرحها بأفضل بيان ، وتعتبر هذه الأيام من أيام عمري التي لا يمكن أن أنساها ولن أنسىٰ خاصة تلك الدروس العميقة اللطيفة لذاك الأستاذ .

في تلك الأيام تعلّمت المقدمات الكاملة للقاعدة المعروفة : « الواحد لا يصدرُ منه إلا الواحدِ » ، وفهمتها بالصورة التي يفهمها بها الحكيم الإلهي ـ على الأقل وفق ما تصورت أنا ـ ، كنت أنظر بعين العقل إلىٰ نظام الخلقة وسننه الثابتة ، وحينما كنتُ أتساءل كيف تلاشت أسئلتي العريضة دفعة واحدة ؟! وكيف كنت أفهم تلك القاعدة الثابتة التي تعتبر الأشياء كافة خاضعة لنظام ثابت لا تبديل له ، فلا أرىٰ تناقضاً بينها وبين مبدأ « لا مؤثر في الوجود إلا الله » ، بل أراهما مقترنين بائتلاف : فهمت عبارة « الفعل فعلُ الله وهو فعلنا » ولا أرىٰ من تناقض بين شطريها ، لقد حلّت بالنسبة لي معضلة : « الأمر بين

الأمرين » ، وأثّرتْ فيّ كثيراً توضيحات صدر المتألهين حول طريقة ارتباط المعلول بالعلة واستفادته منها في إثبات قاعدة : « الواحد لا يصدر منه إلا الواحد » .

وخلاصة الأمر : تشكّل في ذهني مخططٌ أساسي مثّل الأرضية المناسبة للإجابة علىٰ أسئلتي ضمن فهمٍ شامل لقضايا الكون والحياة ، وبفضل إدراكي لهذا الموضوع ومواضيع أخرىٰ مماثلة آمنتُ بأصالة المعارف الإسلامية ، واستشعرت بعظمة المعارف التوحيدية الواردة في القرآن الكريم ونهج البلاغة وقسم من أحاديث وأدعية الرسول الأكرم وعترته الأطهار (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) .

في تلك الأيام فكّرت وتوصّلت إلىٰ أنني لو لم أكن قد اخترتُ هذا المسلك ولم أحظ بفيض درس ذلك الأستاذ ، فمن المحتمل أن يكون وضعي مادياً ومعنوياً قد أصبح أفضل مما هو عليه الآن ، ولكنت قد حصلت علىٰ ما لديّ الآن أو ما هو أفضل منه ولكن الشيء الوحيد الذي لم أكن سأحصل عليه ولا علىٰ ما يقوم مقامه من خلال أي طريق غير المسلك الذي اخترته ، هو ذلك المخطط الفكري الأساسي والنتائج التي أثمرها ، وما زالت اليوم أيضاً لديّ هذه القناعة .



« اساتذة الاستاذ »

(شعر مترجم) :

« لا تَسِرْ في وادي العشق دونما دليل فقد ضلت قدم من لم يجد فيه قائداً »

يقول الأستاذ المطهري في دفتر ملاحظاته رقم ٨٩ :

« إن أحد أسرار عدم النجاح في تزكية النفس هو أن التعليم الأخلاقي السائد بيننا هو بصورة تدريس وليس بصورة تربية وعلاج . . . » .

وحسب ما يقوله مشايخنا فإن الاحتياج إلىٰ معلمٍ ومرشد أمرٌ واضح في حياة نبي الله موسىٰ (عليه السلام) ، ففي البداية جاء الأمر إليه (عليه السلام) ليذهب إلىٰ خدمة شعيب النبي ويقضي في محضره عدة سنين ، ليتأهّل للدخول إلىٰ الوادي المقدّس والاستماع لنداء « إنّي أنا الله » .

(شعر مترجم) :

قد يصل راعي الوادي المقدس إلى مقصوده

ولكن شريطة أن يذهب ليضع روحه أعواماً في خدمة شعيب

وفي آخر المطاف وعندما يتحول إلىٰ قدوة وصاحب التوراة يُكلّف بتعلم

العلم اللدني من الخضر (عليه السلام) .

(شعر مترجم) :

لا تقطع هذه المرحلة من الطريق دون رفقة (الخضر) (ع)
فهناك ظلمات وأخطار الضلال تكمن لك في الطريق

لقد حَظِيَ أمر الاحتياج إلىٰ المربي والمرشد لعلاج الأمراض الروحية والفكرية وبناء شخصية الانسان ـ بالصبغة الرسمية بين الصوفية فقط ـ ويمكن في هذا المجال مراجعة رسالة « الولاية » للملا سلطان علي و « بستان السياحة » للملا زين العابدين الشيرواني وهو من مشايخ الملا سلطان ـ عبر واسطة ـ.

ويقول الامام السجاد (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق :

« . . . ووفقني لطاعة مَنْ سددني ومتابعة مَنْ أرشدني » .

والأستاذ المطهري هو من الشخصيات التي حظيت بهداية العلماء الربانيين والمربّين الإلهيين : ولقد سعىٰ بكامل الإخلاص في تهذيب النفس وتزكيتها وأعانه الله تعالىٰ علىٰ ذلك بإيصاله إلىٰ الأساتذة الربّانيين الذين استطاع من خلال صحبتهم طيَّ مراحل السير والسلوك ووصل بإرشادهم إلىٰ وادي عشق الأرواح : ﴿ **الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . .** ﴾ العنكبوت / ٦٩ .

وهنا يكمن سر ما نراه في حياة الشهيد المطهري المباركة من دوام ذكره تعالىٰ وفوزه في ختامها بالشهادة ولقيا عشقه الحق تبارك وتعالىٰ .

ويُفهم من كتابات الأستاذ الشهيد أن والده التقي الجليل الذي كان من أولي القلوب الحية ومن المجتهدين المواظبين علىٰ التهجّد في الأسحار ، هو الذي وضع الأساس الأول لشخصية ولده الربانية ، وبعده انتفع المطهري من فيوضات أحد عشر عالماً من الربانيين هم آيات الله العظام :

١ : محمد تقي الخوانساري .

٢ : حجة الكوه كمري .

٣ : السيد صدر الدين الصدر .

٤ : السيد محمد الداماد .

٥ : الميرزا مهدي الآشتياني .

٦ : السيد حسين البروجردي .

٧ : الميرزا علي الشيرازي .

٨ : العلامة الطباطبائي .

٩ : السيد أحمد الخوانساري .

١٠ : السيد محمد رضا الگلبايگاني .

١١ : الإمام الخميني .

وحسب ما يصرّح به الأستاذ المطهري مراراً فإن أربعة من هؤلاء العظماء قد ساهموا بدور مؤثر في بناء شخصيته ، ولنقرأ ما يتحدث عنه بنفسه عن هؤلاء الأربعة إضافة إلىٰ والده :

الشيخ محمد حسين المطهري :

« هناك لذائذ معنوية ترفع الجانب المعنوي فينا ، فلصلاة الليل لذة خاصة بالنسبة لمن كان من أهل التهجد وصلاة الليل ومن الصادقين والصابرين والمستغفرين بالأسحار .

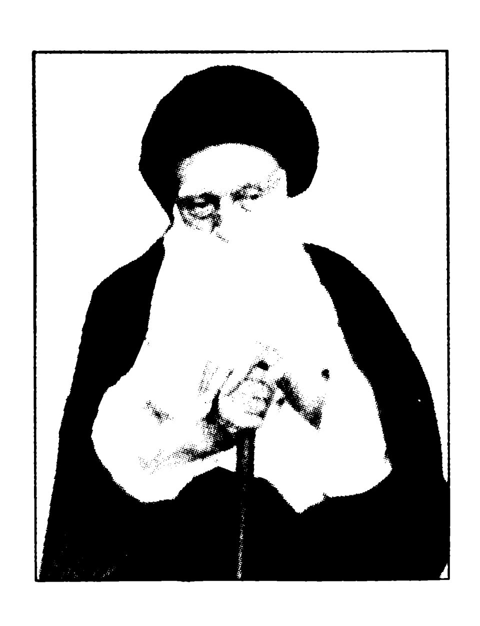
والذين لهم مثل هذا التوفيق ـ وقد رأينا هكذا أشخاص ـ لا يولون أهمية للذائذ المادية التي تعلقت بها قلوبنا ، ولا ضير هنا أن أذكر شيئاً من نفحات



والدي العظيم :

فـإلىٰ المدىٰ الـذي أستطيـع أن أتذكـره « ما لا يقـل عن أربعين ساعـة تصرمت » لم أكن أرىٰ هذا الرجل العـظيم النبيل يؤخـر ساعـة نومـه عن وقتها المحدد الثابت ـ بعد ثلاث ساعات من صلاة المغرب ـ ، يتناول طعام العشـاء في أول الليل وينام بعد ثلاث ساعات منه ، ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين علىٰ الأقل في الأيام العادية وفي ليلة الجمعة بثلاث ساعات ، فيتلو من القرآن ما لا يقل عن جزءٍ كامل ، ويقيم صلاة الليل بقلبٍ خالٍ من التعلقات ، لقد تصرّم من عمره الآن مائة عام ولم أره يوماً في نومٍ مضطرب ، وإنما هي اللذة المعنوية التي حفظته في هذه الحالة . . . لا تمر ليلة دون أن يدعو لوالديه ويدعو كذلك لزوجة والده التي كان يحبها كثيراً ويقول إنها كانت تعتني به وترعاه كثيراً ، ولا تمر ليلة دون أن يذكر بدعائه جميع أرحامه ومَنْ له حق عليه قريباً كان أو بعيداً ، وهذا هو الذي يحيـي القلب .

وعلىٰ الإنسان الذي يُريد الوصول إلىٰ هذه اللذائذ الإلهية العميقة عليه أن يقلل من اللذائذ المادية »[1] .



اية الله العظمى
السيد حسين البروجردي :

« كان آية الله البروجردي أعلىٰ الله مقامه فقيهاً حقيقياً ، أنا لم أعتد علىٰ تمجيد شخص في حياته ، ولم أقم بذلك تجاه هذا العظيم عندما كان حيّاً ولكن وحيث قد رحل ولم تعد هناك شبهة مطمع في الأمر أقول إنَّ هذا الرجل كان بحقٍّ فقيهاً ممتازاً وشاخصاً محيطاً متسلطاً علىٰ جميع اختصاصات العلوم الدينية تفسيراً وحديثاً ورجالاً ودرايةً وفقهاً وعلم الفرق الإسلامية »[2] .

« قبل مجيئه إلىٰ قم ، كنت أصل إلىٰ خدمته عن قرب حيث ذهبت إلىٰ مدينة بروجرد للتشرف بخدمته ، كان رجلاً تقياً حقاً وموحداً صادقاً ، لا تقولوا إنّ كل مَنْ أصبح مرجعاً للتقليد فهو موحدٌ بداهةً !! فالتوحيد له مراتب أيضاً ،

---

(١) كتاب (الحق والباطل) للاستاذ المطهري، ص ١٧٠ ـ ١٧٢، الطبعة الفارسية.

(٢) (المقالات العشرة) للشيخ المطهري ـ بالفارسية ـ ص ٩٩.

ولمراجع التقليد درجات في التوحيد أسمىٰ بكثير من درجاتنا فيه ، ولكنني عندما أقول كان البروجردي موحداً فمعنىٰ ذلك أنه كان علىٰ درجة سامية للغاية من التوحيد كان معها يستشعر ويلمس مصاديق ومظاهر التوحيد في كافة شؤون حياته ، كانت له ثقة عجيبة بالألطاف الغيبية وتوكلٌ قوي علىٰ الرعاية الإلهية »[1] .



المرحوم الحاج الشيخ ميرزا علي الشيرازي :

« أذكر أستاذي العالم الجليل المرحوم الشيخ الحاج ميرزا علي آقا الشيرازي أعلا الله مقامه ، فهو من أعظم الشخصيات التي تعرفت عليها طوال حياتي وهو بحق نموذج للزهّاد والعبّاد وأهل اليقين يذكرنا بالسلف الصالح الذين قرأنا عنهم في التاريخ .

في صيف عام (١٣٦٠ هـ.ق) ذهبت من قم إلىٰ أصفهان وتعرفت علىٰ هذا العظيم لأول مرة فيها وانتفعت من فيوضات محضره ، وهذه المعرفة تحولت فيما بعد إلىٰ حبٍّ وتعلقٍ شديد من قبلي به ورعاية والطاف ومودة أبوية من قبله تجاهي .

---

(١) (المقالات المعنوية) للشيخ المطهري ـ بالفارسية ـ ص ٢٠١ .

. . . ووجدتُ نفسي في قبال رجل من أهل التقوىٰ هو بحق ممن ينبغي أن تُشدَّ إليه الرحال ـ حسب الوصف السائد في الحوزة ـ[1] .

. . . إنني أُعدّ حضوري لديه إحدىٰ الذخائر الثمينة من عمري بحيث لا أرضىٰ أن أعوض عنها بشيء أبداً ، ولا يمر عليّ ليل أو نهار حتىٰ أتمثله في خاطري فأذكره بخير .

أتجرّأ فأقول : إنه كان بحق « عالماً ربانياً » بينما لا أتجرّأ لنفسي علىٰ أن أقول : إني كنتُ « متعلماً علىٰ سبيل نجاة » .

أتذكر أني حين التقائي به كنت أذكر كلام الكاتب والشاعر الإيراني سعدي الشيرازي حيث يقول (تعريب شعره شعراً للشيخ هادي اليوسفي)

المرءُ كل المرء ـ يا إخواني	إن كان فهو العالم الرباني
أما الرجال العابدون الزاهدون	السالكون مسالك الإيمان
فهم بدرب الحق أبناءٌ له	والعالمون هداتهم ببيسان

لقد كان فقيهاً حكيماً وأديباً طبيباً ، كان عالماً بالفقه والفلسفة والأدب العربي والفارسي والطب والحكمة القديمة حتىٰ كان في بعض فروعها الأخصائي الأول .

كان يدرّس (كتاب القانون) في الفلسفة الطبيعية والحكمة الإلهية للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن علي بن سينا ببيانٍ واضح ، وكان يحضر درسه فضلاء عصره في مصره ، ولكنه لم يكن من الممكن تقييده بدرس معين ، بل لم يكن يلائمه أي قيد قط ، اللهم إلا الدرس الوحيد الذي كان يجلس إليه بشوق ورغبة وهو درس نهج البلاغة فإنه كان يطيرُ به في آفاقٍ لم نكن نستطيع أن ندركها جيداً .

---

(١) كتاب (العدل الإلهي) ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، من الطبعة الفارسية .

إنه كان يعيش بنهج البلاغة ويتنفس به ، قلبه ينبض به وعروقه تفور بدمه ، وكان هذا الكتاب ورده الذي يلهجُ به ويستشهد بجمله ، وكثيراً ما كان إجراء كلماته على لسانه يقارنه إسبال الدمع من عينيه علىٰ محاسنه ، لقد كان اندماجه في نهج البلاغة الذي يقطعه عنا وعن كل شيء حوله ، منظراً ذا إيحاء نفسي لذيذ ، ولا غرو ، فإن الاستماع إلىٰ كلام القلب من ذوي القلوب خلاب ذو وقع علىٰ النفوس ، إنه كان أنموذجاً صالحاً من ذلك السلف الصالح يصدق فيه كلام علي (عليه السلام) إذْ يقول : « . . . ولولا الأجل الذي كُتِبَ لهم ، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين ، شوقاً إلىٰ الثواب وخوفاً من العقاب ، عَظُم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أعينهم » .

إن الأديب المحقق والحكيم الإلهي والفقيه الكريم والطبيب الكبير والعالم الرباني المرحوم : الشيخ الحاج ميرزا علي الشيرازي الأصفهاني (قدس الله سره) ، كان بحق رجل الحق والحقيقة ، إنه ومع كل ما له من المقام العلمي الشامخ والشخصية الاجتماعية ، كان إحساسه بالمسؤولية في هداية الناس وإرشادهم وعلاقته القلبية بمقام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) باعثاً له علىٰ الخطابة والوعظ والإرشاد ، وحيث كان كلامه يخرج من قلبه كان يخترق القلوب فينفذ فيها ويستقر ، حتىٰ أنه كان كلما يقدم إلىٰ مدينة قم المقدسة كان يطلب منه بإلحاح العلماء الكبار أن يرقىٰ المنبر فيعظهم .

كان يتقي حتىٰ إمامة صلاة الجماعة ، إلا أنهم كانوا يطلبون منه بإصرار شديد أن يؤمهم في الجماعة في شهر رمضان المبارك من كل سنة في مدرسة الصدر في أصفهان ، ومع أنه لم يكن يحضر لذلك بانتظام كان يشترك في صلاته جمعٌ كثيرٌ لم يجتمع لأحد قبله ، فقيل إنه كان قد سمع بتقلله الناس في سائر صلوات الجماعة الأخرىٰ فلم يتحمل الإدامة .

كان يعرفه ويحبه ـ علىٰ ما أعلم ـ جميع أهل أصفهان ، كما كانت

الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة ، تحبه أيضاً ، فكان حين وصوله إلىٰ هذه المدينة ، يبادرُ إلىٰ زيارته علماؤها كلهم ، في حين أنه كان متحرراً من كل قيد من قيود الزيارات ورد الزيارات .

كان متحرراً من كل القيود ومنها قيد المريد والمراد رحمَهُ الله رحمةً واسعة وحشره الله مع أوليائه[١] .

المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي :

جناب استاذنا الأكرم العلامة الطباطبائي روحي فداه[٢] . . . هذا الرجل هو بحق أحد عظماء العاملين في خدمة الإسلام ، والمجسدين بصدق للتقوىٰ والسمو المعنوي ولقد طوىٰ مقامات سامية للغاية في مسيرة تهذيب النفس ، وكنت وما زلت ومنذ سنين طويلة انتفع من فيض محضر هذا العظيم ، ويعتبر كتابه « تفسير الميزان » من أفضل التفاسير المدونة ، بل أستطيع القول إنه أفضل تفسير كُتِب للقرآن الكريم ـ بين السنّة والشيعة ـ مُنذ صدر الإسلام إلىٰ الآن[٣] .

لقد قضىٰ العلامة الطباطبائي سنين طويلة من عمره الشريف في دراسة ومطالعة وتدريس الفلسفة ، وأحاط ـ ببصيرة ـ بمختلف الآراء والنظريات وتعرّف بعمق أيضاً ـ اندفاعاً بالحب الفطري والذوق الطبيعي ـ علىٰ أفكار المحققين من فلاسفة أوروبا[٤] .

إنه رجلٌ عظيمٌ وعظيمٌ للغاية . . . رجل يحتاج العالم إلىٰ قرن آخر ليتمكن من مناقشة وتفسير أفكاره والتعرف علىٰ عمقها وقيمتها . . . وللعلامة الطباطبائي نظريات في الفلسفة قد تمضي خمسون أو ستون عاماً لكي تتضح

---

(١) مقدمة كتاب (في رحاب نهج البلاغة).

(٢) كتاب (العدل الإلهي)، ص ٣٥٣.

(٣) كتاب (الحق والباطل) للشهيد المطهري، ص ٨٩ ـ ٩١.

(٤) مقدمة كتاب أصول الفلسفة.



قيمتها علىٰ الصعيد العالمي . . .

ولا تنحصر شهرة العلامة في حدود إيران بل تمتد لتشمل العالم الإسلامي وحتىٰ غير الإسلامي ، فهناك مستشرقون في أوروبا وأميركا مطلعون علىٰ المعارف الإسلامية يعتبرونه مفكراً عظيماً[1] .

« قسمٌ من مقابلة مع العلامة الطباطبائي أُجريت بعد استشهاد الأستاذ المطهري » قال العلاّمة الطباطبائي فيها :

كان للمرحوم المطهري ذكاءٌ خارق ، لم يكن يضيعُ منه ولا حرف واحد فما كنا نقوله كان يحفظه ويعقله .

إضافة إلىٰ تقواه وإنسانيته وخصاله الأخلاقية كان يتمتع بذكاءٍ خارق بحيث كنت واثقاً من عدم ضياع أيِّ شيء أقوله ، كنتُ واثقاً من ذلك .

---

(١) كتاب (الحق والباطل) ص ٨٩ ـ ٩١.

عندما كان يحضر درسي ، كـانت تتملكني حالـةٌ من الشوق والحمـاس والفرح لأني كنت أثق حينها بأن ما أَقُولُهُ سيُحفظ ، وهذا ما يصدق علىٰ مباحث « كتاب أصول الفلسفـة ومنهج معـرفة الحقيقـة » فقد كنت مـطمئناً من جميـع الجوانب أنها ستُحفظ .

وفي الوقت نفسه أصبح ـ المرحـوم المطهـري ـ أخيراً صـاحب رأي في القضايا الفلسفية ، بمعنىٰ أن يفهم المطلب ثم يُعطي رأيه بشأنه وأفضل وصف لهذه الحالة هو أنه صاحب رأي .

أردنا أن تُشرح وتُفصّل مجملات « أصول الفلسفة » وتتضح مباحثها وكان الشخص الذي يستطيع إنجاز ذلك هو المرحوم الشيخ المطهري فشرع بـذلك وأنجز المهمة علىٰ أفضل وجه ، لقد فتحنا له يدينا ليحل معضلاتها ففعل ، فما كَتب جديرٌ بالاهتمام وكان صاحب رأي أيضاً .

كان رجلًا تقيّاً : أرجوكم لا تسألوني عن ارتبـاطنا المعنـوي وعن الأمور المؤثرة فإني متأثّرٌ روحياً . . . ولا طاقة لي بذكرها وبيانها . . . غفر الله له . . . إن فقدان الشهيد المطهري خسارة عظمىٰ حقاً .

الامام الخميني : (قدس سره)

أستاذي العظيم آية الله العظمىٰ الخميني ـ مد ظلّه ـ[1]

« . . . بعد هجرتي إلىٰ قم وجدت ضالتي في شخصية أخرىٰ ، وعرفت أنها القادرة علىٰ ريٍّ عطش روحي .

ورغم أنـه في بـدايـة هجـرتي إلى قم لم أكن قـد أنهيتُ بعـد دراسـة المقدمات ولم أكن مستعداً للدخول في دراسة العلوم العقلية ، ولكن كان درس

(١) كتاب (خدمات متقابل إسلام وايران) للعلامة المطهري ، ص ٢٢٤ .



الأخـلاق الذي كنت أحضـره عند هـذه الشخصيـة المحبـوبـة يـومي الخميس والجمعـة ، يُسكرني وآنس بـه كثيراً ، فلم يكن درسـاً في الأخلاق بـالمفهـوم الجامد الذي لا روح فيه بل كان درساً في المعارف الإلهية ومنهاجـاً في السير والسلوك العرفاني ، ولا أبالغ إذا قلتُ إنّ هذا الدرس كان يجعلني أعيش تأثيره العميق في روحي إلىٰ يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي :

كان لهذا الـدرس والدروس التـالية التي تلقيتهـا من ذاك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً ، الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والروحية وإني لأجد نفسي علىٰ الدوام مديناً له بذلك ، وحقاً إنـه كان صنيعـة الروح القدسية الإلهية . . . »[1] .

« . . . وأما ذلك المسافر الذي تصحبه مئـاتٌ من قوافـل القلوب والذي ذاع بين الخاص والعام ، اسمُهُ وذكرُهُ .

---

(١) مقدمة كتاب «الدوافع نحو المادية» من الطبعة الفارسية، ص ٨ ـ ٩ .

والذي يتلهف العام والخاص لسماع أحاديثه ، ويعرف الخاص والعام روحه بالسمو والملحمية ، وبرسوخ العزم وقوة الإرادة .

الذي يعرفه الخاص والعام بالثبات والاستقامة والشجاعة وكامل الوضوح في الرؤية وبصدق الإيمان والعنفوان ،

فهو روح الأرواح ، وبطل الأبطال ، وقرة عيون شعب ايران

أستاذنا الكبير ذو المقام السامي سماحة آية الله العظمىٰ الخميني أدام الله ظله . . . .

إنه الحسنة التي مَنَّ بها الله تبارك وتعالىٰ علىٰ قرننا وعصرنا الحاضر وهو مصداق بارز وواضح لـ « إنّ لله في كل خلفٍ عدولاً ينفون عنه تحريف المبطلين » .

إن القلم ليعجز عن تبيان قليلٍ من كثير عن هذا العظيم ، شكراً لله علىٰ اثني عشر عاماً من اكتساب فيض الحضور في درس هذا الأستاذ الكبير ، وشكراً لله علىٰ المنافع الروحية والمعنوية التي اكتسبتها من قرب هذا النبع النقي



للفضيلة والمكرمات . . . »[1] .

« . . . ولا شك أن من العوامل المؤثرة في اختيار هذا العظيم لمقام القيادة ، هي روحُهُ التضحوية الأبية وجهاده الدؤوب المتواصل ضد الظلم والظالمين ، ودفاعه الصلب عن المظلومين ، وصدقه وصراحته وشجاعته



(١) كتاب (حول الثورة الاسلامية) للشهيد المطهري، ص ٢١، من الطبعة الفارسية.

ورفضه للتساوم ، ولكن العامل الأساسي شيءُ آخر ، يتلخص في أن نداء الإمام الخميني ينبعُ من قلب ثقافة هذه الأمة ومن أعماق تاريخها وأعماق وجدانها

فالأمة التي عُجنت روحها علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرناً بالملاحم المحمدية والمواقف الخالدة لعلي والزهراء والحسين وزينب وسلمان وأبي ذر . . . ومئات الآلاف من الرجال والنساء ، وترسخت هذه الملاحم في وجدانها ، هذه الأمة تسمعُ مرةً أخرىٰ نداء هذه الملاحم من حنجرةِ هذا العظيم وترىٰ عليّاً والحسين في وجهه ، وترىٰ فيه تبلوراً لثقافتها التي أُذِلّت طويلاً ، تبلوراً أبيّاً ناطقاً وتجسيداً ملحمياً »[1] .

ما الذي أنجزه الإمام الخميني؟

« . . . لقد أعطى لشعبنا شخصيته ، أعاد له شخصيته الحقيقية وهويته الإسلامية ، أنقذه من الضياع والتيه وفقدان الشخصية . . . وهذه هي أعظم هدية يعطيها قائد لشعبه ، إنه استطاع أن يعيد للشعب إيمانه الضائع وأن يعيد له الثقة بالنفس »[2]

---

(١) كتاب (حول الثورة الاسلامية) للشهيد المطهري ، ص ٢٢ من الطبعة الفارسية .
(٢) المصدر نفسه ص١١٩ ـ ١٢٠ .

الاستاذ المطهري . . .
معلم في العائلة

لم يكن الأستاذ المطهري معلماً كبيراً في الحوزة والجامعة وحسب ، بل إنه قبل ذلك كانَ معلماً وقدوةً لعائلته رؤوفاً بهم ورحيماً ، وهذا ما نـراه متجلياً في حديث زوجته وما اخترناه من رسائله (رحمة الله عليه) لابنه وابنته .

« نص مقابلة أُجريت مع زوجة الشهيد المطهري »

س : ضمن تقديم الشكر علىٰ الـوقت الذي خصصتِـهِ لهذه المقـابلة ، نرجو التفضل بتوضيح قصة تعرّفكم على الأستاذ المطهري ؟

ج : قبـل حدود الثـلاثين عامـاً كان زواجنـا ، ووالدي كـان من علمـاء خراسان وكان مدرساً فيها متواضعاً مؤمناً مُتّقياً .

كنت في الحادية عشرة من عمري ، عندما رأيت ـ في عالم الرؤيا ـ أني ذهبتُ إلىٰ غرفة أبي فوجدت فيها قصاصة ورق مكتوبٌ فيها « فلانـة ـ اسمي ـ

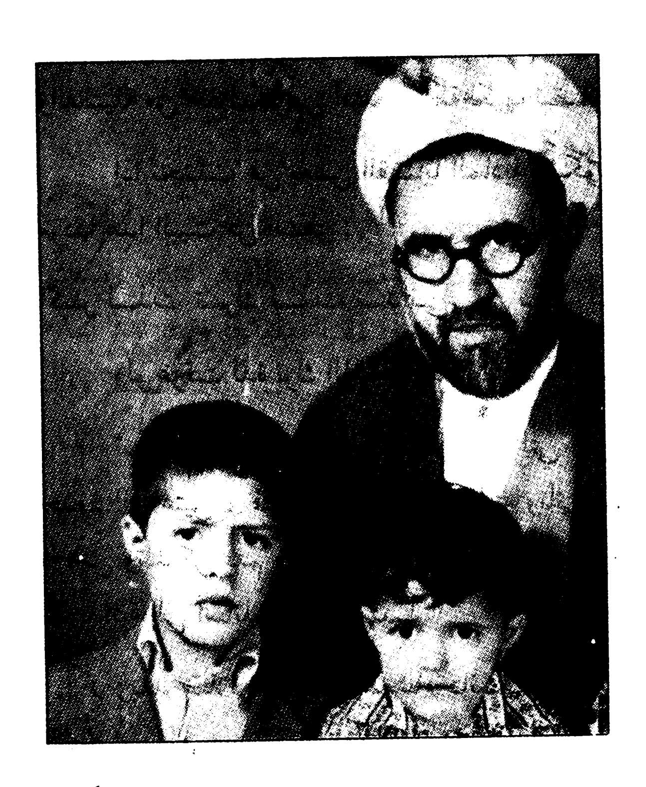
تُعقد لمرتضى في التاسع والعشرين من الشهر » ، وقد عجبتُ كثيراً لهذه الرؤيا لكني لم اطلع عليها أحداً ، ومرت الأيام وخطبني العديدون ، ولكن والدتي كانت ترفض وتقول ما لم تحصل علىٰ شهادة الاعدادية فلن أزوّجها .

وعندما أصبحتُ في الثالثة عشر ، جاء الشيخ المطهري لخطبتي وكان يعرف والدي إلا أنّ والدتي عارضت بشدة ، فهي من عائلة مرفهة ثرية نسبياً ولم تكن ترتاح لفكرة زواجي من أحد الحوزويين ، وكانت تصرح بذلك وعاود الشيخ المطهري المراجعة لخطبتي عدة مراتٍ فتذرعت والدتي بشرط إكمالي للدراسة فوافق بيسر وقال تستطيع إكمال الدراسة حتىٰ تأخذ شهادة الاعدادية ثم وبعد مدة وافقت والدتي وكان ذلك في اليوم ٢٣ من الشهر فقال الشيخ المطهري لنجعل العقد إذاً يوم التاسع والعشرين فهو يومٌ جيد لذلك ، فتمّت الموافقة وتمّ عقد القِران في ذلك اليوم وعندها اتّضحت حقيقة الرؤيا التي ذكرتها .

ومضت الأيام ثم انتقلنا إلى قم وبعدها إلىٰ طهران واخترنا منزلاً صغيراً للسكنىٰ في زقاق « دردار » ، ورزقنا بسبعةِ أطفال أربع بنات وثلاثة أبناء ، وقد حصلت جميع بناتنا على شهادة الإعْدادية واثنتان منهن دخلن الجامعة ، وتزوجن جميعاً ، أما ابني الأكبر فقد درس في كلية الإلهيات والثاني في كلية الهندسة والثالث في الإعدادية .

س : هل كان الأستاذ المطهري يشارك في أعمال المنزل وتربية الأطفال ؟!

ج : نعم كان مطّلعاً علىٰ جميع شؤون المنزل وكان يساعدني ويساعد الأطفال في معظم الأعمال : لقد كان أعظم حامٍ وهادٍ لنا ، كان يتابع شؤون الأطفال ومسار دراستهم ويحل مشاكلهم ، وكان كثيراً ما يكتبُ لهم الرسائل وما زال بعضُ نماذجها موجوداً ، وكان يساعدني في أعمال المنزل كلما سنحت له



فرصة لذلك ؛ في معظم الأوقات كان يقوم بنفسه بإعداد الشاي صباحاً ، ولا أتذكر أنه قال لي ـ ولا مرةً واحدة ـ طوال حياتي : إجلبي لي ماءً ، كان يتأثر كثيراً من إلحاق الظلمَ بالنساء ، ويكرر القول : يجب عدم استغلال النساء ، كان الاحترام والمودة هما مميزتا التعامل بيننا .

س : كيف كان ينظم الشهيد المطهري ساعات يومه ؟!

ج : في الصباح كان يذهب إلىٰ كلية « الإلهيات » للتدريس إلىٰ الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم يعود إلىٰ البيت ليتناول الشاي الذي أُعدّه قبل مجيئه ويتحدث معي ، كان رؤوفاً إلىٰ درجة لا يعلمها إلا الله جعلت أجواء المنزل مفعمة بالعاطفة والمودة والرحمة ، كان يتطرق خلال حديثه إلىٰ سِيَر العرفاء بالله

والمقرّبين إليه تعالىٰ ، فكان دون أن يخاطبني مباشرةً يدعوني إلىٰ التقوىٰ والفضيلة من خلال عرض أمثلة بسيطة لكنها تتضمن معاني عميقة . . .

إذا تحدثت عن بعض القضايا المادية وشكوت منها أجابني بصوت هادىء مردداً هذا البيت من الشعر :

اگـر لـذت تـرك لـذت بـدانى دگـر لـذت نفس لـذت نخـوانى

(لو عرفت لذة ترك اللذة ، لما اعتبرت لذة النفس لذة)

ثم يذهب إلىٰ الدراسة والتدريس والتي تتراوح مدتها علىٰ الأغلب في حدود الساعتين ، فتذهبُ طائفة منْ طلبته وتأتي بعدها طائفة أخرىٰ كانت له دروس وتذاكر علم مع مختلف الأعمار والمستويات ما بين طلبة المدارس الابتدائية إلىٰ أساتذة الجامعات .

وبعد صلاة المغرب والعشاء كانت له إما لقاءات وإما يعود إلىٰ المذاكرة والبحث ، وفي حدود الساعة العاشرة يأتي للجلوس مع أفراد العائلة ثم يذهب بعدها للنوم ، ليستيقظ في حدود الثانية بعد منتصف الليل لأداء نافلة الليل ويبقىٰ متهجداً إلىٰ الصباح .

س : هل كان يجيزُ لكِ أو لبناتكِ مواصلة الدراسة ؟!

ج : إنه كان يؤيد ذلك بقوة ، وكما قلت آنفاً فقد سمح لي بعد أن جئت إلىٰ منزله بمواصلة الدراسة ، ومع التزامي الكامل بالحجاب وشروط العفة أكملت دراستي حتىٰ أخذتُ شهادة الإعدادية ، وقد حصلت علىٰ هذه الشهادة نفسها اثنتان من بناتي فيما واصلت الأُخريان الدراسة الجامعية .

س : هل يمكن أن تذكري بعض نماذج تعامل الشهيد المطهري معك ؟!

ج : مثلما قلتُ سابقاً فقد كنتُ صغيرةً عندما جئتُ إلىٰ منزله ، ولكن

رغم صغر سنّي لا أتذكر أني قد لقيت منه أذىً ، كان في غاية الرأفة والتسامح ويولي أهمية لراحتي وراحة الأطفال ، كان رؤوفاً بي إلىٰ درجة لا يستطيع معها تحمل أن يشاهدني متأذية من شيء ما .

أتذكر أني سافرت مرة إلىٰ أصفهان لزيارة ابنتي وبعد بضعة أيام ، عُدت إلىٰ طهران بمعية إحدىٰ صديقاتنا ، كان الوقتُ قبيل السحر عندما وصلتُ إلىٰ المنزل فوجدت الأطفال نائمين ولكن الشيخ كان مستيقظاً وقد أعدَّ لنا شاياً وطعاماً مرتباً بطريقةٍ جميلة للغاية ، صديقتي تعجبت كثيراً لهذا المنظر وقالت : « هل أنّ العلماء جميعهم جيدون لهذه الدرجة » وبعد السلام والاستفسار عن الأحوال ، قال الشيخ بلهجةٍ فيها الكثير من التأثّر : « أخشىٰ أن يأتي يومٌ لا أكون فيه هنا وتأتين أنت والأطفال نيام فلا يكون في استقبالك أحد » (السيدة مطهري تملكتها هنا حالة شديدة من التأثر والحزن) .

مرةً ذهبنا سويةً إلىٰ زيارة كربلاء والعتبات المقدسة فيها وعندما عدنا ووصلنا إلىٰ المنزل كان بعض الأولاد نائمين فعاتبهم الشيخ قائلاً : « لماذا لم تستعدوا جميعاً لاستقبال والدتكم وهي عائدة من زيارة كربلاء ؟ »

كان غاية في الرأفة ولم يؤثر تصرّم الأعوام علىٰ تعامله فهو إلى النهاية كان مثل ما كان عليه في بداية زواجنا ، نعم كل ما أقوله عن صفائه ومودته وتقواه فهو قليلٌ قليل .

س : إلىٰ أي مدىً كان يطلعكم علىٰ القضايا السياسية في البلد ؟!

ج : إلىٰ درجة متقدمة ، ومنذ سنين وسنين كان يتحدث عن التخطيط والإعداد للثورة الإسلامية ، وكان يطلعني علىٰ القضايا السياسية الراهنة ، ويتحدث مع أولادنا عن التيارات الفاعلة والاتجاهات الفكرية الموجودة والتنافس بينها ويُبين لهم الحقائق والحق لكيلا ينحرفوا بسبب وجودهم إلىٰ جانب المنحرفين في محيط واحد .



ومعلومٌ أنه كانت هناك بعض الأعمال ذات الطابع السـري ، ولذلـك لم يكن يطلعنا عليها كتكليفه برئاسة مجلس الثورة الإسلامية .

س : هل كان يخصص لكم دروساً إسلامية (أنت والأولاد)؟

ج : نعم ، لقد درستُ عنده علوم القرآن وعلوم العربية وكذلك الحال مع الأولاد ، وفي أواخر حياته خصص لنا في المنزل درساً في (جامع المقدمات) اشتركنا فيه أنا والبنات والأبناء وصهرٌ لنا .

س : ماذا كانت نظرته للمرأة المسلمة ؟

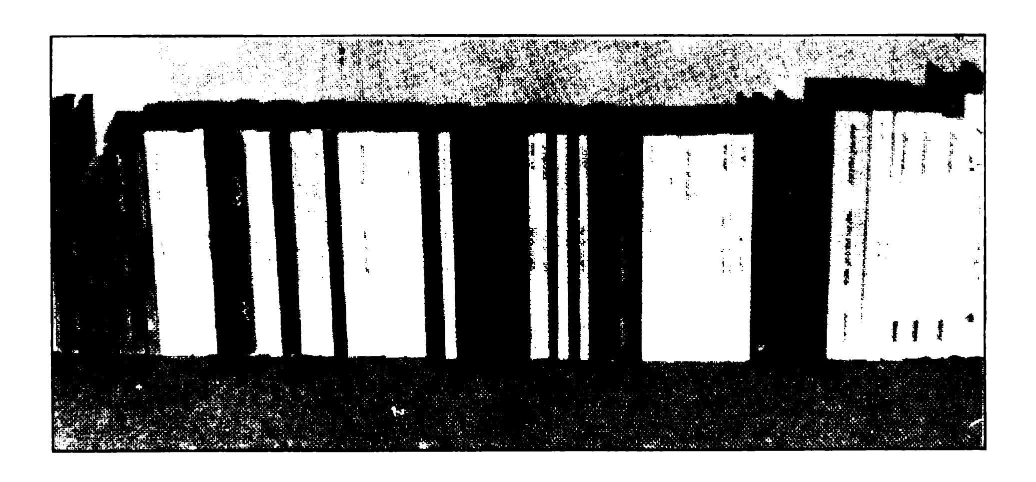
ج : كان يحترم النساء كثيراً ، وكثيراً ما كان يقول إن المرأة في مجتمعنا تعرضت للكثير من الاستغلال .

سافرنا مرة مع العلامة الطباطبائي إلىٰ الخارج لمعالجته ، فزارتنا مجموعة من الطالبات الجامعيات وقُلن للشيخ : « إنّ علماء الإسلام لا يولون أهميةً لاحترام نسائهم ويذكرونهنّ باستخفاف واستحقار ، وهم لا يشاركونهن بأي عمل » ، فأجابهن الشيخ ، كلا ليس الأمر كذلك ، وتحدّث لهن طويلاً عن حقوق المرأة في الإسلام مشيراً إلىٰ أنه لم يُوجب عليهن حتىٰ رضاعة أطفالهنّ .

وأتذكرُ أنه كان يتحدث معي حول بعض مواضيع كتابه « حقوق المرأة في الإسلام » عندما كان منشغلاً بتأليفه ، كان يتأثر كثيراً من الظلم الذي يُلحق بالمرأة ويعتبره عاراً علىٰ الرجال ، أما بشأن سائر تفصيلات نظرته حول المرأة المسلمة فيمكن التعرف عليها من خلال مراجعة ما أورده بهذا الشأن في كتبه .

س : حدثينا عن الأيام الأخيرة من حياة المطهري ومتىٰ عرفت باستشهاده ؟

ج : كان الشيخ رؤوفاً رحيماً علىٰ الدوام ، ولكنه كان في تلك الأيام كان أكثر رأفة وأعظم رحمة ، كان إذا ألمّت به معضلة أو مشكلة شاهد ـ علىٰ



الأغلب ـ الـرسول الأكـرم (ص) في عالم الـرؤيـا فيهـديـه إلىٰ حلّهـا ، وقبـل استشهاده ببضع ليالٍ ، كنا نائمين عندما استيقظتُ علىٰ استيقاظ الشيخ بصورة غير عادية ، فسألته عن ذلك ، فقال : لقد رأيت الآن ـ في عالم الرؤيـا ـ أنني والسيـد الخميني كنّـا نـطوف حـول الكعبـة عنـدمـا التفتُ إلىٰ أن الـرسـول الأعظم (ص) يتجه نحـوي بسرعـة وعندمـا اقترب منّي ، تـراجعت إلىٰ الوراء ـ احتراماً للسيد الخميني ـ وأشرت إلىٰ السيد وقلت : « يا رسـول الله : السيد من ذريتكم » فـاقتـرب (ص) من السيـد الخميني وقبّـله من وجـهـه ، ثم اقترب (ص) مني وقبّلني من وجهي ثم وضع شفتيه علىٰ شفّتي ولم يرفعهما ، فـاستيقـظتُ من شـدة اللهفـة وما زلت إلىٰ الآن أحسُّ بـدفء شفتي النبي الأكرم (ص) علىٰ شفتي ؛ ثم سكت الشيخ هنيهة ليستأنف حديثه قائلاً : « إنني واثقٌ من أنّ حادثاً مهماً سيقعُ لي عن قريب » فقلتُ له « كلا . . . إنشاء الله ، هذا هو تأييدٌ من الرسول الأعظم لمحاضراتك وكتاباتك » .



ومرت بضعة أيامٍ ، حتىٰ جاءت ليلة الأربعاء فقال لي بعد أن صلىٰ المغرب والعشاء إنه ذاهب إلىٰ منزل الدكتور سحابي ليحضر اجتماعاً هناك ثم يعود إلىٰ المنزل ، فذهب وصادف أن جاء ابننا الأوسط من تبريز حيث كان يدرس في جامعتها آنذاك ، كانت الساعة في حدود الحادية عشر مساءً عندما اتصل الدكتور سحابي بنا هاتفياً ليقول إن الشيخ لن يعود إلى المنزل هذه الليلة وسيبقىٰ هناك ، فاستغربت لذلك لأن الشيخ لم يكن يبيت خارج المنزل عند أحد أبداً اللهم إلا في بيت الإمام الخميني أو عندما كان يأتي الشيخ المنتظري إلىٰ طهران ، فقلتُ للدكتور سحابي « لماذا لا يعود الشيخ ؟! وهو لا يبقىٰ خارج منزله ليلاً أبداً » ، فتلعثم الدكتور ثم قال : « لقد أُصيب برصاصة وهو يرقد الآن في مستشفىٰ طرفة ، فتعالوا إلىٰ هنا » .

ثم استدعيت ابني وقلت له « لنذهب إلىٰ مستشفىٰ طرفه فقد اغتيل والدكم » ؛ ذهبنا بسرعة والألم يعتصرنا إلىٰ المستشفىٰ ، وعند بابها سألت أحد حراس الثورة « ألم يجلبوا إلىٰ هنا أحد العلماء أُصيب برصاصة ؟ » فقال بحزن ولوعة : « نعم . . . لقد صُرِعَ رجلٌ إلهي ، لقد صُرِعَ أحد العظماء . . . » ، فقلقت للغاية وعندها انتبه إلىٰ أننا من أرحام الشيخ ، فسارع إلىٰ القول باضطراب « لا تقلقوا . . . فلم يحدث شيء مهم لقد أصابت الرصاصة كتفه » ، فصدقت قوله وطلبت أن يدلّني علىٰ غرفته لأراه ، فدخلنا غرفة وجلسنا فيها ثم دخلت ثلاث نساء عرفت فيما بعد أنهن من أرحام الدكتور سحابي ، وقلن لي : « هل أنتِ زوجة الشيخ المطهري » ، أجبت « نعم » ، فقدمن التعازي وأنا غير مصدقة حتىٰ قلن إن الشيخ قد استشهد ، فانقلب حالي بالكامل . . .

وبعد فترة قلت لولدي لِنعُد إلىٰ المنزل وكان مضطرباً يعصره الألم والذهول حتىٰ أنه أضاعَ مفاتيحه ، وعلىٰ أيّ حال أوصلونا للمنزل في حدود الساعة الواحدة بعد انتصاف الليل فرأيت أن كافة الأزقة المحيطة بالمنزل قد

احتشدت فيها الجموع الباكية ، وفور وصولنا المنـزل دقّ جرس الهـاتف حيث كان المتحدث أحد أهل العرفان من أصدقاء الشيخ ، سألني عن أحوال الشيخ المطهري فأخبرتُهُ باغتياله ، فانقلب حاله ، وقال : « لقد اتصلتْ بي قبل قليل إحدىٰ الأخوات التي تحضر دروسي وقالت : في الساعة الحادية عشرة من هذه الليلة رأيت في عالم الرؤيا ـ قبراً أخضر يشيرون إليه ويدعونني لزيارته فسـألت عن صاحبه ، فقالوا إنه قبر الحسين (ع) ، ثم أشاروا إلىٰ قبرٍ أخضر آخر بجانبه ودعوني لزيارته ، فسألتُ عن صاحبه أيضاً فقالوا إنه قبر الشيخ المطهري !!

ثم شاهدتهم يعرجون بالمطهري إلى محل واسع رحب وهناك أشاروا إلىٰ



عرشٍ نوراني غاية في الجمال ، اصطفّت حوله مجموعة تقولُ « هذا مقام أولياء الله » وتردد الصلوات على الرسول وآله ، ثم دخل الشيخ المطهري وجلس على هذا العرش ، فاقتربت منه وسألتُهُ : ماذا تفعل هنا ؟! فأجاب : لقد جئتُ للتو ؛ لقد طلبتُ من الله تعالىٰ أن يرزقني مقاماً سامياً فمنّ عليّ بـ « مقامٍ متسامٍ » ثم استيقظت هذه الأخت عند هذه العبارة » .

وتبين فيما بعد أنها رأت هذا الحلم بالضبط في زمن استشهاد الشيخ نفسه .

س : ماذا كان شعورك عندما علمتِ باستشهاد الشيخ ؟!

ج : لقد سألوا العلاّمة الطباطبائي مرةً هذا السؤال نفسه فأجاب : اتركوا هذا لقلبي ؛ وأنا أيضاً أُجيبكم بهذا الجواب نفسه .

س : مَنْ يحل مشاكلكم بعد استشهاد المطهري ؟

ج : أُجيب بسهولة ، إنّه هو نفسه ، لقد صُدمنا بعنفٍ باستشهاده ولفّنا الألم واللوعة ولكن رغم ذلك فإن الشيخ نفسه ما زال هو الذي يحلُّ الكثير من مشاكلنا ، فمثلاً وعند زواج ابنتي الأخيرة ، كان هناك من بين مَنْ خطبها اثنان صالحان للغاية ، فاحترنا في اختيار أحدهما لصعوبة التفضيل بينهما ، فرأيتُ الشيخ في عالم الرؤيا ، حيث اختار أحدهما وقال هذا أصلح ، فعملنا وفق قوله وكان الزواج موفقاً للغاية ـ ولله الحمد ـ .

بعد استشهاد الشيخ ليس هناك شيء في الدنيا يستطيع أن يفرحني اللهم إلاّ أن أصل إلىٰ مقامٍ سامٍ أتأهلُ به لأن أكون إلى جانبه مرة ثانية في الحياة الأخرىٰ .

لقد احتفظتُ بجميع كتب الشيخ وغرفته على وضعها فلم أُغيّر منها شيئاً



حتىٰ ألبسته وعباءته ما زالت معلّقة في مكانها المعتاد ، وفي ذلك بعض السلوىٰ لقلبي .

س : لو كانت لديك كلمة للسيدات والعوائل فتفضلي . . .

ج : إني لا أرىٰ نفسي مؤهلة لأقول شيئاً لهنّ ، ولكني أُخاطب ببضع كلمات عوائل الشهداء لا سيما عوائل الشهداء من العلماء الحوزويين : إن هناك علىٰ عواتق هذه العوائل بالخصوص مسؤولية كبرىٰ ؛ علينا أن نحفظ دماء الشهداء من جهة ومقام وكرامة العلماء الشهداء من جهة ثانية ، فلا ينبغي لعائلة عالم شهيد أن تقوم بعمل من شأنه الإساءة لا سمح الله لمقام وكرامة العلماء ، لقد عشنا مع هؤلاء العظام وتربّينا علىٰ أيديهم ، فلو صدر منا لا سمح الله عملٌ قبيحٌ لساءت نظرة الناس إلىٰ هؤلاء العظام المخلصين .

نسأل الله التوفيق لأن نصبح من عباده الصالحين .

« مقطع من رسالة كتبها الأستاذ الشهيد المطهري لإحدى بناته» :

نورُ عيني وعزيزتي . . . ابنتي المحترمة (. . .)

لقد دعوتُ وأدعو الله تعالىٰ علىٰ الدوام بأن يمنّ عليك بالسلامة والسعادة ، وأحمدُ الله تعالىٰ علىٰ استجابته لدعواتي لك في الأسحار ، إذْ تفضل عليك بالسعادة وحسن التوفيق ، ورزقك زوجاً صالحاً وحياةً تحظىٰ منّي بغاية الرضا .

بُنيّتي العزيزة ، يقولون شعراً : (ترجمة الشعر الفارسي الوارد في رسالة الشيخ)

«إن العاقل اللبيب ينبغي أن يعيش في هذا العصر مرتين
واحدةٌ يكتسب فيها الخبرة، والثانية ينتفعُ بما اكتسب»

بعض الأشخاص يتمتعون بدرجةٍ عاليةٍ من الحصافة والذكاء وكأنهم قد عاشوا في هذه الدنيا من قبل ، ولكن هناك طائفة أخرىٰ من الأشخاص لا ينتفعون بتجربة ويبقون علىٰ ما هم عليه حتىٰ لو عاشوا في هذه الدنيا مراتٍ ومرات ، وأدعو الله أن تكوني وسائر ذريتي من الطائفة الأولىٰ .

إبنتي العزيزة : يقول الله عز وجل : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم . . . ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** . . . ﴾ : أي أن معرفة قدر النعم الإلهية وشكرها موجب لزيادتها وحلول نعمٍ جديدة ، فيما أن جحود النعم الإلهية وكفرانها موجب لزوالها وتحولها إلىٰ عذابٍ شديد ؛ ورجائي هو أن يكون جميع بناتي وأبنائي من العارفين بعظمة النعم الإلهية الشاكرين لها ، ليضاعف الله لهم أمثالها يوماً بعد آخر ،

لقد بدأت حياتنا المشتركة (أنا ووالدتكِ) من الصفر ـ (ويقيناً لو كنتِ محل والدتك لما تحمّلت تلك الحياة) ـ وتطورت حياتنا يوماً بعد آخر وسنة بعد

أخرىٰ إلىٰ الأحسن والأفضل من جميع الجهات ولله الحمد وكل ذلك التطور هو لأننا كنا شاكرين للألطاف الإلهية علىٰ الدوام ؛ ولم نكن نعمل شيئاً بالجهل ، بل كنا نلتزم عرىٰ العقل بدلاً من العواطف والانفعالات .

إنني أُحب أن تُطلعيني علىٰ ما في قلبك ، كتباً أو شفاهاً ، وبشأن كل ما يعتلج في ذهنك دون تخصيص ، وإن شئت أن لا أطلع عليه أحداً ، فإني



مستجيبٌ لمشيئتك ، وأنتِ تعلمين أن الكذب لم يجرِ أبداً لا على قلمي ولا على لساني .

مرتضى مطهري ـ ١٣٥٦/٧/٥ (هـ .ش)

* * *

« مقطع من رسالة للشيخ إلى أحد أبنائِه »

ولدي العزيز وقرّة عيني المكرم . . . جناب علي المطهري وفقه الله لما يحب ويرضى . . .

أسأل الله تعالى أن يتفضل عليك بكامل السلامة والتوفيق وحسن العاقبة . . . أحوالنا ولله الحمد بخير وغالباً ما نذكرك ، أرجو لك التوفيق الكامل في امتحاناتك . . .

ولدي العزيز . . . أرجو إبلاغ سلامي إلى أصدقائك وزملائك لا سيما الذين في غرفتك ، ولو جئتم معاً إلى طهران فاجلبهم معك إلى المنزل ففي ذلك سرورنا .

ولدي . . . توخَّ كامل الدقة والحذر في اختيار أصدقائك ، فما أكثر الأفاعي بظاهرٍ حسن ، وعليك كذلك بإثراء معلوماتك الإسلامية والإنسانية من خلال مطالعةِ ما يتسنّى لك من الكتب النافعة ، وإن كانت هناك اجتماعات ومحافل جيدة في تبريز فاشترك فيها ، وإذا احتجت إلى كتابٍ من ذاك النوع فأخبرنا لنبعثه إليك .

ولدي . . . لا تتهاون عن تلاوة حزب واحد من القرآن يومياً ـ وهو لا يستغرق أكثر من خمس دقائق ، وأهدِ ثوابه إلى روح الرسول الأكرم (ص) ، فهو سببٌ للبركة في العمر والموفقية ـ إن شاء الله ؛ وما من حاجة للتذكير بضرورة توخي كامل الحرص في أداء الفرائض الدينية .

قد يحدث أحياناً أن تواجه أسئلة من بعض الجامعيين غير المتدينين دون أن يكون لديك جواب حاضر لها ، فاكتب لي عنها ـ لإعداد الإجابات ـ

أبعث إليك مع الرسالة مبلغ (١٥٠٠) ريال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرتضىٰ المطهري

١٩،٢،١٣٥٦ ـ هـ .ش ـ

الاستاذ المطهري في احاديث بعض من زملائه وتلامذته

* آية الله الجوادي الآملي
* الشيخ الشهيد فضل الله المحلاتي
* الشيخ فاكر
* السيد الطاهري الخرم ابادي
* السيد علي المحقق داماد

« نص مقابلة أُجريت مع الأستاذ آية الله الجوادي الآملي بعد استشهاد العلامة المطهري » .

س : ضمن تقديم الشكر لسماحكم لنا بإجراء هذا الحوار نودُّ في البداية السؤال عن طبيعة المسلك الفلسفي للعلامة المطهري ومدىٰ تأثير آراء صدر المتألهين علىٰ التكامل الفكري للأستاذ ؟

ج : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ

مرت الفلسفة بمراحل عدة تكمل كلٌّ منها سابقاتها ، حتىٰ وصلت إلىٰ مفترق طريقين فظهرت فلسفة المشائين ، وفلسفة الاشراقيين ، والفلسفة بما تعنيه من معرفة العالم إما يكون الحصول عليها عبر الاستدلال والعلم الحصولي والأفكار الإنسانية ، وإما عن طريق تنقية الباطن وتهذيب الروح وإزالة الغبار عن مرآة القلب لتتألق فيه أسرار العالم ويشهد العلم الحضوري .

وقد طوت كلٌ من هاتين المنهجيتين مراحل عدة وصلت عبرها إلى الكمال في تخصصها ، ولكن تكاملها جعل موقف كل منهما تجاه الأخرىٰ أكثر حدة ؛ حتىٰ كان انتشار معارف الإسلام بواسطة الأئمة

المعصومين (عليهم السلام) ، وهي المعارف التي قوّت من جهـة طرق العلم الحصولي وفي الوقت نفسه فتحت الآفاق الـرحبة أمـام طرق تهـذيب النفس ، فظهر من هذه المدرسة طلبة سعوا إلىٰ الجمع بين هاتين المنهجيتين ، وليقولوا إنّ ما يشهده الحكيم المتألّه في فلسفة الإشراق ، هو نفسه الذي يدركه الحكيم الإلهي في فلسفة المشاء .

وكثيرون هم الذين سعوا للجمع بين هـذين المشربين ، ويمكن تصنيف « ابن تـركة » ضمنهم ، فقـد سعىٰ في كتابـه « تمهيد القـواعد » ، إلىٰ تـطبيق الطريق الذي يطويه العارف عبر الإشراق والشهود ، علىٰ طريق الفكر ويبـرهن عليه ؛ فقد سعىٰ في هذا الكتاب إلىٰ البرهنة استدلالياً علىٰ « وحدة الوجـود » المشخّصة وهي معيار الشهود عند العالم والحكيم الإشراقي ؛ كما سعىٰ شيخ الإشـراق إلىٰ البرهنـة الاستدلاليـة علىٰ ما يصـل إليه أصـل القلب بـالإشـراق والمشاهدة .

شيـخ الإشراق قسَّم الحكمـاء إلىٰ ثلاثـة أصناف ، هم الحكيم المتـألّه البـاحث والحكيم المتألّـه المحض ، والحكيم الباحث المحض ، فـالأول هو الذي يرىٰ بقلبه الأسرار والعـالم ويستطيـع في الوقت نفسـه البرهنـة عليها من خلال الاستدلال والعلم الحصولي والتصور والتصـديق ، فهو من أهـل القلب والتألّه وكذلك من أهل الفكر والبحث وهو أسمىٰ حكماء البشر إذْ يصل بالشهود إلىٰ مقام (التألّه) ويصل بقوة الاستدلال إلىٰ مقام البحث فهو لذلك حكيم متألّه باحث .

أما الثاني فهو الذي عرف أسرار العالم من خلال تـزكية القلب وكـان له شهود واشراق في معرفة العالم ولكنه لا يستطيع طـرح ذلك وفق قـواعد العلم الحصولي والفكر ، فهو ليس من أهل البحث لا يستطيع تقرير ما يحصل عليـه ولا بيان ما يراه ، وهذا متأله محض ، من أهل الشهود وليس من أهل البحث ، من أهل الإشراق لا الفكر .

أما الثالث فيستطيع إرجاع القضايا النظرية إلىٰ البديهيات ، يجيدُ الفهم والتفهم ولكنه ليس من أهل المشاهدة والوصول ، لا حضور له في الوجود الخارجي ، عمله في المفاهيم وماهياتها ، ولكن لا علاقة له بمتنِ الحقائق الواقعية فعلاقته هي بظواهر الحقائق الواقعية ومفاهيمها ، عمله في التصور والتصديق والمفاهيم والماهيات لا الوجود والمتن والحقائق الواقعية ، فهو من أهل البحث والفكر وليس من أهل الشهود والإشراق .

ثم يقول شيخ الإشراق إنّ أفضل هؤلاء ـ من جهة مراتب الفضل والدرجات المعنوية ـ هو الصنف الأول يليه الثاني ثم الثالث ، فالأسمىٰ هو الحكيم المتألّه الباحث وكان يعتبر نفسه من هذا النوع وسعىٰ للبرهنة علىٰ ما يشهده بقلمه وبيانه ، ولكنه لم ينجح ، لأن ما عرفه بالشهود ـ وهو حق ـ طرحه من خلال أصالة الماهية وهذا الأصل عجز عن بيان مشاهداته العرفانية تلك ولم يستطع تجسيد تلك الإشراقات الواقعية باللسان ، ولهذا لم يستطع شيخ الإشراق تحويل ما عرفه بالعلم الحضوري إلىٰ علمٍ حصولي ـ في أيٍّ من كتبه سواء في « المطارحات » ، أو « التلويحات » أو في الكتب التي ألّفها في صغره أو فيما ألّفه في أواخر عمره وحتىٰ في أهم كتبه وهو « حكمة الإشراق » الذي يصفه نفسه بأنه « قرة عيون أصحاب المعارف » وهو الوصف نفسه الذي يطلقه عليه صدر المتألهين الشيرازي (رض) في كتابه « المبدأ والمعاد » ؛ وعلّة عدم النجاح هذا هو أن يد « أصالة الماهية » عاجزة عن حمل مشاهدات العارف ولا تستطيع أبداً تبيان مشاهدات الحكيم المتألّه أبداً .

ولذلك لم تأتلف فلسفة الإشراق بفلسفة المشاء بل علىٰ العكس بقيت الشقة بينهما إن لم تزد ، فأصالة الماهية لم تصلح أن تكون جسراً للربط بينهما ، فبقي الحال علىٰ هذا الافتراق بعد شيخ الإشراق السهروردي حتىٰ عصر أساتذة صدر المتألهين ، وهؤلاء سعوا للهدف نفسه ، وظهرت في كتاباتهم ومنظوماتهم وأقوالهم ، أحاديث عن الشهود والإشراق والعرفان ، ولكنها لم

تستطع إيجاد جسر يمكن من خلاله البرهنة استدلالياً علىٰ مشاهدات العارف ، وبالتالي الوصل بين فلسفة المشاء وفلسفة الإشراق وهي في حقيقتها عرفان إذا ما فصلت عن مباحثها الفكرية .

المرحوم المحقق الداماد ـ أستاذ صدر المتألهين في العلوم العقلية ، سعىٰ أيضاً لكنه لم يوفق في إيجاد جسر الوصول المطلوب ، حتىٰ جاء دور صدر المتألهين ، وعصرُه كان مرحلة تحول وانتقال ، كانت تدور في فلسفة المشاء أساليب الاستدلال على أصالة الماهية من جهة وأصالة الوجود من جهة أخرىٰ ، وهاتان القضيتان نفساهما كان لهما تأثير في فلسفة الإشراق ، وفي أوائل عمره وبدايات تفكيره الفلسفي كان صدر المتألهين يعتمد أصالة الماهية لأن العصر الفلسفي آنذاك كان عصر نبوغها ، ولذلك لم يحقق نجاحاً في إيجاد فلسفة استدلالية عميقة تصلح أن تكون جسراً للربط بين فلسفة المشاء وفلسفة الإشراق .

ولكن عندما استطاع صدر المتألهين من خلال المجاهدات والجهود وتزكية النفس وتهذيبها ، التوصل إلى حقيقة أن الأصالة هي أصالة الوجود ، وعندما استطاع طي مرحلة تكميل الفلسفة الاستدلالية عندها استطاع إخراج قضية أصالة الوجود ـ بعد تثبيتها ـ من قيد التباين الوجودي وينقلها إلىٰ آفاق التشكيك الواسعة ، وعن طريق « تشكيك الوجود » استطاع الجمع بين فلسفة المشاء وفلسفة الاشراق وفي الحقيقة بين العرفان والجدال ، بين العرفان والبرهان ؛

ويؤكد صدر المتألهين أن هذا الإنجاز الفلسفي العظيم كان محالاً تحققه دون هداية القرآن ، بالقرآن يبدأ طريق العرفان من القلب ، وبالقرآن يبدأ طريق البرهان من الفكر ، والقرآن هو الذي يُبين مشاهدات العارف والطرق الفكرية التي يطويها الحكيم ، فهو يوصلهما إلىٰ هدفٍ واحد ويهديهما معاً بمنهج سليم ؛ ولذلك يقول صدر المتألهين إنّ العرفان الذي يخدم القرآن ، والبرهان

الـذي يخدم القـرآن ، همـا عنصـران متكـامـلان وليسـا طـرفي نقيض وليسـا متقابلين ، فما يصل إليه الحكيم المتألّه هو نفسه الذي يقوله الحكيم المتفكر ، والحكيم المتألّه هو العارف نفسه ، والحكيم المتفكر هو الحكيم البحّاث .

وعندما طوت الفلسفة الإسلامية ـ بفضل هداية القرآن ـ ذاك النـزاع بين العرفان والبرهان وتحقق الائتلاف بينهما ، غابت في حوزات الفلسفة الإسلامية الأحاديث عن التناقض بين العرفان والحكمة ، فالحكمة تنظر بعين الاحترام إلىٰ العرفان والعرفان يعتبرها قاعدة وأرضية ، ومثلما أن المنطق هو أرضية الفلسفة ، فإن البحث الفكري والبرهاني هو أرضية العرفان ، فالإنسان يصل إلىٰ مقام أكثر تكاملاً من خلال الانتقال من المنطق إلىٰ الفلسفة ومن الفلسفة إلىٰ العرفان .

وعندما ترسخ هذا المطلب في الحوزات الإسلامية ، ظهر خلال القرون الأربعة الماضية طلبة وأساتذة ومؤلفون ومحققون حفـظوا هذا المحـور وأكملوه ووسّعوا آفاقه حيث لم يعد هناك نزاع بين هاتين المنهجيتين ، حتىٰ وصل الدور إلىٰ عصر العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالىٰ عليه) ، حيث استطاع نقل آثار صـدر المتألهين إلىٰ إطار أوسع في الحـوزات العلميـة الإسـلاميـة في إيـران وخارجها وترويجها بقلمه وبيانه .

كان للعلاّمة درسٌ عام يُدرّس فيه سطوح الفلسفة وبـداياتهـا ، وكان لـه درسٌ خصوصي يُدرِّس فيـه (خارج) الفلسفـة ومنتهياتهـا ويجيز الحضـور في الدرس الخصوصي لمن درس فلسفة المشاء والحكمة المتعالية ، وكانت هـذه الدروس أرضية تأليف العلامة لكتابي « بداية الحكمة » ، و « نهاية الحكمة » ،

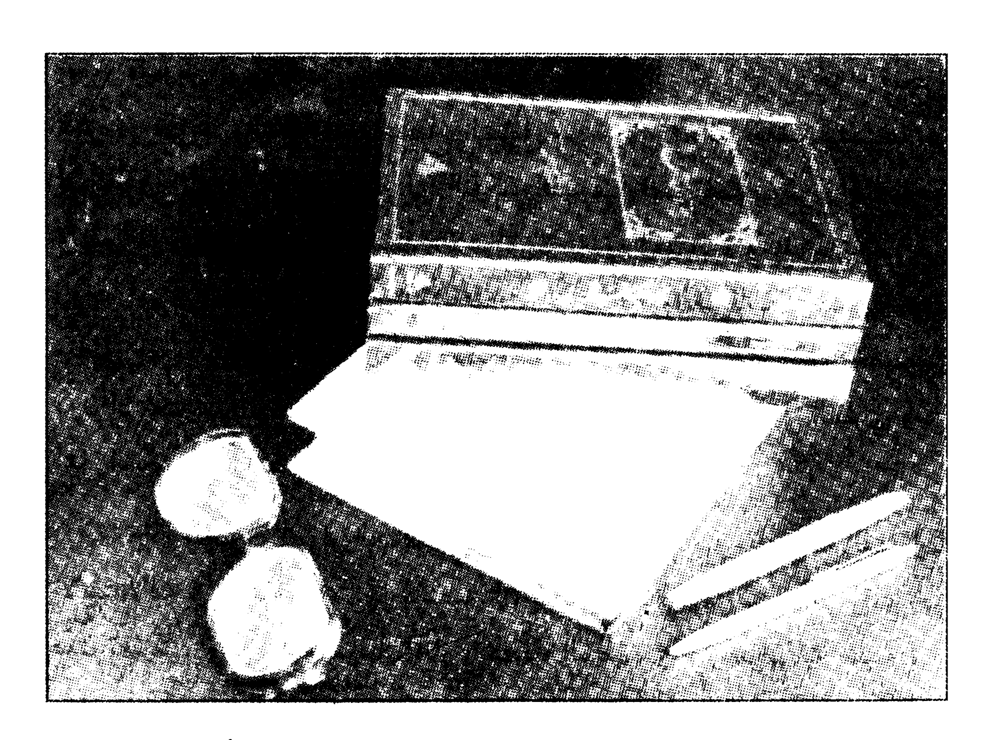
وعندما انتهت دورة خارج الفلسفة ، شرع بالعرفان ، فدرّس كتاب تمهيد القواعد لابن تـركة ، وعنـدما انتهت دورة العـرفان ، شـرع بالكتـاب والسنّة ، وتدريس بحوث عميقة في الآيات والـروايات الـواردة حول التـوحيد والنبـوة ، وحقائق وأسرار النفس ، والمعاد ، والجنة والنار والبرزخ والصراط والحساب ،

والقضايا الأخرىٰ التي وصلتنا ـ في المجاميع الروائية ـ عن أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) وببركتهم ، يعني أن العلامة الطباطبائي بدأ بالمنطق والفلسفة ثم وصل إلىٰ العرفان وبعده وصل إلى القرآن والسنّة وختم بها ، وهذا هو الطريق الذي يوصل الإنسان من خلال المقدمات إلىٰ النتيجة .

وعلىٰ مدىٰ ثلاثين عاماً فتح العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) ، سفرة إحياء الفكر الإسلامي هذه في حوزة قم العلمية ، وانتفع من ثمارها المباركة طلبةٌ كثيرون اكتسبوا من فيض هذا الأستاذ الإلهي ، بعضهم شاركوا في المرحلة الأولىٰ من دروسه ولكنهم لم يحصلوا علىٰ توفيق الحضور في المرحلة الثانية ، والبعض الآخر حظي بحضور المرحلة الثانية لكنه حُرم من المرحلة الثالثة ، وطائفة حضرت المرحلة الثالثة ولم تحظَ بالمرحلة الرابعة والخامسة ، أما الثلة القليلة فهي التي رزقت حضور جميع هذه المراحل مع أستاذهم ، في تدريس فلسفة المشاء ومن ثم الحكمة المتعالية ثم العرفان ثم التفسير والحديث ، وأحد أفراد هذه الثلة القليلة بل من أبرزهم هو آية الله الشهيد المرحوم مرتضى المطهري (رضوان الله تعالىٰ عليه) ، الذي جلس إلىٰ مائدة نضجت فلسفتها بعد الجمع بين فلسفة المشاء والإشراق والانسجام بين العرفان والبرهان وانتقالها إلىٰ خدمة القرآن حيث تكاملت الفلسفة .

كان الأستاذ هو العلامة الطباطبائي ، الذي كان في القرآن حكيماً بارزاً ، وفي العرفان عارفاً بارزاً وفي الفلسفة حكيماً شهيراً ، وكان التلميذ هو الشهيد المطهري صاحب القلب المتعلق الوله بالقرآن ، والعقل المودع عند العرفان ، والروح المرتبطة بالبرهان ، كان مفكراً ومن أهل القلوب والمعنويات .

إنّ الأمر المشهود في كافة سلوكيات الشهيد المطهري سواء في الاجتماعات الخاصة أو في حضور درس الأستاذ ، هو الحرية ، فقلبه متحررٌ وعقلُهُ متحرّر وبالتالي كان صاحب بيانٍ حرٍّ وقلم حرٍّ .



لقد فكّرت مراراً في أن الشهيد المطهري يمثّل امتداداً لأي من قدماء المحققين الإسلاميين ؟! فرأيت أنه جاء من البلاد نفسها التي جاء منها المحقق الطوسي ، لا أريد أن أقول أن الفاصلة بينهما قليلة ، بل هي كبيرة ، فعندما قال العلامة الحلي إنه تلميذٌ للخواجه نصير الدين الطوسي وإنه لم يرَ له نظيراً في عصره ، اعترضت عليه طائفةٌ قائلة لا تقل في « عصري » ، فنظائر الطوسي ثلة قليلة في جميع العصور ، بل إن ما أريد قوله هو أن المطهري نموذجٌ مصغّرٌ للمحقق الطوسي الذي كان محرراً جيداً في جميع الفروع العلمية ، في العرفان والبرهان والرياضيات بكافة أقسامها وفي الأخلاق وسائر المعارف الإسلامية الأخرىٰ .

والمحرر لا يُقال علىٰ مَنْ يحرر مطلباً ولا علىٰ مَنْ يكون قلمه حرّاً وإنشاؤه حراً وأدبه حرّاً ، فقد يكون أديباً بارعاً أو خطيباً مفوهاً لكنه ليس محرراً جيداً حتىٰ وإن عرض الموضوع دون حشوٍ وزوائد ، بل إنّ المحرر هو الذي

تحرر قلبُهُ من أسر الشهوة والغضب فتألقت أسرار العالم حرةً في روحه ؛ وتحرر فكرُهُ من الوهم والتخيلات فاستطاع التعامل مع حقائق العالم بعقلية فيلسوف حر لا تتطرق الأوهام إلىٰ منهجه في التفكير الفلسفي فهو يفهم بصورة صحيحة ويطبق ما يفهمه فلا يلوثه الشرك والأهواء ولا يأسره الطمع ، وعندها تتجلىٰ في روحه أسرارُ العالم من خلال المشاهدات الإشراقية والعرفانية وبصورة حرة وتصل هذه المشاهدات إلىٰ طرز تفكيره بصورة قضايا فلسفية وعلم حصولي دون أن تعتريها الأوهام والتخيلات ، فيصبح ذا تفكير حرّ في العقل النظري ومن أهل المعنويات والنظرة الحرة في العقل العملي .

وإذا ظهرت أسرار العالم في روح شخص بحرية وظهرت القضايا الاستدلالية في عقله ، عندها يستطيع أن يوضحها للآخرين ببيان حر وقلم حر دون تعقيد ، ومن هنا نجد أن آثار الشهيد المطهري (رضوان الله عليه) ، مفهومة واضحة لا تعتري بيانه وكتاباته زيادة ولا نقصان ، فهو كان يفهم المطالب بصورة جيدة صحيحة ويتلقاها بصورة سليمة ، وهذه من خصوصيات الشهيد المطهري ، ففهمه لم يكن مخلوطاً بالأوهام وعقله العملي لم يكن ممتزجاً بالأهواء ولذلك كان قلمه حراً أيضاً .

من بين الحكماء الإلهيين من وصفوا المحقق الطوسي بـ « المحرر » ، فقد استطاع أن يحرر بوضوح المسائل الفلسفية المعقدة لحكمة المشاء في شرحه « للإشارات » ، واستطاع أن يحرر بوضوح المسائل العرفانية وإشارات وتنبيهات ابن سينا في النمط التاسع والعاشر وكذلك الثامن منها ، كما أجاد تحرير مسائل الرياضيات والحساب والهندسة والهيئة والنجوم وقد عُرفت الكثير من كتابات الرياضيات في الإسلام باسم « تحريرات الخواجه نصير الدين الطوسي » ، لأن حرية الروح في الإنسان الحر تعبد الطريق له أمام قلم حر وبيان حر .

وعلىٰ هذا ولأن الشهيد المطهري انتفع من مائدة كانت فلسفتها ناضجة

وثرية ، وكان الأستاذ حكيماً عالماً مفسراً للقرآن وكان هو كفوءاً من كافة الجهات ، لذلك تألقت أنوار هذا الفيض الكامل في قلب هذا الحكيم المتألّه شهيدنا الشهيد المطهري (رضوان الله تعالىٰ عليه) ، ولذلك استطاع أن يجند عمره من خلال الفلسفة والعرفان في خدمة أهداف القرآن ، فهنيئاً له .

س : نعلم أنّ الأستاذ المطهري يؤمن بالارتباط الوثيق بين المعرفة الفلسفية وبين العقيدة وباستحالة الفصل بينهما ، وهذا ما يرفضه بعض الفلاسفة فيرجىٰ توضيح الخلفية التأريخية لهذه القضية أولاً ، وثانياً توضيح رأي الأستاذ المطهري بهذا الخصوص ثم يُرجىٰ توضيح الرأي المقابل ثالثاً ورابعاً حبذا لو تبينون رأيكم أنتم بهذا الصدد .

ج : العقيدة تعني الإيمان والمعرفة تعني العلم ، والأولىٰ هي الحكمة العملية نفسها فيما الثانية هي الفلسفة النظرية ، الأولىٰ هي بين نفس الإنسان والمطلب ـ المُعتقد به ـ وما بينهما هي الإرادة ، فالإيمان هو فعلٌ إرادي



اختياري ، فالإنسان يستطيع الاعتقاد بالمطلب الذي فهمه ويستطيع أيضاً رفضه ، أما المعرفة والفلسفة النظرية ، فليست كذلك ، فهي ليست فعلاً نفسيّاً ، فلا يستطيع الإنسان أن يقول أني أُريد فهمَ هذا المطلب أو لا أريد فهمه ، هو يستطيع أن يبحث في مقدماته أو يتجنب الخوض في بحثها ولكن عندما ينتهي من بحثها ويصل إلىٰ النتيجة فهو مجبر علىٰ فهمها ولا يستطيع أن يقول أنا لا أفهم .

أما العقيدة أو الحكمة العملية فهي فعل نفسي ، والنفس تستطيعُ بعد فهم مطلب ما أن تخضع له وتؤمن به أو أن ترفضه وتتمرد عليه ، ولهذا اعتبروا الإيمان من الحكمة العملية والمعرفة من الحكمة النظرية ، لقد قسموا الحكمة إلىٰ قسمين عملية ونظرية ، لأن المعرفة تتعلّقُ بأمور إما أنها لا تقع في دائرة اختيار الانسان فهي موجودة سواء كان الإنسان موجوداً أم لا ، أو أنها تتعلق بأمور ترتبط بوجود الإنسان ، فهي موجوده بوجوده ،

ومن بحوث الحكمة النظرية يمكن الإشارة إلىٰ البحث عما هو موجود في العالم وهل أن الواجب موجود أم لا والبحث نفسه يصدق على الوحي والنبوة والمعاد والملائكة والعلة والمعلول والقوة والفعل والحدوث والقدم ، وما معنىٰ القديم والحادث ونظائر ذلك .

أما البحث حول الإيمان والكفر والطاعة والتمرد والعصيان ، الظلم والعدل ونظائر ذلك فهي من مباحث الحكمة العملية وفيها يجب علىٰ الإنسان بعد بحثها ومناقشتها أن يحوّلها إلىٰ فعل عملي .

وعلىٰ هذا فالفصل بين الحكمة النظرية والحكمة العملية أمرٌ ضروري ولم يأت أحدٌ ليقول بأن العقيدة والإيمان جزءٌ من الحكمة النظرية ، ويمكن طرح قضاياها من خلال مقدمات الحكمة النظرية ؛ ولكن عندما قسموا الحكمة إلى نظرية وعملية وقسموا النظرية إلىٰ عدة فروع كالإلهيات والطبيعيات

والرياضيات والمنطقيات ، ثم قالوا إنّ من الممكن فقط إطلاق وصف الفلسفة دون قيد علىٰ الإلهيات والمباحث الإلهية فقط ، ولا يطلقون أسم الحكمة والفلسفة علىٰ الفروع الأخرىٰ وإن أطلقوا عليها فضمن قيد : كأن يقولوا الحكمة الطبيعية أو الحكمة الرياضية أو المنطقية ، أو كأن يقولوا الحكيم الرياضي أو المنطقي فلا يقولون للمتخصص فيها « حكيم » مطلقاً .

وبعد إجراء هذا التقسيم لتلك العلوم أصبحت تشمل كافة العلوم الاستدلالية ، فاعتبروا أن علوم المنطق والرياضيات والطبيعيات وكذلك الأخلاق هي من العلوم الفرعية الثانوية والعلم الكلي الوحيد هو الفلسفة العامة أو الفلسفة النظرية وهي (معرفة العالم) وهي التي تحدد موضوعات العلوم الفرعية ، كما أنها هي التي تحدد الكثير من مبادىء هذه العلوم ، إذاً فالحكمة العملية وهي نفسها علم الأخلاق وما شابهها يجب أن تأخذ مبادئها من الحكمة النظرية ، ما دامت أنها فرعٌ ، والحكمة النظرية هي الأصل ومنها يجب أن تأخذ المبادىء ، فالعقائد والحكمة العملية إذاً هي فرع تستند إلىٰ الحكمة النظرية ومنها تأخذ مبادئها كما هو حال الرياضيات والطبيعيات والمنطق مع ملاحظة الاختلاف في طريق أخذ الأخيرة عن طريق أخذ الحكمة العملية لمبادئها من الحكمة النظرية .

وما من حكيم يقول إننا نستطيع استنتاج قضية عقائدية تتعلق بإثبات وجود الموجود ـ إما بالقوة أو الفعل دون الاستناد إلىٰ قضية الموجود بالقوة أو الفعل وهي قضية فلسفية محضة ، فهذا محال ولم يقل به أي حكيم معروف ولا مجال لطرحه أصلاً ، والأمر نفسه يتعلق بقضية الموجود إما علة أو معلولاً فلا يمكن استنتاج قضية عقائدية ترتبط بها دون طرح قضية العلة والمعلول وهي قضية فلسفية بل إن الجميع يقولون بأنّ كافة العلوم ومنها الحكمة العملية تستند مبادئها إلىٰ الحكمة النظرية .

في الحكمة النظرية تُبحَث قضايا وجود الإله والقيامة والوحي والنبوة

والحساب والكتاب والجنة والنار ، فما هو موجود وما غير موجود هي من قضايا ومباحث الفلسفة والحكمة النظرية وفيها تطرح قضية وجود « مبدأ » يعلم ما يجب وما لا يجب ، في مبحث النبوة والرسالة يقول الفيلسوف الإلهي إن الوحي والنبوة والرسالة الشريعة موجودة وهذه ينفيها الفيلسوف المادي : الفيلسوف الإلهي يقول إن الشريعة هي نتاج الوحي والنبوة وهذه ينكرها الفيلسوف المادي ، أما ما هي الشريعة فهذا الذي تتولاه الحكمة العملية في حين أن أصل وجود الشريعة هو من مباحث الفلسفة والحكمة النظرية وهي التي تحدد لنا أن هناك مبدأ التشريع الذي يحدد ما يجب وما لا يجب وهو الله لا شريك له الله رب العالمين الإله الواحد والمعبود الواحد ، فإذا ما طوينا هذا المبحث ـ وهو من مباحث الفلسفة والحكمة النظرية الإلهية ـ نصل إلىٰ الحكمة العملية التي تصبح فرعاً علىٰ فلسفتنا النظرية ، فيقولون عندها إن ما يجب وما لا يجب علينا أن نأخذه من الوحي أم من الأفكار البشرية ؟!

ولما تقدم يقول شهيدنا الحكيم المرحوم المطهري (رضوان الله تعالىٰ عليه) بأن العقيدة (الحكمة العملية) هي فرعٌ من الفلسفة أو الحكمة النظرية ، ورأينا أيضاً هو يجب أن نأخذ العقيدة من الفلسفة .

إن الفيلسوف المادي الذي ينكر وجود الوحي والرسالة الإلهية والشريعة وينكر وجود « مبدأ » يحدد ما يجب أو ما لا يجب ، يشكل عقيدته من أفكاره الساذجة هذه ، فعقيدته هي إذاً فرع من فلسفته ، فالعقيدة هي تابعة لنوع واتجاه النظرة الفلسفية تكون إلهية إذا كانت إلهية وتصبح مادية إذا كانت النظرة الفلسفية مادية .

فمثلاً قضية يجب أن نصلي ويجب أن لا نغتاب هي من القضايا العقائدية ولكن مِن أين يأتي هذا الوجوب والحرمة ومن هو الذي يحدد ذلك فهذه من القضايا التي تبحث في الفلسفة ، فالفيلسوف الإلهي يقول إنّ الذي يحدد هو الوحي عن الله الواحد الذي لا شريك له وهذا ما ينكره الفيلسوف المادي وما

دام يجب وجود مَنْ يحدد ذلك لذلك فهو يرجعها إلىٰ الأفكار البشرية .

إذاً فالحكمة العملية هي فرعٌ والحكمة النظرية (الفلسفة) هي الأصل وهما ليستا منفصلتين، والفصل بينهما فصلٌ بين الثمرة والشجرة وليس فصلاً بين شجرتين بل إن الحكمة النظرية والمعرفة الفلسفية هي الشجرة وَتلك العلوم ثمرتها .

وعلى هذا يتضح أن الحق هو مع الشهيد المطهري (رضوان الله تعالىٰ عليه) فيما يقوله من أن العقيدة هي فرع عن الفلسفة والارتباط بينهما هو بالمعنىٰ المتقدم فكثير من المبادىء المهمة للقضايا الاعتقادية تحددها المعرفة الفلسفية وليس بمعنىٰ أننا نضع مقدمتين فلسفيتين ونصل منهما إلىٰ نتيجة اعتقادية ، فهذا ما لم يقله أي شخص ولم يتفوه به حكيم ، وهو خلطٌ لا يطرح في المباحث العميقة .

س : الأستاذ الشهيد المطهري لم يكن فيلسوفاً وحسب بل كان عارفاً إلهياً كبيراً كيف ترون البعد العرفاني في شخصية الأستاذ المطهري وآثاره علىٰ حياته الاجتماعية والفكرية .

ج : مثلما تقدم فالشهيد المطهري كان إنساناً حراً ، لذا فقد كان تأثير الحرية بارزاً في جميع أبعاد حياته التي كانت حياةً حرةً بفضل أن روحَهُ حرة لذا لم يُهزم لا في جهاده الأكبر ولا في الأصغر ، فتغلب علىٰ العدو الداخلي وحاربه بالعقل والقلب ، وتغلب علىٰ العدو الخارجي والطاغوت فجاهده بالقلم والبيان .

يقول الإمام الكاظم (عليه السلام) لأحد أبرز تلامذته : « يا هشام ! إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره »

وهكذا كان الشهيد المطهري ، فالرزق الذي تفضل به الله تعالىٰ جعله يصبح في الحكمة النظرية فيلسوفاً بارزاً وفي الحكمة العملية حكيماً متألهاً

شهيراً لا أن يؤدي به إلىٰ الغرور والتفاخر بل ضاعف تواضعه لأن :

شعر مترجم :

إن التواضع علامة الوصول للكمال
مثلما الفارس ينزل عن صهوة جواده عندما يصل المقصد

الشهيد المطهري لم يكن منشغلاً بما لديه بل بالحمد والشكر علىٰ ما أعطاه الله من رزقٍ حلال من علمٍ وافرٍ فقضىٰ عمره بشكر هذه النعمة ، لم يرتزق بنعمة العلم بل كان يشكر هذه النعمة من خلال صرفها في محلها المناسب ونشرها لم يكن أبداً يرتزق بعلمه ولم يكن أسيراً له ، لم يكن يرىٰ في العلم بضاعةً للمتاجرة بل كان العلم يُنير قلبه فيجعله صبوراً قبال كافة الوقائع السياسية فلم تفتّ في عزمه صعابٌ ومشاكل مهما كَبُرَتْ ، فلم يتملكْهُ رزق حلال ولم يُغرِهِ حرام ، فكان صبوراً عن الحرام شاكراً لله تعالىٰ علىٰ الحلال وما يقوله الإمام الكاظم (عليه السلام) ، لهشام نجده متجسداً في شهيدنا المطهري .

الإمام يقول لهشام : « يا هشام مَنْ سلّط ثلاثاً علىٰ ثلاث فكأنما أعان علىٰ هدم عقله ، مَنْ أظلم نور تفكره بطول أمله » .

فالآمال والأهواء والأماني العريضة تُسلّط ظلماتها علىٰ الفكر فتذهب بنوره فتحطم هذا البنيان المرصوص الذي أعطاه الله للإنسان « العقل » وتسلط الظلمات علىٰ مشاعره ، والفكر المظلم والمشاعر المظلمة ليست حرةً وكذا حال العلم إذا تسلطت عليه ظلمات الأهواء ، وبذلك يُقيّد صاحبه ، لذا فإن من حوّل نور تفكره بظلمات الأهواء فقد هدم عقله ،

وثانياً : « ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه »

فالذي يمحو أفكاره واستنتاجاته ومشاهداته الصحيحة بالكلام الباطل

والآراء غير المبرهن عليها فقد هدم عقله أيضاً ، فمن الفضول التفوه بالأحاديث غير النافعة والقيام بالأعمال في غير مواقعها وهي تذهب بالحكمة الصحيحة ، وهذا هو العامل الثاني في هدم العقل أما العامل الثالث فهو : « وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه . . . »

فالقيام بالأعمال الشهوانية والخضوع للشهوات يمنع الإنسان من الاعتبار من الحوادث الجارية ويهدم بذلك عقله : « وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه علىٰ هدم عقله . . . »

كثيرة هي الحوادث التي يستطيع الإنسان أن يتخذها معبراً للوصول إلىٰ مقصده وهي سبل الاعتبار ، ومن كان من أهل العبرة لا يسمح أبداً للشهوات والأهواء أن تطفىء نور باطنه وتهدم عقله فذلك يعني ضياع دينه ودنياه : ـ

« من هَدَمَ عقله أفسد عليه دينه ودنياه . . . »

والشهيد المطهري استطاع عقله الانتصار علىٰ هذه العوامل الثلاثة جميعاً وبذلك عمّر دنياه وآخرته ، فهنيئاً له .

س : إن أصالة ونقاء أفكار وآراء الأستاذ الشهيد المطهري تجعل أهميتها ومصداقيتها تتضاعف بمرور الزمان ، وبعبارة أخرىٰ فإن نتاجات الأستاذ تحظى بدعامات علمية ومنطقية وأصالة متينة ، فما هو سر هذا التوفيق ؟

ج : الشهيد المطهري كان قبل شيء تلميذ القرآن ، والقرآن يأمر الجميع والعلماء خاصة بأمرين ويشدد عليهما ، وهما أن: لا تقل ما لا تعلم، ولا ترفض ما لا تعلم ، ينقل المرحوم الكليني (رض) في كتابه القيم الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : « إن الله خصّ عباده بآيتين من كتابه :

« أن لا يقولوا حتى يعلموا . . . »

« ولا يردّوا ما لم يعلموا . . . ».

فعلىٰ المؤمنين أن لا يكتفوا بمجرد الاحتمالات للحديث عن موضوع ما قبل توافر الأدلة اللازمة عليه ، ولا ينخدعوا بمجرد اشتهار موضوع ما لتبنيه : ـ

« كفىٰ بالمرءِ كذباً أن يحدّث كل ما يسمع . . . »

فما هو بمتفكر من لا يضع بـوابة للتقييم بين سمعـه ولسانـه ، فيقول أو يكتب كل ما يسمع دون تمحيص ، وهذا تكليف قرآني يكون الإنسان كاذباً إذا لم يلتزم به فضلاً عن الخروج من وصف المفكر .

وإذا أراد أن يردّ موضوعاً ويدحضه أو يبطله فيجب أن يكون ذلك بالبرهان فالتكذيب مثل التصديق يستلزم برهاناً فلا يصح كلاهما دون تحقيق وبرهان .

ثم يوضح الإمـام الصادق استنبـاط هاتين القـاعدتين من القـرآن الكريم فيقول (ع) : ـ

﴿ ألم يؤخذ عليه ميثاق الكتاب أن لا يقولوا علىٰ الله إلا الحق . . . ﴾

وعن القاعدة الثانية يستشهد الإمام بآية من القرآن : ـ

﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله . . . ﴾ .

وسر كون أن كتابات الشهيد المطهري تتضح أصالتها بمرور الزمان ، هو أن الأستاذ كان محققاً في نفي الأفكار وإبطالها وفي إثبـاتها وتصـديقها ، كـان محققاً في تبنيها وفي ردها ، كان محققاً فيما يريد وما لا يريد فكلها عن عقـل وتفكير ، وكذلك الحال مع مواقفه تجاه الآخرين ومختلف القضايا في موالاتـه وبراءته في دفاعه وهجومه في صداقاته وعداواته ، ولأنه كان محققاً ونظام العالم هو نظام الحق لذا كلما مرّ الزمان تسامت درجته في العالم وترسخت موقعيته في القلوب لكونه كان راسخاً في العلم بحكم أن كـلامه كـان راسخاً في اليقين ، فهنيئاً له .

س : ماذا كانت طبيعة نظرة الأستاذ المطهـري ـ خلال مـرحلة الدراسـة



والتدريس ـ لموضوع ولاية الفقيه وحدودها ، وما هي آراؤه تجاه الحكم الإسلامي ، وكيف كان يتعامل مع الذين يحبسون ولاية الفقيه في إطار ضيق ؟

ج : الشهيد المطهري كان تلميذَ القرآن ، والقرآن مثلما يُبيّنُ بوضوح نظام التكوين يوضح بجلاء أيضاً النظام التشريعي ، ويوضح ضرورة الوحي والرسالة والشريعة لإدارة أمور الناس وضرورة وجود قيمين لإجراء وتنفيذ الأحكام الإلهية ، فإذا كان المعصوم حاضراً فيجب الرجوع إليه مباشرةً وإذا كان غائباً فيجب العمل بأوامره ،

والقرآن الكريم أمر بذلك : ـ ﴿ **أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . .** ﴾ .

وهذا الأمر طوليٌّ وليس عرضياً ، إذْ ان الأمر بالطاعة قد تكرر في النص فطاعة الله هي فوق إطاعة الرسول والأئمة وليست نوعاً واحداً ، وعلىٰ هذا يُفهم وجوب طاعة الرسول في تنفيذ المقررات والأحكام والأوامر ، فلا يكفي مجرد استماع أمر رسالته بل يجب طاعة أوامره أيضاً .

والمقصود من « أولي الأمر » هم الأئمة المعصومون لأن أمر الطاعة هنا

مطلق والطاعة المطلقة لا تصح إلا للمعصوم ، ولكن هم المعصومون الذين ورد في الأحاديث بشأن « إعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . » .

هؤلاء أمروا بالرجوع الإلزامي إلىٰ الفقيه الجامع للشرائط من أجل إدارة أمور الناس وتنفيذ الحدود الإلهية ، واعتبروا طاعته واجبة .

واستناداً لما تقدم واتباعاً للقرآن الكريم كان الشهيد المطهري يُؤمن بأنه وفي غيبة ولي الأمر « بقية الله أرواح من سواه فداه » ، يجب أن تكون الحكومة الإسلامية والزعامة الشرعية بيد الذي عيّنه الإمام (عليه السلام) وهو الفقيه الجامع للشرائط ، المهيمن علىٰ كافة المعارف الأساسية والفرعية للدين بحكم اجتهاده المطلق ، والصالح في إدارة مختلف الفروع بحكم توافر العدالة فيه وبحكم كونه من الحافظين لحدود الله .

والشهيد المطهري ـ واستناداً إلىٰ هذا الإيمان ـ كان يؤمن ويدافع عن ولاية الفقيه ويقول بوجوب تطبيق الإسلام بكافة أبعاده العبادية والمعاملاتية والعقود والإيقاعات والأحكام السياسية والحدود والجهاد والدفاع ، وجميعها لها أحكام في الإسلام ، ولا سبيل لإقامة ذلك إلا بوجود عارف بالإسلام فقيه كامل عادل مدير مدبّر عارف بخصائص الزمان غير خاضع لضغوط الواقع المعاش وهو نائب ولي العصر فيعمل علىٰ تطبيق الإسلام بكافة أبعاده ، ولهذا كان الأستاذ يقول عن الذين يحجّمون ولاية الفقيه في حدود الأمور الحسبية وما شابه ، بأنهمً لم يبحثوا جيداً في القضايا الإسلامية لأن معنىٰ قولهم هو الإعراض عن تطبيق قسم مهمٍ من أحكام الإسلام في عصر الغيبة .

ولأن الأستاذ الشهيد المطهري كان يتمتعُ بحالة من « شرح الصدر » لذلك كان يفهم الإسلام بالصورة التي يبينها القرآن الكريم وأحاديث أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، ولذلك كان يؤمن بوجوب تنفيذ وتطبيق جميع

أحكام الإسلام في عصر الغيبة علىٰ يد الولي الفقيه إلا بعض أحكامٍ كالجهاد الابتدائي والتي استثناها المعصومون أنفسهم .

س : سماحتكم كنتم تحضرون مع الشهيد المطهري دروس المرحوم العلامة الطباطبائي ـ الفيلسوف الإسلامي الكبير ، فكيف ترون استعداد المطهري وكفاءته في فهم مطالب تلك الدروس ، وكيف تقيمون آراءه واستنباطاته ؟

ج : كان حضور الشهيد المطهري «رض» في الدرس الخاص للعلامة بركةً لنا جميعاً ومبعثاً للتحليق في آفاق جديدة أوسع ، والدرس الذي كان يحضره كان مباركاً للغاية ، كان قليل الحديث ولكن ما يتحدث به كان ناضجاً ، كان مجتهداً حقاً مثلما قال عنه أستاذنا الفقيه العلامة الطباطبائي : « كل مطلب كان يطرح لا يكتفي الشهيد المطهري بفهمه بصورة جيدة ، بل كان يتغلغل إلىٰ أعماق روحه ، ثم وصل فيما بعد إلىٰ مرحلة أصبح فيها صاحب رأي في قضايا الفلسفة الإسلامية . . . » .

كان حضوره في الدروس الخاصة بارزاً واضحاً إذْ كان يتعامل مع القضايا المطروحة بنظرة مفكر إسلامي مجتهد ، إذا ردّ أحدٌ رأياً ما يناقش بتحقيق استدلالات الرد فإن كانت صحيحة أيّد ذلك ، وإذا تبنى شخصٌ فكرةً ما ناقش أدلة التبني فإن كانت صحيحة أيّد ذلك ، لم يكن يتعامل مع القضايا بمرور عادي ولا يكتفي بأنّ الأخرين قالوا كذا وكذا بشأنها ، كان يتعامل معها باعتباره صاحب رأي ومجتهداً في الفلسفة الإسلامية بكلا نوعيها (حكمة المشاء وحكمة الإشراق التي يُسمىٰ الجمع بينهما بالحكمة المتعالية وهذه تُشهد أفضل حالات نضوجها في فلسفة صدر المتألهين رضوان الله تعالى عليه) .

المطهري كان يتعامل مع هذه القضايا باعتباره متفكراً حكيماً متألّهاً ، وكان حضوره في تلك الدروس الخصوصية غنيمة لنا جميعاً .

س : في الختام نرجو التفضل بالحديث عن إحدىٰ ذكرياتكم مع الأستاذ الشهيد المطهري ، وبما تخاطبون الأمة ومحبّي الاستاذ الشهيد وقرّاء آثاره ؟

ج : لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يجمع الشهيد المطهري (رضوان الله تعالى عليه) بين الحوزة والجامعة ، ويوصل بين القديم والحديث والجامعة والفيضية ، وهذا ما لم نخطُهُ نحن ، أتذكر عندما ذهب إلى طهران للاشتراك في امتحان التدريس في جامعتها حصل على الرتبة الأولىٰ في العلوم العقلية وعلىٰ الرتبة الأولىٰ في العلوم النقلية ، وعندما عاد إلىٰ قم حدّثنا في غرفة المدرسة قائلاً : ـ إن لجنة الممتحنين كانت تطرح أسئلة عن مختلف القضايا الفلسفية ، فكان الآخرون يجيبون بأجوبة وأُجيب بأجوبة فتعجّبت اللجنة مما أجيب وقال أعضاؤها : « ماذا تفعل ؟! إنه يستحق أكثر من درجة العشرين (وهي الدرجة القصوىٰ في النظام التعليمي الإيراني ـ المترجم ـ) ، وقالوا لي لو كانت هناك درجة أكبر لأعطيناكها . . . » .

نعم كانت الدرجة التي يستحقها أكثر من ذلك ، وتلك الدرجة قليلة

بالنسبة له واستناداً إلىٰ ذكرياتي معه أقول إن الدرجة التي يستحقها لا يستطيع أن يعطيها له سوىٰ الله تبارك وتعالىٰ وتلك هي الدرجات الوارد ذكرها في القرآن .

في القرآن الكريم ورد أن للمؤمنين درجات عند ربهم وورد فيه أن هناك درجات المؤمنين ، ولكن المقصود هي الدرجة التي يعطيها الله تبارك وتعالىٰ لهم ، فتلك هي الدرجة .

أتذكّرُ أنه عندما أراد الأستاذ المطهري العودة إلىٰ قم المقدسة في آخر عمره ، جاء إلىٰ منزلنا وقال أُريد أن أبدأ درساً في مدرسة « سعادت » علىٰ أن يكون مرتين في الأسبوع ويسد نقصاً فكرياً ، فما هو الموضوع المناسب ؟! ، فتقرر أن يطرح النمطين التاسع والعاشر من كتاب الإشارات لابن سينا وهما في العرفان البرهاني ، فشرع بذلك منذ الدرس الأول ، فأقبل المشتاقون وأهل القلوب الحية إلىٰ درسه وحصلوا منه علىٰ منافع ومنافع ، وكان هذا الدرس مقدمة للدروس الأخيرة التي شرع بها بعد ذلك في قم .

أما الشيء الذي أحمله بعنوان « ذكرىٰ » عنه ، فهو أن أجره كان الشهادة في سبيل الله ، مَنّ بها الله تعالىٰ عليه ، وما من أجر أسمىٰ من هذا الفيض الموهوب .

لقد قضىٰ سني كهولته « ما بين الخمسين والسّتين عاماً » بالطهارة ولم يكتفِ أخيراً في الجمع بين العرفان والبرهان ، بل جعل البرهان في خدمة العرفان والاثنان كان يجريهما في حديث القرآن ، كانت روحه روح القرآن مثلما كانت روح الأستاذ العلاّمة الطباطبائي .

العلاّمة وبعد أن طوىٰ كافة المراحل عمد للقرآن ، والشهيد المطهري وبعد أن طوىٰ كافة المراحل عمد إلىٰ الوحي والنبوة والمباحث القرآنية ، ذهب إلىٰ النبع الذي لا يمكن الوصول إليه دون حضور ، وبحسب وصف شعر حافظ الشيرازي الذي يصفه صدر المتألهين بأنه « لسان العرفاء وناظم الأولياء» :

(شعر مترجم) :

حقيقة الوصول في مجيء الحضور دون دم قلب ينزف

فما السعي والعمل بمقابل لكل تلك الجنان

إن الذي تفضّل به تعالىٰ علىٰ المطهري هو هذه الشهادة ، فتلك الروح اللطيفة كان من الحيف أن تُحرم الشهادة ، إن ذكرياتنا عن هذا الصديق الجليل عمق استعداده لتقديم كل وجوده هديةً إلىٰ الله ، لم يكن يُفكر بالعيش حياة « المفكرين » بل كان همه أن يكون إنساناً عاشقاً لله .

(شعر مترجم) :

أهل الأسحار في سكرة الليل . . .

يقبضون الكأس بقوة . . .

فوجهتُ العقل إلىٰ مدينةِ وجوده

وجهّزته متاعاً هو ذاك الشراب

ذاك الشراب الذي يسكر الانسان وينقل العقل من دنيا الوجود إلىٰ عالم الفناء ، هو الذي يوضحه ما ينقله أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره « مجمع البيان » عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذيل قوله تعالىٰ : ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهورا . . . ﴾ .

حيث يصفه الإمام (ع) بأنه : « شرابٌ طهورٌ يطهّركم عما سوىٰ الله . . . » .

وهو الشراب الذي يقصده حافظ الشيرازي في قوله :

(ترجمة شعر) :

حبيبي بائع الشراب لحظني بطرف عينه

فأمنت من مكر الزمان

فخاطبته وهو ذو الحواجب الهلالية . . . أن وجّه سهامك إلىٰ العتاب
لا تُطرف عينيك يا هذا . . . إذا ما رأيتَ نفسك في الوسط

إن ذكرياتنا عن الشهيد المطهري توضحُ أنه لم يكن يريد أن يرىٰ نفسه في الوسط ، وما دام الإنسان حيّاً فلن يرىٰ الله ، وما دام يفكر برأسه فلن يرىٰ الله ، فإذا قدم رأسه لله في وادي الشهادة فعندها سيرىٰ - بعين الروح - الله تبارك وتعالىٰ ، وإلا فما دام حيّاً فهو مشمولٌ بهذا الحكم : -

(ترجمة شعر) :

إذهب وانصب شباكك لطائر آخر
فعشُّ العنقاء أبعدُ من أن تناله

الإنسان الحي يستطيع أن يدرك المفاهيم العادية ولكن ليس بمقدوره إدراك الحضور والشهود الإلهي :

(ترجمة شعر) :

أعطني السفينة لأبحر متقدماً في هذا البحر بلا ساحل
فالنديم والمطرب والساقي هم جميعاً هو . . . وتوهم الماء والطين ذريعة لا أكثر
إنّ وجودنا يا حافظ هو لغزٌ . . . لا يثمر حلّهُ سوىٰ فتنةٍ أو أسطورة

وحلّ هذه المعضلة محالٌ إلا بالشهادة ، والمطهري حلها لنفسه وللكثير من أصدقائه ، إذا كانوا يقولون له : إبق ، فأنت كاتب وعمرك مبارك بالخدمة النافعة يجيب : -

(ترجمة شعر) :

وصال الحبيب خيرٌ من الخلود . . . اللهم فأعطنا الأفضل

ضربني بالسيفِ فكتمتُ ولم أخبر أحداً ... فالخير هو في حفظ سر الحبيب

إن الاحتراق بنار العبودية هو والله خيرٌ من ملك العالمين

«عندما استطاع تصديق « أن وصال الحبيب خيرٌ من الخلود » فقد سلك في أفضل السبل فهنيئاً له .

لقد سعىٰ علىٰ الدوام أن يكون موفقاً ولكنه طوىٰ فترة الكهولة بأفضل وجه ، فلم يلوّن كهولته أبداً بأفعال الشباب ، وتعاظم عشقه المقدس في هذه الفترة حتىٰ جاور الشهداء ، ومثلما رافق العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالىٰ عليه) حشر معه بعد شهادته أيضاً وهما الآن معاً في ديار الخلد : ـ **﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ﴾** .

نرجو أن نتوفق جميعاً لطي هذا الطريق ، أن نكون من عشاقه وطلابه وسالكيه ، فبذلك نصل إلىٰ الغاية والمقصد وإلا فلا سبيل للمقصد أبداً :

(ترجمة شعر) :

تطهّر وكن صافياً واخرج من مستنقع الطبيعة

فمحال للماء الملوث بالتراب أن يعطيك الصفاء

هذا الصفاء لا يوجد في عالم الطبيعة ، والإنسان الطبيعي محالٌ أن يصفو الإنسان الأسير للماء والطين محال أن يطوي زقاق المعشوق .

أسأل الله تعالىٰ أن يحشر الشهيد المطهري وسائر شهداء الثورة الإسلامية مع أرواح الأنبياء والأولياء ،

وأن يوفقنا لأن يكون لنا زادٌ من العرفان القرآني ، وزادٌ من معرفة الله ورسوله وأهل بيت العصمة والطهارة .

وحيث أن الظهور الحالي لهذه المعارف الإسلامية المقدسة وتوجه

الجماهير إليها جاء ببركة الثورة الإسلامية بقيادة مؤسس الجمهورية الإسلامية ولي المسلمين نائب إمام العصر ، متع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه الشريف - (المقابلة أجريت في حياة الإمام الخميني - المترجم) - إمام الأمة الخميني دام ظله الشريف ، لذا ندعو الله تبارك وتعالىٰ مقسمين بحق محمد وآل محمد (عليهم السلام) أن يؤيد هذا المرجع العظيم بألطافه الغيبية ، ويجعلنا من السائرين في طريق الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين . . . غفر الله لنا ولكم والسلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين .

نشكركم كثيراً علىٰ ما نفعتمونا به ، نسأل الله أن يحفظكم وأنتم من الذخائر العلمية والدينية ويعينكم في دفع مسيرة السير نحو تحقيق الأهداف الإسلامية .

نقلاً عن مجلة سروش

شهيد يتحدث عن الشهيد . . .

(نص مقابلة مع حجة الإسلام والمسلمين الشهيد الشيخ فضل الله المحلاتي)

س : متىٰ تعرّفتم علىٰ الأستاذ الشهيد المطهري وماذا درستم عنده ؟!

ج : في عام (١٣٦٥ هـ . ق) وبعد دراستي لقسمٍ من المقدمات هاجرتُ إلىٰ قم ودرست عند الأستاذ المطهري جانباً من معاني البيان (المطول) ، وبالخصوص فصل البيان بأكمله ، كما درست عنده قسماً من (المنظومة) ، إضافة لذلك انتفعت من درس الأخلاق الأسبوعي الذي كان يلقيه في غرفة الطلبة الطهرانيين ، وفي عام (١٣٨٠ هـ . ق) ـ وبعد ذهابه إلى طهران ـ كنا نحضر بمعيّة المرحوم شاهجراغي وحجّة الإسلام شريعة مداري درسه في شرح (الأسفار الأربعة) لصدر المتألهين ، ثم بدأ الأستاذ بتدريس الاقتصاد الإسلامي في مدرسة (مروي) فشاركت في دروسه إلىٰ عام (١٣٨٣ هـ . ق) .

س : ما هي أبرز خصائص الأستاذ المطهري باعتباره مدرساً إسلامياً ؟

ج : مُنذ البداية كان الشهيد معروفاً في قم المقدسة بالفضل والعلم ، وكان وآية الله المنتظري يُعتبران من أبرز تلامذة آية الله العظمىٰ البروجردي ،

وكان الإمام الخميني يأتي عصراً إلىٰ غرفة الشهيد المطهري في المدرسة الفيضية ليلقي عليه وعلىٰ آية الله المنتظري درساً خصوصياً في الأصول ، كما كان للإمام دروسٌ خصوصية أخرىٰ يشترك فيها (٥ ـ ٦) أشخاص ـ بضمنهم المطهري والمنتظري وبذلك درس المطهري الفقه والأصول والفلسفة والعرفان والأخلاق عند الإمام الخميني ، واستناداً إلى ذلك ، أعتقدُ أن مباني وجذور آثار الشهيد المطهري كافة مصدرها الإمام الخميني وكذلك الحال مع فضائله الأخلاقية والروحية وكمالاته هي نتيجة أُنسه وتعلقه بالإمام ، كما أن الأستاذ الشهيد كان يطلب العلم للفقه والعقل لا من أجل غايات أخرىٰ .

س : ما هو مقصودكم من أن دافع الأستاذ لطلب العلم هو الفقه والعقل ؟!

ج : لتوضيح الموضوع أنقل حديثاً من كتاب (الأربعين) للإمام الخميني ، وقد حصلت علىٰ نسخة خطيّة منه قبل ثلاثين عاماً من المرحوم آية الله السيد مصطفى الخميني ، وقد نقلتُ منه إلىٰ حدود الحديث الخامس عشر إلىٰ دفتر خاص ، والحديث الذي أشرتُ إليه هو : في أصول الكافي عن علي بن إبراهيم عن الإمام الصادق (ع) قال :

« طلبةُ العلمِ ثلاثةٌ فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ، صنفٌ يطلبه للجهل والمراء ،

وصنف يطلبه للاستطالة والختل ،

وصنفٌ يطلبه للفقه والعقل »

وتعلمون أن هناك في الإنسان غريزة حب الاستطلاع وبها يسعىٰ لمعرفة كل شيء حتىٰ لو لم يكن ذا علاقةٍ بحياته ، الحديث المتقدم يوضح أن هناك فئة يسعون بصدق لمعرفة مَنْ هو خالق العالم ، ومِنْ أين أتينا ، ما هو معنىٰ الوجود ، وما هي حقيقتنا . . . ، ولهؤلاء يعتبر العلم مطلوباً لذاته وليس وسيلة

لتلبية غرائز أخرىٰ ، والإمام الصادق يؤكد في الحديث المتقدم أنّ العلم الحقيقي الذي يُسعىٰ له من أجل الفقه والعقل ، هذا العقل بالقوة الذي يتحول بالعلم إلىٰ علم بالفعل ، ثم يوضحُ (عليه السلام) صفات هؤلاء من تواضع وتهجّد في الأسحار ، وعملٍ بما يعلمون ومعرفة بأحوال الزمان . . .

والخلاصة أن العلم أثّر فيهم وخلق فيهم الفضائل الانسانية وبها عرفهم الناس ، وبالطبع علىٰ هؤلاء ـ كما يحذّرهم الحديث ـ أن يخافوا ويحذروا من الانحراف وفي نهاية الحديث يقول (عليه السلام) : ـ « فشدَّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانَهُ » .

وينبغي هنا الإنتباه إلىٰ أن علىٰ المعلم المرشد أن يكون من الطائفة الثالثة ، فلو طلب العلم من أجل الكمال والفضائل حصل عليها وعندها يستطيع نقلها للآخرين .

إننا نقول بوجوب توافر العصمة في الأنبياء ، لأن المعلم غير المتعلم، فالأول (المعلم) يجب أن يكون ذا فضائل وقلب زكي وبه يستطيع أن ينثر حبوب المعرفة ، فالحصول علىٰ هذا القلب مهمٌ جداً ،

نعود إلىٰ الموضوع الأساسي ، فالأستاذ المطهري كان حقاً من تلك الطائفة الطالبة للعلم من أجل الفقه والعقل ، تعلم من الإمام الخميني ما استطاع ، ومن درس المرحوم الشيخ علي الشيرازي ، حصل على الكثير من معارف نهج البلاغة وكلما سمع بصاحب كمالات ذهب إليه للحصول عليها ، كان عاشقاً للكمال ، كما كان من أهل التفكر والتدبّر وهذه من خصائصه الأخرىٰ يرفض الانقياد الأعمى ولذلك أصبح مجتهداً وصاحب رأي في القضايا الفلسفية . . .

س : ما هي خصوصيات الأستاذ في التعليم والتدريس ؟

ج : كان له خصائص كثيرة في هذا المجال ، من كفاءة وقوة بيان ،

وحلاوة النثر ، كان ينهج الأسلوب النبوي في التعليم فيخاطب الناس بملاحظة مستوىٰ عقولهم ، وامتاز بقدرة كبيرة علىٰ تبسيط المطالب العميقة إلىٰ المستوىٰ الذي يفهمه السامع ، وهذه الملاحظة مشهودة أيضاً في كتبه التي لها قراءٌ من مستويات مختلفة ، لقد كتب هوامش ومقدمة كتاب « أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة » وكتب أيضاً كتاب « القصص الحق » .

وكان له تأثيرٌ بالغ علىٰ طلبته لأنهم كانوا يؤمنون بعلمه وبتقواه أيضاً ، وكان يدعوهم إلىٰ كسب العلم والفضائل كما كان يحترم ويكرّم أصحابها ، وفي المجال السياسي كان علىٰ الدوام يسعىٰ لترشيح أصحاب الفضائل الحقة لمسؤوليات الثورة .

س : كيف كان تعامل الشهيد المطهري مع التيارات المختلفة ؟

ج : تعلمون أن أبرز صفات الشهيد هو تعبده والتزامه بالعقائد والأحكام الإسلامية وتعمقه فيها ، ولذلك كان يشخص الانحرافات قبل الآخرين ويجاهدها فواجه ذوي الظاهر العلمائي الديني الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام ، وتصدّى بشدة للتيارات المنحرفة ـ صغيرة كانت أم كبيرة ـ خاصة تلك التي تتبنىٰ أفكاراً غير أصيلة وتدعي أنها إسلامية ، عندما أقدمت مجموعة « فرقان » المنحرفة علىٰ نشر نشرات تفسيرية للقرآن قال الأستاذ المطهري في اجتماع لجماعة العلماء المجاهدين في طهران « هؤلاء خطرون لأنهم يتصرفون في القرآن وهذا غير العدوان علىٰ الأموال والعلم . . . إنه عدوان علىٰ الوحي » وقال أيضاً لاصدقائه « إنني سأتصدّىٰ لهؤلاء . . . قد يقدمون علىٰ قتلي ، ولكني سأقول كلمتي لأن هؤلاء خطرٌ علىٰ الدين » .

نعم الأستاذ المطهري كان لا يتجاوز عن أي انحرافٍ ، فعندما كان بعض العلماء يسكتون عن انحرافات منظمة « مجاهدي خلق » لبعض الاعتبارات السياسية كان الأستاذ يقول في اجتماع لجماعة العلماء المجاهدين : « يجبَ

علينا أن نصدر بياناً نحدد فيه موقفنا من هؤلاء » .

كان معارضاً للقوميين بشدة ويعتقد بأن النزعة القومية انحراف ، والقوميون أيضاً كانوا معارضين له فمثلاً رفضوا مرة بشدة اقتراحاً بأن يلقي خطاباً في احتفال بمناسبة النصف من شعبان (ذكرىٰ مولد الإمام المنتظر) ، واختاروا شخصاً آخرَ يطابق أهواءهم ، واستمرت معارضة المطهري لهذا التيار المنحرف بعد الثورة بصورة مشهودة ، وهناك تعليقٌ له ـ لعلي لم أنقله من قبل ـ بشأن الحكومة المؤقتة حيث قال بشأنها « لقد أطلقوا علىٰ كل حكومة من الحكومات السابقة اسماً ، كحكومة المصالحة الوطنية . . . ، وأنا أُسمّي الحكومة المؤقتة بحكومة الحمقىٰ ، فقد سيطر عليهم الغرور حتىٰ أصبحوا يرون أنفسهم أصحاب رأي في مقابل الإمام الخميني » ،

والخلاصة أن الأستاذ ولشدة تعبده والتزامه بالإسلام كان يتصدىٰ لكل تيار انحرافي .

س : هل كانت للأستاذ هذه الحساسية نفسها تجاه القضايا السياسية في البلد ؟

ج : لم ينعزل الشهيد المطهري عن القضايا والنشاطات السياسية أبداً ، ففي الأعوام التي سبقت عام (١٣٧٠ هـ .ق) كنتُ علىٰ ارتباط بمنظمة « فدائيي الإسلام » ، وكنا ننقل قضايا النشاطات السياسية للمنظمة إلىٰ آية الله العظمىٰ البروجردي عن طريق الشهيد المطهري وهو أستاذنا الذي نعشقه .

في عام (١٣٨١ هـ .ق) وعندما أعلن الإمام الخميني جهاده ضد الطاغوت تشكلت جماعة العلماء المجاهدين التي كانت تضم حجة الإسلام المهدوي كني وحجة الإسلام الرفسنجاني ـ الشهيد البهشتي كان في ألمانيا آنذاك ـ ، وباستثناء الفترات التي كان الاخوان في السجن ، كانت الجماعة تعقد اجتماعاتها بانتظام ولكن بسرية ، ومُنذ البداية كان المطهري القوة المنظرة

للجماعة ، ويعمل عمل الرأس والعقل بالنسبة لبدن الانسان .

وعلىٰ رأس تنظيم وهيئة « الائتلاف الإسلامي » كانت هناك لجنة علمائية تضم عدة علماء منهم الشهيد المطهري والشهيد البهشتي وحجة الإسلام مولائي ، ويجدر التذكير بأن الدور الأساسي في انتصار الثورة إنما كان للعلماء لا لغيرهم .

وكانت جماعة العلماء المجاهدين في طهران على ارتباط مباشر بالإمام الخميني تهدي جهاد الشعب وتدفعه إلىٰ الإمام ، وكان لتنظيمات الجماعة نشاطات في ثمان مناطق ، ويشرف علىٰ كل منطقة إثنان من العلماء الواعين المؤمنين وكل هذه التنظيمات تخضع للجنة علمائية عُليا لا تختص بمنطقة دون أخرىٰ بل تشرف علىٰ جميع المناطق وتحدد مسار نشاطاتها ، وهذه اللجنة تتألف من اثنين إلىٰ ثلاثة أعضاء والشهيدان المطهري والبهشتي كانا من أعضائها .

لقد كانت الكثير من البيانات الصادرة عن جماعة العلماء المجاهدين بقلم الأستاذ المطهري ، كما أنه هو الذي كتب مسودة نظامها الداخلي ، وهو النظام



الذي تمت المصادقة عليه بعد استشهاد المطهري خلال اجتماع للجماعة عُقد في مدينة كرج برئاسة الشهيد البهشتي ، ومع الأسف فقد استشهد البهشتي أيضاً بعد هذا الاجتماع بيومين .

بُعيد انتصار الثورة ، قامت العناصر المتسللة يوماً بترك الإعلان عن صفة (الإسلامية) من اسم الثورة ، في محطة الاذاعة والتلفزة ، وفي اليوم التالي ذهبتُ للقاء الإمام الخميني ، فوجدت الشهيد المطهري عنده ينقل إليه خبر ترك هذا الإعلان وقال للإمام : « يجب تطهير الإذاعة والتلفزة من وجود عناصر التيارات المنحرفة » فعمد الإمام الذي كانت له أيضاً حساسية كبيرة تجاه هذا الأمر إلىٰ استدعاء مدير مؤسسة الإذاعة والتلفزيون آنذاك « قطب زادة » وأمره بوجوب الالتزام باسم « الثورة الاسلامية » دون أن يهتم بأيّ كان .

وخلاصة الحديث أن الشهيد المطهري كان الرأس والقوة المنظرة منذ تأسيس تنظيمات جماعة العلماء المجاهدين تحت قيادة الإمام الخميني ، وهذه الحقيقة كان يعرفها الأعداء أيضاً ولذلك وجّهوا ضربتهم الأولىٰ للشهيد المطهري .

إن للمطهري حقاً عظيماً علىٰ الثورة الإسلامية والأمة الإسلامية وليس غريباً أن يصفه الإمام بأنه « كان ثمرة عمري » ، جاء في الأحاديث الشريفة أن « مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء » والشهيد المطهري جنّد قلمه وبيانه لتعريف وتبليغ صورة الإسلام النقي ثم قدّم دمه .

س : نرجو توضيح حساسية الأستاذ السياسية بعد انتصار الثورة أيضاً ؟

ج : أعتقدُ أني أجبتُ علىٰ ذلك بمقدار ما ضمن جواب السؤال السابق ، وأضيف هنا ، أن لجنة استقبال الإمام الخميني كانت مؤلفة من ثلاثة أشخاص هم الشهيدان المطهري والمفتح وأنا (الذي ما زالت حيّاً مع الأسف) ، وكان الشهيد المطهري هو الذي يديرُ كافة أمور وبرامج الاستقبال ، في تلك الأيام

أدرك الأستاذ بفراسته الخاصة أن هناك تياراً خاصاً يسعىٰ إلىٰ الالتفاف علىٰ الإمام عندما كان مقيماً في مدرسة (رفاه) ، فطرح الأستاذ هذا الموضوع مع آية الله المنتظري ، فعملا علىٰ نقل الإمام إلىٰ مدرسة (علوي) ، ولم يسمحا لذلك التيار المنحرف بتنفيذ مؤامرته .

كان منذ البداية يراقب بحذر الأوضاع ويحبط كل مؤامرة ، وكان الإمام ولثقته به يوافق علىٰ تعيين مَنْ يرشحه المطهري للمسؤوليات المختلفة ، وكان الأستاذ يسعى إلىٰ اختيار الفرد المناسب لكل مسؤولية ، ونذكر هنا علىٰ سبيل المثال حكم تعيين الإمام الخميني لحجة الإسلام المهدوي كنّي لرئاسة لجان الثورة الاسلامية وحكم تعيين حجة الاسلام الإمامي الكاشاني كمشرف علىٰ مدرسة الشهيد المطهري العالية (كان اسمها قبل الثورة مدرسة سبهسالار) .

س : كيف كان إحساسكم تجاه استشهاد الشهيد المطهري ؟

ج : ورد في الروايات أنه عندما استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء أحد أصحابه ووقف علىٰ قبره وحثا علىٰ رأسه التراب وخاطب الأمير (عليه السلام) بخطابٍ عبّر عن عمق تفجّعه للمأساة مشيراً إلىٰ أنّه رغم انّ الإمام (ع) عاش طيباً ومات طيّباً إلا أن قلوب محبّيه لفقده دامية ، وهذا نفسه ما أحسسته يوم استشهاد العلامة المطهري ، ولقد كان حقاً أصعب يومٍ في حياتي .

نقلاً عن مجلة (رشد معلم)

« نص مقابلة مع حجة الإسلام فاكر عن الشهيد المطهري »

س : كم سنة درستم عند الأستاذ المطهري؟!

ج : توفقتُ للتلمذة على يدي الأستاذ خلال العامين الأخيرين من حياته المباركة .

س : ما هي برأيكم أبرز خصائص الأستاذ في التعليم والتدريس ؟

ج : كان يحظىٰ بعدة مميزات معنوية في مقام التدريس أثمرت الكثير من نجاحاته في هذا المجال وأبرزها :

١ ـ كان يقوم بمهمة التدريس باعتباره عبادةً وواجباً دينياً ، فالمدرس المهني لا تنحصر مصاديقه فيمن يستلم أجراً مقابل التدريس ، فهناك من لا يستلم أجراً ولكنه يتعامل مع التدريس كمهنة فحاله حال الكاسب الذي يذهب صباحاً إلى دكانه لممارسة مهنته ، ومثل هذا المدرس دكانه مدرستُه ، فمثلاً هناك من المدرسين من يصيبه الضجر والملل بعد التقاعد من الجلوس في المنزل فيذهب إلىٰ المدرسة للتدريس دون مقابل ولكنه يتعامل وفق روح المهنة .

ولكن هناك من المدرسين مَنْ يرىٰ في التدريس واجباً ، فهو يدرس لكي يُعلّم هذا التلميذ شيئاً ويساهم في إنقاذ المجتمع وتقدمه ، وهكذا كان الأستاذ المطهري وهذه إحدىٰ أبرز خصائصه البارزة ، حيث يشعر كل من جلس في دروسه أنه يتعامل مع التدريس باعتباره واجباً شرعياً عليه .

س : وما هي آثار هذه الميزة ؟

ج : تعلمون أن الصلاح نورٌ والنور لا يمكن إخفاؤه ، فالإنسان يحس بهذه الميزة من طريقة التدريس وحركات الأستاذ وسكناته ، ففطرتنا إلهية إنسانية



وهي من سنخيّة الصبغة الربانية للأستاذ ، فتجذب إحداهما الأخرىٰ ، وتأثير هذه الفضيلة يظهر وفق الأسس المعنوية الحاكمة في العالم .

٢ ـ الميزة الثانية هي أن التلميذ عندما كان يجلس في درس المطهري ينشدّ إليه متأثراً بـ « كل الأستاذ » وليس بما يقوله ويبرهن عليه فقط ، وهذا من أهم أسرار حسن التعليم والتربية .

لو انحصر اقتناع وتأثر التلميذ ببراهين الأستاذ دون شخصه لانحصر دور الأستاذ بدور المسجل الصوتي ، أما الأستاذ المربي فهو الذي يتأثر التلميذ ويقتنع به نفسه وبأخلاقه إضافةً إلىٰ علمه واستدلاله ، وهذه الحالة تحصل عندما يتوفر في الأستاذ أمران هما :

ألف : النضوج والعمق العلمي .

باء : التقوىٰ والصلاح الأخلاقي .

من الناحية العلمية كان الأستاذ المطهري يلتزم بعدم طرح مسألة ما علىٰ تلامذته قبل أن تتضح له أولاً بصورةٍ كاملة ولهذا لم تكن تصعب عليه الإجابة تجاه أي سؤالٍ يُثار حول القضايا المطروحة في درسه .

ومن الناحية الأخلاقية فقد كان يمثل قدوةً لطلّابه ، فالفضائل المعنوية لا يمكن نقلها بالبيان واللسان فهذا وسيلة نقل العلم وليس الإيمان ، وورد في الحديث الشريف : « جالسوا من يذكركم بالله رؤيته ، ويزيدكم في العلم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله »[١] .

ويُفهم من الحديث أن البيان والمنطق يزيدان في العلم ولكن الذي يزيدُ في إيمان القلب بالله تعالىٰ فهو رؤية الرجال الربانيين ومشاهدة عملهم ، والمعلم الذي تتوفر فيه المواصفات المذكورة في الحديث المتقدم يتعامل مع

---

(١) أصول الكافي / ج (أبواب العلم) .

تلامذته بحيث يقتنعون بكل وجوده علماً وأخلاقاً وبدون ذلـك لا يختلف حالـه عن المسجل الصوتي ، أما إذا كانت أخلاق الأستاذ مدعاةً لنفرة التلاميذ فالآثار تكون عكسية .

٣ ـ لم يكن الأستاذ (المطهري رحمة الله عليـه) ليستصغر أبـداً أيّاً من تلامذته بل كان يستمع باحترام لما يقولونه ويحل إشكالاتهم إما في وقت الدرس وإما بعده إذا لم يبق منه ما يكفي ، وهذه الخصوصية تجلّت في عمله التحقيقي أيضاً وكان تأثيرهـا أكبر في هـذا المجال ، فهـو كان يصغي لأقـوال المخالفين ويحللها بصورة جيدة ويُعدّ الأجـوبة المنـاسبة ولهـذا لا نجد في إيـران نظيـراً للأستاذ المطهري في إحاطته بآراء المخالفين وأدلتها ويمكن الادعاء هنا أنه قد تقدم في هذا المجال حتىٰ علىٰ أستاذه العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه) .

المطهري كان يحترم طلابه وكـان رؤوفاً بهم : كـان يرفق بـنـا كثيراً ، قصيرةٌ هي فترة العامين التي توفقت خلالها للدراسة عند الأستاذ ولكنها كـانت ثرية بفضل سمو أخلاقياته المربية ، كان يدعونا لمنزله ويأتي إلىٰ منزلنا ، وهذا التواضع كان له تأثيره الكبير ويشكل إحـدىٰ المميزات الأسـاسية في شخصيـة المطهري الأستاذية .

س : كيف يمكن للأستاذ إيجاد مثل هذه العلاقة مع حفظ حرمة عـلاقة الأستاذية ؟

ج : حرمة الأستاذ منشأها وقارُهُ لا تكبُّره ، الرسول الأعظم (ص) كـان يلتقي بالكثير من الأجلاف وأعراب البادية ولكن وقارَهُ كان يجبرهم علىٰ احترامه وتوقيره ، والأستاذ الناجح هو الذي يجمع بين هذا الوقار وبين العلاقة المتينة مع تلميذه ، وهذه العلاقة المتينة لا تعني أن يذهب الأستـاذ للعب كرة القـدم مع تلميذه ، بل إنها تعني مثلاً العناية بشؤونه وملاقاته بوجه حسن والاستفسار عن أحواله ويسعىٰ لحل مشاكله فينفذ بذلك إلىٰ قلبه .



٤ ـ الميزة الرابعة هي أن الشهيد المطهري كان يجعل ذهن التلميذ وقاداً نقاداً فهو كان عندما يعرض دليلاً علىٰ موضوع معين ، لا يكتفي بمجرد العرض بل يتابع مناقشة الاستدلال إلىٰ توضيح ممهداته الفلسفية والدينية ويوضح للطالب منهجية الاستدلال بحيث يتعلم كيف يستدل علىٰ مطلب ما ويناقش الأدلة وصحتها ، فهو لا يعلم الطالب البرهان نفسه والاستدلال كقالب جامد عليه أن يحفظه وبدونه لا يستطيع الوصول إلىٰ شيء ، بل يعلمه منهجية الاستدلال بحيث يستطيع الوصول إلىٰ المطلب عبر هذا الاستدلال أو غيره من براهين ويثمرها في فهم منهجية الاستدلال ، فمثلاً كان الأستاذ المطهري يقول إنه لدينا ثقافة إنسانية مشتركة في التاريخ ويستدل علىٰ ذلك بوجود الكثير من المقولات والقيم الإنسانية التي يتبناها الجميع بمختلف مللهم ومشاربهم وعلىٰ مدىٰ التاريخ ، ولكن الأستاذ المطهري لم يكتف بتوضيح هذا الاستدلال بل يذهب إلىٰ توضيح العلة فيقول إنها ترجع إلىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ خلق جميع البشر وفق الفطرة الإنسانية وهذه الفطرة المشتركة هي مصدر هذه الثقافة الإنسانية المشتركة ، ولا يكتفي بذلك أيضاً بل يضيف أن نظام الخلقة نظام منسّق له مديرٌ ومدبّرٌ واحد يحكم كل العالم وتنعكس آثاره علىٰ جميع البشر فتكون فطرة الجميع واحدة لها إفرازٌ ثقافي مشترك ؛ ثم يتابع الاستدلال فيوضح أن وجود هذه الثقافة المشتركة يُشكل حركة واحدة ، وهذه الحركة التاريخية

الواحدة منشأها هذه الثقافة المشتركة وليس العامل الاقتصادي .

وهـذا المسار الاستـدلالي الذي كـان يعمـد إلىٰ تـوضيحـه من مختلف الجوانب لا يوصل إلىٰ حلقةٍ مفرغةٍ بل يجعل ذهن التلميذ وقاداً نقاداً .

س : كيف كانت منهجية الأستاذ المطهري في التدريس ؟

ج : من المميزات المهمة للأستاذ عن غيره هو أنه كان يجـذب التلميذ بمتانة وقوة المطلب نفسه فضلاً عن البيان ، صحيح أن بيان المطلب أمـرٌ مهم ولكنه دون متانة المطلب لا يعدو أن يكون ظاهراً بـرّاقاً دون محتـوىٰ ، أما إذا لمسَ العقل قوة المطلب ترسخ وثبت فالعقل ناشىء من نظام الخلقة وهذا مرتبط بإرادة الله وهي ثابتة ، وهذا كان الملموس في دروس المطهري فعندما يسمعها الإنسان يغرق في سمو معانيها ، في حين قد يجلس الانسـان في درس فينشدّ إلىٰ بيـان صاحبـه حتىٰ يغفل عن متـانة المـطلب العلمي ويخرج من الـدرس فتذهب حالة الانشداد تلك فيجد يديه فارغتين من فائدة حقيقية ؛ ولكن الخارج من دروس الأستاذ كان يجـد في نفسه حـالة عميقـة من البهجة تبقىٰ إلىٰ آخـر عمره ، لأنها تضم مطالب حقيقية متينة . وعموماً فهذه خصوصية عموم الدروس الحوزوية .

س : ما هي بنظركم أهم الأعمال التي استطاع بها الأستاذ الوصول إلىٰ هذه الدرجة السامية من الصلاح والأخلاق الفاضلة .

ج : التقوىٰ والتقوىٰ والتحقيق علىٰ أساس أداء الواجب ، أعتقد أن هناك كتابين للأستـاذ هما أفضـل كتبه ، الأول شـرحه لأصـول الفلسفة والآخـر عن التاريخ لم يطبع بعد سوىٰ جزءٍ منه هو المجتمع والتاريخ ،

الكتاب الأول ألّفه قبل ٣٥ عامـاً وفي فترة شبـابه ومنـذ ذاك اتضح عمق إخلاصه في العمل في سبيل الله فأنجز هذا العمل التحقيقي الذي كان المجتمع الاسلامي في أمسّ الحاجة إليه فأضاف قوةً إلىٰ المتن وهو عملٌ قام به بدافـع

أداء الواجب وبدافع التقوىٰ وهـو بذلـك سار علىٰ نهـج الإمام الخميني الـذي تجسد فيه هذا الدافع بأسمىٰ صوره .

س : هل كان طلاب الأستاذ يعرفون أنه شخصية ثـورية تعتقـد بوجـوب الثورة وكيف كان الاستاذ يوضح إيمانه بوجوب إسقاط النـظام الطاغـوتي خلال دروسه ؟

ج : الأستاذ المطهري كان يعزز المباني والقـواعد الفكـرية والعقـائديـة للثورة ، ومن خلال ذلك يُفهم طلابه أن عليهم إسقاط النظام الطاغوتي إذا أرادوا إقامة الحياة الكريمة ، ولكنه لم يكن يُعلّم قضـايا التنـظيم الحزبي أو أسـاليب الجهاد المسلح وما كان ينبغي له ذلك ، فقد قام بما يجب أنِ يقوم به .

س : إذا كانت لديكم ملاحظة تربوية خاصـة عن الأستاذ فنـرجو تبيـانها للاعتبار .

ج : كان الأستاذ المطهري يولي أهمية كبرىٰ لإقامة الصلاة حتىٰ أنـه لم يكن يصلي بملابس المنزل العادية ، فنحن مثلاً عندما نصلي في المنزل نصلّي بملابس الاستراحة المنزلية خاصـةً في صلاة الفجـر حيث نصلي بلباس النـوم نفسه .

أما الشهيد المطهري فكان حتىٰ في صلاة الفجر يرتـدي ملابسـه ويضع العمامة على رأسه ويصلح ظاهره ثم يصلّي ولعله كان بذلك يسعىٰ إلىٰ أن يكون ذلك مقدمة للاستعداد الروحي والباطني فإصـلاح الظاهـر له أثـره ولا شك في الاستعداد النفسي الكامل للصلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« نص مقابلة مع حجة الإسلام السيد حسن الطاهري الخرم آبادي »

س : كم سنة درستم عند الأستاذ الشهيد المطهري وما هي المواضيع التي درستموها عنده ؟

ج : بسم الله الرحمن الرحيم : شهيدنا الأستاذ المطهري هو أحد الشخصيات العلمائية العظيمة المجهولة القدر حقاً ، ففي حياته لم يعرف عظمته سوىٰ ثلة قليلة من الخواص ،

قبل هجرته إلىٰ طهران كان الأستاذ يدرس في قم لكننا لم نحظَ بإدراك تلك الفترة ، وفي عام (١٣٩١ هـ .ق) فكّر عدد من الأصدقاء بالسعي لدعوة الأستاذ للعودة إلىٰ قم أو الالتماس منه المجيء إلىٰ قم في بعض أيام الأسبوع ، ففي تلك الفترة ظهرت الأفكار التحريفية والتلفيقية غير النقية ، وسعىٰ البعض إلىٰ تحريف الآيات القرآنية وطرح تفسيرات مادية أو ثورية تحميلية لكل شيء ، ومع الأسف فإن هذه الأفكار تغلغلت حتىٰ إلىٰ بعض الطلبة الحوزويين الشباب .

ومن جهةٍ أخرىٰ فالإمام الخميني وضمن رسالة بعثها من النجف إلىٰ صهره الشيخ إشراقي ، أوصىٰ بأن يذهب الأستاذ المطهري إلىٰ قم للتدريس فيها ـ لمواجهة هذه الأفكار ـ ، وبالفعل تهيّأت المقدمات اللازمة بهمّة عدد من

الأصدقاء ، فبدأ الأستاذ المطهري بالمجيء إلىٰ قم من يوم الأربعاء إلىٰ عصر الجمعة من كل أسبوع حيث ينهمك بالتدريس ، فكان له درسٌ عـامٌ في شرح الأسفار الأربعة لصدر المتألهين الشيـرازي ، ودروسٌ خاصـة في المنازل علىٰ مستوياتٍ أعلىٰ .

الدروس الخاصة كانت عن قضايا نقد الماركسية وموضوع فلسفة حـركة التاريخ ، فبحث في بدايتها مناقشة فلسفة (هيغل) ، أما دروس الأسفار الأربعة فقد بدأها من موضوع (الحركة) لأنه كـان آنذاك منهمكـاً في الإعداد للجـزء الرابع من كتاب « هوامش علىٰ أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة » حيث أراد الشروع بكتابته بعد مناقشة مبحث (الحركة) واستمرت هذه الدروس إلىٰ زمن الثورة .

وفي بدايات عام (١٣٩٧ هـ .ق) كان يأتي إلىٰ قم للمشاركة ـ أحياناً ـ في اجتمـاعات جمـاعة مـدرسيّ حوزة قم ويـوقع علىٰ بيـانـاتهـا ضـد النـظام الشاهنشاهي ، وكان عضواً أيضاً في جماعة العلماء المجاهدين في طهران وهو بذلك كان يقوم بمهمة عامل الاتصال بين قم وطهران .

وبعد انتصار الثورة كان قد شرع في تدريس موضوع الحكومة الإسلامية



وأراد مواصلة درسه في شرح الأسفار لكن الأجل لم يمهله مع الأسف .

س : ما هي أبرز خصائص الأستاذ في منهجه التدريسي ؟

ج : امتازت دروسه في « فلسفة هيغل ، فلسفة الأخلاق ، فلسفة التأريخ ، المعرفة ، الأسفار . . . » بجنبةٍ تحقيقية متينة للغاية .

لقد كان يدرس الأسفار وفق مستوىً عميق أعلىٰ بكثير من مستويات قراء الأسفار العاديين ، وكانت دروسه أشبه ما تكون بدروس (بحث الخارج) الاجتهادية ، فمثلاً عندما كان يطرح موضوعاً من كتاب الأسفار كان يعرض لآراء كبار الفلاسفة بشأنه كابن سينا والفارابي والملا هادي السبزواري وغيرهم ثم يعرض رأي صدر المتألهين صاحب الأسفار وآراء بعض أصحاب الهوامش والشروح على الأسفار وبعضها غير متوفرة ، ثم يناقش هذه الآراء بصورة جذرية ، وقد لاحظت أن مطالعته للأسفار للتحضير للدرس لا تستغرق الربع ساعة ولكن وبفضل إحاطته بالآراء الفلسفية كان درسه مفصلاً عميقاً بالصورة المتقدمة .

س : وما مدىٰ قدرته علىٰ توضيح وتبيان الموضوع ؟

ج : بصورة عامة يمكن القول إن الأستاذ الذي يتضح في ذهنه موضوع البحث ويناقشه بصورة كاملة يستطيع تبيانه بصورة جيدة ، والأستاذ الشهيد المطهري كان حقيقة مجتهداً محققاً في الفلسفة وصاحب رأي في قضاياها فضلاً عن إحاطته بآراء كبار الفلاسفة .

كما امتاز بسعة معلوماته ، وكنا نلاحظ أنه يطرح أحياناً ـ في المواقع المناسبة ـ الآراء الأصولية والفقهية لكبار المتخصصين في علمَي الفقه والأصول وكان ذلك مثيراً لاستغرابنا من إحاطته بها علىٰ الرغم من انشغاله سنين طويلة فيَ طهران في قضايا بعيدة عن الدراسة المتعارفة للفقه والأصول ، وكان يميل كثيراً إلىٰ بحث القضايا الاقتصادية من وجهة نظر فقهية .

ومن مميزاته الأخرىٰ شدة التزامه بالإسلام وأحكامه ومفاهيمه ، فمطالعاته وإحاطاته بالأفكار غير الإسلامية لم تؤثر عليه وعلى التزامه باعتبار أن الأصل ومعيار التقييم هو القرآن والسنّة ، وبالطبع كل مَنْ يحظى بعلمٍ واسع عميق يصل إلىٰ هذا الالتزام التعبّدي .

س : ما هو مقدار الأهمية التي كان الأستاذ يوليها للتعليم والتعلم ؟

ج : كانت كبيرة للغاية ، فمثلاً وكما أشرت فإنه بعد انتصار الثورة واصل مباحثه العلمية وتدريسه في قم علىٰ الرغم من توليه مسؤوليات جسيمة كرئاسة مجلس الثورة .

في عام (١٣٩٧ هـ .ق) وقبيل تصاعد وقائع الثورة وتفجّرها ، قام الأستاذ الشهيد بخطوة أساسية ساعدناه فيها ، حيث تمّت دعوة الأشخاص المستعدين للمشاركة في امتحانات حول العلوم الاسلامية ، ووضع الأستاذ بنفسه أسئلة في مختلف الفروع (الفقه ، المنطق ، الفلسفة . . .) وحظيت الدعوة باستقبال واسع وأُجريت الامتحانات في (مسجد أعظم) ، وكان القرار أن تصحح الأوراق وتغربل الإجابات ويتم اختيار الممتازين من أصحاب الإجابات ، ثم تُشكل منهم لجان تحقيقية في كل اختصاص يرأسُ كل منها أقوىٰ أفرادها ، ويُشرف الأستاذ بنفسه علىٰ عمل جميع اللجان ، وبذلك يتشكل في الحقيقة مجمعٌ علميٌّ تحقيقي كبير ، ومع الأسف فإن هذا المشروع قد توقف بعد تصاعد وقائع الثورة الإسلامية وانتهت متابعته بعد استشهاد الأستاذ المطهري .

س : يرجى توضيح خصائص الأستاذ الأخلاقية ؟

ج : الأستاذ المطهري متخلّق حقاً بالأخلاق الإسلامية ويصعب حصر فضائله الأخلاقية ، لذا أُشير هنا إلىٰ ما يحضرني الآن :

١ ـ الأستاذ لم يخرج أبداً عن طبيعته الحوزوية . قبل سنين وفي بداية

تعرفي عليه ، زرته في منزله المتواضع في طهران ، فتعجّبت مما رأيتُ ، حيث وخلافاً للتصور المتوقع رأيت أن لا سكنىٰ طهران ولا كونه أستاذاً في جامعتها قد أثّرا على طبيعة حياته المتواضعة ولا علىٰ تعامله .

٢ ـ كان الأستاذ من أهل الدعاء والتضرع ، ينقل أحدُ الأصدقاء أنه في الليلة التي أخبروا الأستاذ الشهيد بصدور حكم بالسجن عشرة أعوام علىٰ الشيخ المنتظري أو أنه كان من المقرر أن يصدر (لا أتذكر تحديداً) ، تأثر الأستاذ كثيراً وطلب قرآناً وكتاب مفاتيح الجنان (من أهم كتب الأدعية وأكثرها انتشاراً حالياً ومؤلفه هو الشيخ عباس القمي رحمه الله ـ المترجم ـ) ، وشرع الأستاذ بقراءة دعاء التوسل بحضور قلب .

٣ ـ كان الأستاذ يلتزم بتلاوة القرآن قبل النوم وقراءة الدعاء ليلة الجمعة إضافةً إلىٰ تلاوة القرآن .



٤ ـ ومن خصائصه البارزة مواظبته علىٰ إقامة نافلة الليل ، وحتىٰ لو كان نومه في وقتٍ متأخّر ، ينهض في الوقت المحدد لإقامة صلاة الليل ، ينقل السيد الخامنئي أن الأستاذ حلّ ضيفاً علىٰ السيد وقضىٰ ليلته هناك ، وفي آخر الليل استيقظت (الخامنئي) أنا وزوجتي علىٰ صوت بكاء الشيخ حيث كان يبكي وهو يتهجد .

٥ ـ والخصوصية الأخرىٰ هي أن الأستاذ كان منظماً للغاية ، فمثلاً يقيمُ صلاة الليل في وقتٍ محدد ، ولو نام بعد صلاة الفجر يستيقظ في ساعة محددة ويتناول إفطاره في ساعة محددة وكذا الحال في كافة شؤونه الأخرىٰ .

س : ضمن شكرنا لكم علىٰ ما تفضلتم به ، إذا كان هناك حادثة ما تحملونها كذكرىٰ خاصة عن الشيخ فنرجو تبيانها .

ج : الذكريات النافعة في هذا المجال كثيرة ، أنقل واحدة منها ؛ في عام (١٣٩٨ هـ .ق) ، وحيث نشاطات الثورة ـ الإسلامية في إيران ـ لم تصل إلىٰ ذروتها بعد ، تم إعدادِ بيان مشترك بين جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم وجماعة العلماء المجاهدين في طهران ويبدو أن الصيغة النهائية للبيان قد نظمها الشهيد المطهري وضمن توضيحها لأهداف الثورة هاجمت التيارات القومية وأعداء علماء الإسلام الذين يدعون إلى (إسلام دون علماء حوزويين) ، هذا الهجوم لم يوافق عليه عددٌ من السادة العلماء الذين كانوا يقولون إنه من غير الصالح في هذه المرحلة من مجاهدة النظام الشاهنشاهي طرحُ مثل هذه القضايا ، إلا أن الشهيد المطهري كان يصر على هذا الطرح ويقول إنه في هذا الوقت بالذات يجب أن تحدد هوية الثورة ومسارها وأهدافها ، لكي ينعزل عنها الذي لا يؤمن حقيقة بأهدافنا الإسلامية ، ولم يتوصل الطرفان إلىٰ اتفاق علىٰ صيغة موحدة وتقرر رفع الأمر إلىٰ الإمام الخميني ، وفُوّض هذا الأمر لي فأعددت في ليلة من ليالي شهر رمضان صورة عن كلا الصيغتين للبيان

ـ الموافقة لرأي الأستاذ وغير الموافقة له ـ وكتبت أدلـة كلا الـطرفين ، وعثرت علىٰ مسافرٍ إلى العراق بعثت معه الرسالة الشاملة لهذه التوضيحات إلىٰ الإمام الخميني في النجف الأشرف وتقرر أن يوصل الجواب بطريقـة ما إلينـا ، وبعد ذلـك رأىٰ الشهيدان المـطهري والبهشتي وعـددٌ آخر من الأصـدقـاء أن أذهب بنفسي إلىٰ النجف وأُطْلِع الإمام الخميني علىٰ مجموعـة من القضايـا التي لم يكن من الممكن إطلاعها عليه عبر الهاتف أو الرسائل ، وتهيأت بالفعل مقدمات السفر وفي ليلة السفر إلىٰ لبنان دعاني الشيخ المطهري إلىٰ منزله وتحدّث معي مفصلاً حول القضايا التي تقرر أن أطرحها علىٰ الإمام الخميني فسجلت في دفتر ملاحظاتي ما قاله بهذا الخصوص .

وفي صباح اليوم التالي أوصلني ابن الشيخ المطهري إلىٰ المـطار حيث سافرتُ إلىٰ لبنان وكنت أحمل رسالةً من الشهيد بهشتي إلىٰ الإمام موسىٰ الصدر حول ترتيب أمر سفري إلىٰ العراق ، ولكني عندما وصلتُ إلىٰ بيروت علمتُ أن الإمام موسىٰ الصدر قد سافر إلىٰ ليبيا (ذلك السفر الذي ذهب فيه ولم يعد) ، فتأخرت عشرة أيام في بيروت قبل أن أتمكن من السفر إلىٰ العراق بصورةٍ غير رسمية ، ثم وبعد عودتي إلىٰ إيران بعد شهر وعدة أيام ، كـان مبرر نشـر ذلك البيان قد انتفىٰ حيث تحددت بوضوح أهداف العلماء من الثورة ، ولكن النقطة الأساسية هي في جواب الإمام الخميني علىٰ الـرسالـة التي بعثناهـا مع ذلـك المسافر للإمام بشأن البيان المـذكور ، فقـد كان الجـواب قد وصـل حيث قال الإمام فيه :

« الحق مع الشيخ المطهري في هذه القضية ، فالذين دون الحـوزة مثل الطب دون طبيب ، والذين يقولون إسلام دون حوزة لا يريدون ضـرب الحوزة بل ضرب الإسلام في الحقيقة . . . » .

« روح التعبّد بالاسلام لدى الاستاذ المطهري »

بقلم السيد علي المحقق الداماد (أحد تلامذة المطهري)

من الصعب تعداد خصائص الأستاذ الشهيد المطهري وأصعب منه بكثير الحديث الشامل عن أبعاد شخصية هذا المعلم الكبير .

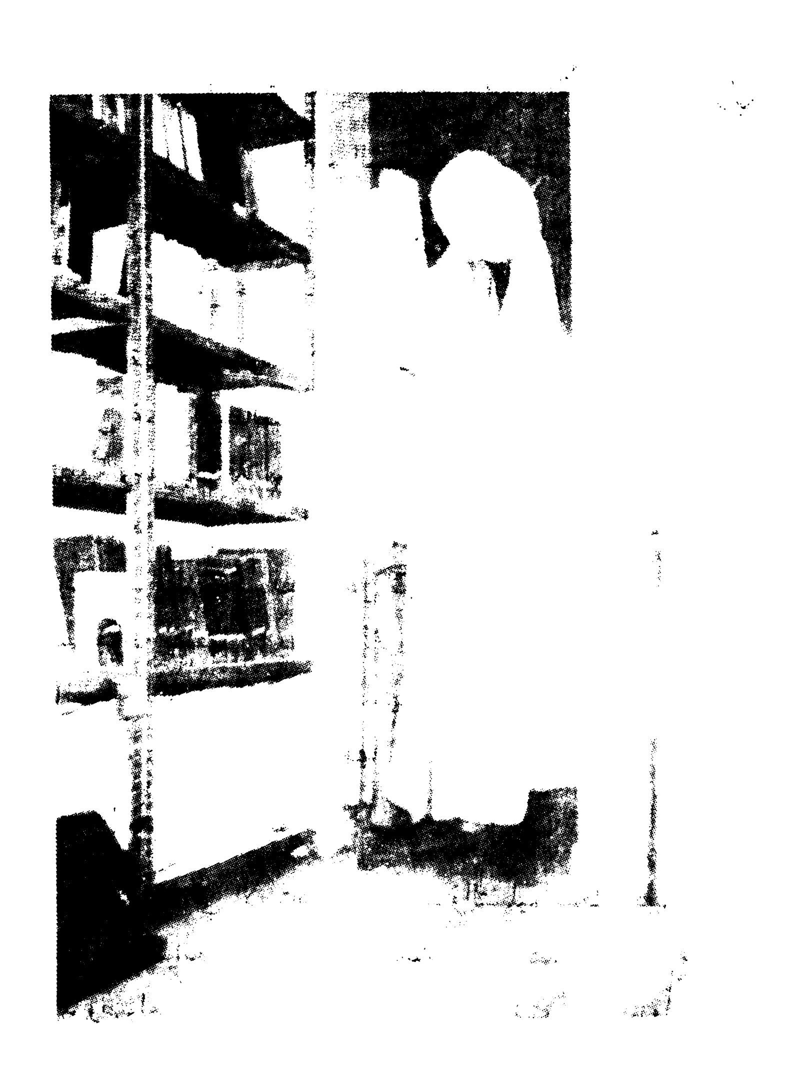
فقد كان مدرساً لا نظير لـه في التعليم ، يمتاز بـدقة تحقيقيـة عاليـة في خوض غمار المطالب وشرح مختلف جـوانبها ببيـانٍ متين واضح يـوصلها إلىٰ الطلبة وعقولهم فلا ينقلهـا لهم كمجرد « محفـوظات » كمـا يفعل البعض ممن يُسمَّون مدرسي الفلسفة الذين لا يفقهـون المعاني الحقيقيـة لتلك المطالب ، وإذا ما سألهمْ أحد الطلبة عن شيء من معانيها أعادوا عليه تلك المصطلحـات المحفوظة نفسها أما بالنسبة للأستاذ الشهيد فإن أعمق المباحث الفلسفية كانت واضحة لديه حقيقة بكافة معانيها ، ولهذا كان نقل هذه المبـاحثات أمـراً يسيراً ولذيذاً ، وهذه الحقيقة يدركها طلبتُهُ بوضوح .

روح التعبد والتسليم :

تألقت في الأستاذ روح التعبد والتسليم بتجلٍ كبير علىٰ مستويين ، الأول علىٰ صعيد العبادة والمناجاة والخشوع والخضوع والتضرع لله تعالىٰ ، فلم يترك منذ وصوله سنّ التكليف صلاة الليل ، وكنت أراه ملتزماً بتلاوة آيات من القرآن

الكريم بتدبر قبل النوم ، وأما حالته أثناء الدعاء والتهجد في الليـل فهذا مـا لا يمكن وصفه .

أما المستوىٰ الثاني فهو علىٰ صعيد التسليم للأحكـام الإلهية ، الأستـاذ الشهيد كان عالماً كبيراً كثير المطالعة ، فقيهاً أصولياً ، فيلسوفاً . . . وكان يشرق في نفسه ما يطالعهُ وإلىٰ جانب كل ذلك كان متعبداً مسلماً تجاه الأحكام الشرعية كافـة .



ولتوضيح أهمية هذه الخصوصية ، نقول: ظهرت قبل أكثر من عشرين عاماً وفي البداية بين علماء أهل السنة لا سيما في مصر ، فكرة التوفيق بين أحكام الإسلام وبين ما نفهمه نحن وندركه ونقيسه بعقولنا من الصالح والطالح فمثلاً إذا ما عجزوا عن تقديم تبريرات ـ أو منافع ـ لبعض الأحكام الإسلامية ، سعوا إلى القدح بأصل الحكم أو أدلته ، فقالوا قد يكون المقصود هكذا وليس هكذا ؛

وقد وصل أمر انتشار هذه الفكرة إلى درجةٍ من الاتّساع بحيث أصبح لِزاماً أن يقولوا مثلاً « إنّ صلاة الفجر تعتبر مفيدةً مثل الرياضة الصباحية . . . » ويقرنوه بقولهم « إنّ الصلاة واجبة » ؛ أو عندما يتحدثون عن وجوب الصوم يقرنون بالقول « إنّ الصوم وسيلة للصحة البدنية والشفاء من الأمراض وإنه يزيل الفوارق الطبقية » فالالتزام بالأحكام الشرعية أصبح مشروطاً بمعرفة عللها وفوائدها .

هذه الحالة التبريرية سرت أيضاً إلىٰ المفكرين الإسلاميين في إيران ، ووصل الأمر تدريجياً بهذا التبرير العلمي لعلل الأحكام إلىٰ حدٍّ أصبحوا معه يلجأون إلىٰ القول بأن هذا الحكم الفقهي ينسجم مع روح الإسلام ، أو أن فهمنا لتعاليم الرسول هو هذا عندما يجدون في بعض الأحكام الفقهية توافقاً مع آرائهم .

وأصل موضوع هل أنّ علينا أن نبحث في علل الأحكام الشرعية أم لا هو بحدّ ذاته موضوع طريف ذو تفصيلات كثيرة يجب أن يبحث في مكانه المناسب ، وتكفي هنا الإشارة إلىٰ أنّه ليس المقصود عدم الانتباه إلىٰ فلسفة الأحكام الشرعية أصلاً ، فللكثير منها عللٌ واضحة وقد تحدثت عنها الكثير من الأحاديث الشريفة التي جمع قسماً منها مثلاً الشيخ الجليل « الصدوق » في كتابه « علل الشرائع » .

ولم يمنع الإسلام من السعي لمعرفة علل الأحكام وفلسفتها ولكن النقطة

المهمة هنا هي أن من غير الصحيح أن يكون تعاملنا مع الأحكام قائمٌ علىٰ معرفة عللها فإنْ لم نعرف بعضها كان التزامنا بها أضعف وتسليمنا لها أقل ، بل لا ينبغي توقع أننا قادرون علىٰ معرفة وإدراك العلل الواقعية للأحكام وحقيقة عللها الكاملة ، ولو كنا قادرين علىٰ ذلك لما كانت هناك حاجة للدين والنبي والوحي ، فافتقاد هذه القدرة هو علّة الحاجة إلىٰ الوحي والنبوة إذ إنّ الإنسان لا يستطيع الاحاطة بكافة المصالح والمفاسد .

إذا أمرَ الله تعالىٰ بعمل ما أو نهىٰ عن عملٍ ما ، فإنّ ذلك يكون حتماً لمصلحة أو مفسدة فيهما ، ولكن في أي حدود تقع هذه المصلحة أو تلك المفسدة ؟ هل تتعلق بحياة الفرد أم بوجوده كله ؟ كلا بل هي تتعلّق بدائرة أوسع ترتبط بعموم الأمة الإسلامية بل وبنظام الخلقة كله ، ومن جهة أخرىٰ إذا صدر لي أمرٌ باعتباري فرداً مسلماً فيجب أن تلاحظ آثاره وتأثيراته علىٰ جميع أفراد المجتمع بل وعلى موجودات العالم كلها ، هذا فيما يتعلق بالبعد العرضي أما بالنسبة للبُعْد الطولي فهناك حساباتٌ للمصالح والمفاسد وآثار الأوامر والنواهي علىٰ طول الزمن ، من بعثة الرسول الأكرم (ص) إلىٰ يوم القيامة فالإسلام دينٌ خالدٌ ثابت ، ومن المستحيل أن يحيط الإنسان بكلا هذين البعدين ـ العرضي والطولي ـ مهما كان اتساع علمه ومعلوماته ، وبسبب ذلك بالتحديد تصل الأحكام والتشريعات البشرية إلىٰ حلقاتٍ مفرغة مهما كانت طريقة وضعها دقيقة .

بهذا التوضيح نفهم استحالة التعرف علىٰ كافة علل الأحكام والمسائل الإسلامية .

وكما أشرنا فقد ظهرت في تلك الفترة محاولات لجعل العقل الإنساني معياراً في فهم حقائق علل الأحكام الشرعية ، وهذه المنهجية هي التي أدّت إلى ظهور حالات من اصطدام أصحابها بالفقه الإسلامي وما ورد في الرسائل

العملية من أحكام .

أما الأستاذ المطهري فقد امتاز بتعبّد كامل وتسليم تجاه الأحكام الشرعية الواردة في الفقه الإسلامي العريق ثمرةً لأدلته الصحيحة ، وعلىٰ الرغم من كثرة اتصالاته بالمثقفين وتدريسه في الجامعات ـ وهي أبرز مراكز أصحاب المنهجية المتقدمة ـ وعلىٰ الرغم من سعة إحاطته بالكتب المادية التي يصفها بأنه قـرأها كلمة كلمة مثل (آراني) ، وعلىٰ الرغم من كونه فيلسوفاً والفيلسـوف من أهل التعقـل وفهم العلل ، ـ نقـول ـ علىٰ الـرغم من كـل ذلـك لم يكن الشهيـد المطهري يسمح بأدنىٰ تجاوز علىٰ الأحكام الشرعية التي لم تتضح عللها لا في كتاباته ولا في محاضراته ولا في دروسه .

والأمـل هو أن يتخـذ جميـع المسلمين وخـاصـة الجـامعيين والمعلمين والمفكرين الأستاذ المطهري قدوةً في هذا التعبد والتسليم بالأحكام الإلهية وهم يعيشون في بلدٍ إسلامي وفي ظل حكم إسلامي ، وعلينا أن نحذر من أن نفرض آراءنا الشخصية علىٰ الدين ونطرحها هنا وهنـاك تحت عناوين أنهـا تمثل روح الإسلام ، أو فهم روح الإسلام .

فإذا كنا مجتهـدين في الأحكام الشـرعية فعلينـا أن نعمل وفق الضـوابط والمعايير الاجتهادية المقررة لاستنباط الأحكام ،

وإذا كنا مقلدين فيجب أن تكون كافة مسائل وأحكـام الرسـائل العمليـة حجّة علينا ، نتعبّد بها .

أما إذا قلنا تجاه هذا الحكم الشرعي أو ذاك أن « ما يبدو لي هو هـذا أو ذاك . . . » أو « يجب أن يكـون الحكم هكذا وليس كـذا . . . » فإننـا نكـون بذلك ساعين لفرض آرائنا علىٰ الله تبارك وتعالىٰ ؛ وهذا هـو نفسه الـذي كان مطروحاً في زمن الأئمة (عليهم السلام) تحت عنوان « القياس والاستحسان » والـذي كـافحـه أئمـة الهـدىٰ (عليهم السـلام) طـويـلاً وبحـزم ؛ ومعلوم أن

الاستحســان يعني القـول بـ « أن الأحسن أن تكــون المسـألــة هكـذا وليس هكذا . . . » .

وخلاصة الحديث لا ينبغي لنا أن نقيس مسائل الشرع بعقولنا الناقصة .

نقلاً عن مجلة « رشد معلم »

(الشهيد المطهري . . . كما عرفته)

حجة الإسلام الهاشمي الرفسنجاني
١٩٨٩ م

عندما قدمت إلىٰ مدينة قم المقدسة عام ١٩٤٨ م وأنا ابن الأربعة عشر عاماً ، كانت الغرفة الواقعة في الطابق الثاني من القسم الجنوبي الشرقي من المدرسة الفيضية تحظىٰ بأهمية خاصة واهتمام أخص يثير حبّ الاستطلاع بقوة لدىٰ كل قادمٍ جديد إلىٰ المدرسة وهو يرىٰ كثرة التردد علىٰ هذه الغرفة واهتمام الشخصيات بها .

وأنا القادم الجديد إلىٰ هذه المدرسة من قرية « بهرمان فوق » من قرىٰ مدينة « رفسنجان » ، شدتني تلك الغرفة إليها ، شأني في ذلك كسائر القادمين الجدد ، كنتُ أرىٰ فضلاء الحوزة ومدرسيها والشخصيات العلمية والاجتماعية والوجهاء المحترمين ـ الذين لم أكن أعرف معظمهم ـ يترددون إلى تلك الغرفة ، وشدّ انتباهي بالخصوص تردد الإمام الخميني عليها وكان يُعرف آنذاك بين أصدقائه بلقب « حاج آقا » أي « السيد الحاج » .

في تلك الفترة شهدت إيران ذروة نشاطات انتفاضة تأميم النفط وملاحم جهاد « فدائيي الإسلام » ووقائع سياسية أخرىٰ أوجدت جميعاً حالةً نادرة من الغليان الثوري لدىٰ الطلبة الشباب جعل حبّ الاستطلاع عندي أشد جرأةً وأكثر

فاعلية بحيث لم يكن من الممكن أن أظلَّ جاهلاً بهذا « القطب الجاذب » لتلك الشخصيات المحترمة ، وبالفعل أدت هذه الحالة الخاصة من حبّ الاستطلاع تعينها البساطة المترسخة في أغلب الشباب القروي إلىٰ معرفة الجواب علىٰ تساؤلي عن هذا القطب الجاذب وبسرعة .

تلك الغرفة كانت محل سكنىٰ الأستاذ المطهري الذي عرفته سريعاً بحجة الحصول منه علىٰ أجوبة بعض الأسئلة حملتُها إليه وهي أسئلة لا تخلو منها جعبة أمثالي ؛ ونشأت من ذاك علاقة « التلمذة غير الرسمية » ، وأقول « غير رسمية » لأني كنت طالباً مبتدئاً في حين أن طلبة الأستاذ المطهري الرسميين آنذاك كانوا من الذين تجاوزوا المقدمات ووصلوا إلىٰ السطوح العالية .

لقد شدتني إليه ـ وأنا الشاب القروي ـ بساطته وتعامُلُهُ المتواضع غير المتكلّف وفقره الظاهر علىٰ لباسه ومحتويات غرفته ، وهذا الانشداد تضاعف عندما كنت أشاهد معه ـ ومنذ الأسابيع الأولىٰ ـ زميلَهُ في الدرس والمباحثة وصديقه ونصيره الدائم « الشيخ المنتظري » الذي كان أقرب منه بكثير إلى صبغة « القروية » في هيئته وتعامله وحديثه وبساطته وتُرابيّته .

وعلىٰ الرغم من أني كنتُ أتضايق بعض الشيء عندما أرىٰ هذا الرفيق الملازم يقطع حديث صاحبه ويسارع إلىٰ الإجابة السريعة علىٰ بعض أسئلتي ، إلا أنني كنت أحس بالسرور والارتياح وأنا أرىٰ اثنين من الطلبة من أصل قروي وفقيرين يحظيان بكل هذا التبجيل والاحترام في الحوزة العلمية ، وباهتمام خاص من أكبر وجوهها آنذاك « آية الله البروجردي » الذي كان محترماً مكرماً في إيران عامة ، وكنت أشعر بالسرور وأنا أرىٰ هذين الطالبين وهما يحظيان بدرجةٍ علمية ممتازة بقرب المنزلة من الإمام الكبير اليوم ومن أساتذة الحوزة الكبار آنذاك ، آية الله الخميني ، كنت أحس بالفخر والاعتزاز لتعرفي علىٰ هذين الزميلين أما اليوم فإني أدرك لو أنه قد مرّ في ذهني آنذاك أن الأستاذ المطهري سيُرزق الشهادة ، لتعاظم حبّي وتعلقي به درجاتٍ ودرجات .

ولكن ومع كل اشتياقي للاقتراب من هذا العظيم وسعيي بهذا الاتجاه لم أحصل علىٰ تقدمٍ مهمٍ في السنين الأولىٰ بشأن تطوير علاقتي به ، ورغم أني كنت ممتعضاً من ذلك في البداية لكني فيما بعد أدركت أن توقّعي لم يكن في محله ، فلا مستواي العلمي ولا شخصيتي ولا عمري تؤهلي لأكثر من تلك العلاقة المحدودة وعليّ أن أكون شاكراً حامداً قانعاً بها حتىٰ قبل أن تتطور وتتسع وتتعمّق .

« هجرة الشهيد المطهري عن قم » :

كَمْ هي مُرّة تلك الأيام التي مرّت علينا بعد سماعنا أن أستاذ الفلسفة والفقه والأخلاق قد رحل عن قم وحوزتها ، هذه المرارة تضاعفت عندما سمعنا أن الفقر والاحتياج المادي هما سبب رحيله عن هذه الحوزة التي عشقها وظل يعيش آمال العودة إليها حتىٰ أيامه الأخيرة .

كان الأستاذ قد قرر الزواج ، الأمر الذي يستلزم تهيئة منزلٍ للسكنىٰ خارج المدرسة الفيضية وبالطبع يحتاج الأمر إلىٰ ميزانية أكبر ، ولا أُخفي عليكم أني قد دخل قلبي عندها وللمرة الأولىٰ الأذىٰ من آية الله البروجردي وكان حينها المرجع المسؤول ، كنت أتساءل : لماذا سمح بأن تفقد حوزة قم مثل هذا الأستاذ علىٰ الرغم من كل الإمكانات التي كانت تحت اختياره ، ولكن شيئاً فشيئاً بدأنا نرضىٰ ونستبشر خيراً بهذه الهجرة عندما أخذت تتضح لنا آثار وثمار حضور الأستاذ المطهري في طهران من خلال شدة تأثير محاضراته في محافل الجامعيين والمثقفين في العاصمة ، وهؤلاء كانوا مبتعدين منعزلين عن العلماء والحوزويين ، ولكن في قبال ذلك كان الإحساس يشتد يوماً بعد آخر بالفراغ الواسع الذي تركه الأستاذ في الحوزة ، وكان يؤلمنا أن نشاهد غرفته في المدرسة الفيضية قد فقدت رونقها ، وزميله الملازم « الشيخ المنتظري » قد غلب الحزن عليه وأصبح بعد رحيل رفيقه عنه أشبه بالأيتام .

« مكتب التشيّع والمزيد من المعرفة والتعاون »

في عـام ١٩٥٨ م ، تمّ تأسيس « مكتب التشيّـع » التبليغي بالتعـاون مع جمع من الأصدقاء في مدينة قم المقدسة ، وقد أدىٰ احتياجنا الشديد لكتابات وتوجيهات الأستاذ المطهري إلىٰ فتح باب علاقة أقوىٰ معه وبدء فصل جديد من علاقتي به كان أكثر جدية وأعظم ثماراً ، خاصة وأن تقدمي بالدراسة علىٰ مدىٰ عدة سنوات وفّر إمكانات أفضل للتفاهم والتعاون معه ؛ وهنا من الضروري أن أشير إلىٰ أن كتابات الشهيد المطهري كان لها قيمة خاصة واعتبارٌ استثنائي فيما كان هذا المركز ينشره من نتاجات علىٰ الرغم من أن معظم الكتابات المنشورة كانت بأقلام شخصيات علمية واجتماعية معروفـة ومحترمـة ولكن يمكن القول ودون مبالغة إن كتابات المطهري هي التي أوجدت ذاك الاهتمام الخـاص بما ينشره هذا المركز من نتاجات ما زالت تعتبر من المراجع المهمة للمحققين .

« مرحلة البناء »

وحقاً ينبغي تسمية تلك الأعوام بأنهاِ أعوام « مرحلة البناء » فبعد انقلاب آب المشؤوم[١] كان النظام الملكي منهمكاً في تعزيز قوته العسكريـة والقمعية ومـطاردة معارضيـه والمطالبين بـالتحرر ؛ وعلىٰ الـطرف الآخـر كـانت القـوىٰ الإسلامية منهمكة في نشاطات بنّاءة ظهرت آثارها واضحةً في مجريات الأعوام الستة عشر من عمر الثورة الإسلامية بزعامـة الإمام الخميني « مـا بين انتفاضـة عام ١٩٦٣ إلىٰ انتصار عام ١٩٧٩ » هذه النشاطات كانت تُمارَس في ظل وجود شخصيـات مخلصة من أمثـال الشهيد المـطهـري وبمسـاعـدة مـراكـز تبليغيـة كـ « مكتب تشيـع » و « مكتب إسلام » وغيـرهما ، وسـاهمت فيهـا المسـاعي الخيرة للأساتذة المؤمنين في الجامعات ، وجهود الجامعيين المؤمنين الأبـطال

---

(١) انقلاب الشاه بمساعدة أمريكا.

وفضلاء طلبة الحوزات الدينية .

ودور الشهيد المطهري في هذه الجهود أمرٌ مشهودٌ يستحق مزيد التقدير ، فقد قام بسهم أوفر من سهم الآخرين متحملاً مسؤولية توفير التغذية الفكرية لنهضة البناء هذه ، عبر محاضراته وكتاباته ومقالاته الفلسفية والاجتماعية ومناظراته الشهيرة ، وكان المجيب الداحض للشبهات الفكرية الكثيرة التي كان عملاء الشرق والغرب يبثونها لحرف جيل الشباب المسلم عن طريق وسائل الإعلام بطلبٍ وتشجيع من النظام السياسي الذي جاءت به مؤامرة انقلاب (آب) ، وفي الوقت نفسه قام الشهيد المطهري بدور الجسر الرابط بين الجامعة الحديثة وبين مدارس العلوم الدينية . ومعلوم أن المؤامرات الشرقية والغربية قد سعت إلىٰ العزل بين هذين المركزين سنين طويلة ؛ لقد شق الأعداء قناةً عميقة طويلة للفصل بين الطالب الجامعي وبين طالب العلوم الدينية في حين أنهما يمتلكان أفضل وسائل التعاون فيما بينهما لخدمة الشعب والبلد ، هذان وجدا في الأستاذ المطهري نقطة الارتباط ومركز الاتصال بينهما ، فاقتربا من بعضهما البعض ، وقد شاهد الجميع ثمار هذا التقارب طوال سنيّ مجاهدة النظام الملكي وفي أيام الانتصار وفيما بعدها .

لقد كانت محاضرات الأستاذ في جلسات « مكتب توحيد » ومؤتمرات وندوات الجامعيين في المساجد « والتكايا »[1] مظهر الوحدة والاتحاد بين هاتين الفئتين اللتين فُصلتا عن بعضهما البعض ، وكانت مظهر الوحدة بين المسجد والجامعة وبين الجامعة والمدرسة الحديثة والمدرسة القديمة ، ففي تلك المحاضرات كان الحضور مشكلاً من الجامعي والمثقف وعالم الدين والكاسب والتاجر .

---

(١) التكايا مفردها تكية ، وهي محل إقامة ذكرى عاشوراء وشهادة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) .

وأنا شخصياً انتفعت كثيراً بعلاقة التعاون على مدى الأعوام السبعة من نشاطات « مكتب تشيّع » ، واستفدت دروساً كثيرة من فكر الأستاذ وعمله وتعرفت جيداً على أبعاد مساعيه وثمار وجوده المبارك .

ومن بين جهوده ومساعيه البنّاءة وأبعادها المختلفة المتنوعة كان يشدّني أكثر من غيره البعد السياسي ـ الديني ، فالجماهير الإسلامية التي دخلها اليأس



بعد الهزائم المتتالية لحركات النهضة الإسلامية ـ السياسية ، كنت أرىٰ حياةً جديدةً تنبعث فيها وتستعد للنهوض بمسؤولية إيجاد نهضة إسلامية ـ سياسية وفق رؤية جديدة تناسب مقتضيات الزمان ، وقد شاهدنا الثمار المباركة لمرحلة البناء هذه ودورها في بعث الأمل في القلوب ، مع أول شرارة للجهاد العلمائي تنطلق في عام (١٩٦٢ م) .

« دور الشهيد المطهري في الجهاد الاسلامي » :

يقينٌ أن المواقف الحازمة التي اتخذها علماء الإسلام بقيادة الإمام الخميني تجاه نظام محمد رضا بهلوي عام ١٩٦٢ م شكّلت انعطافاً مهماً في تأريخ إيران والإسلام وعلمائه .

ومعلومٌ أن مواقف بتلك الخطورة أثمرت تلك الثمار العظيمة تستلزمُ بطبيعتها أجهزة منظمة تنظيماً دقيقاً ومتشعباً لم يكن موجوداً لدينا في ذلك الزمان وحتى إلىٰ ما قبل الانتصار ، وهذا النقص كان من الضروري أن يُجبر بأمورٍ أخرىٰ وهذا ما حدث ولله الحمد ، وهنا أشير إلىٰ بعض العوامل التي تم بها جبران ذلك النقص ، فإضافة إلىٰ قوة الروح الدينية لدىٰ الجماهير واعتماد القيادة عليها ، وكذلك إضافة إلىٰ مفاسد النظام وإجراءاته المعادية للدين التي شكّلت عاملاً أساسياً في إثارة المشاعر العامة وبقوة ، إضافة إلىٰ ذلك كله يمكن اعتبار العوامل التالية مؤثراً رئيسياً في تعجيل تحقق الانتصار :

١ ـ « كفاءة القيادة » :

كان الإمام الخميني مرجعاً للتقليد وله رسالة عملية وهو واجب الطاعة عند مقلديه الذين يعتبرونه نائباً لإمام العصر عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف ، هذا المقام يتمايز ولا شك عن مواقع القادة السياسيين والاجتماعيين والثوريين العاديين ، فبالنسبة لهؤلاء لا تتخذ طاعتهم والثقة بهم صبغة عميقة ، بل لا

أصالة لها أساساً ، أما هنا فالرأي العام يعتبر طاعة القيادة واجباً دينياً مترسخاً في الوجدان الشعبي الذي يتحرك بأمر القائد لتحقيق الأوامر الدينية .

وإضافةً لذلك ، فقد كان للقائد حوزةٌ تدريسية كبرىٰ اجتمع فيها أغلبية فضلاءِ الحوزة العلمية المهتمين بالدراسة والملتزمين حقاً ، والتفّوا بعشقٍ وإيمان حول هذا القائد ، وهم يمتازون بإيمان كامل بأهلية أستاذهم وكفاءته وإخلاصه ، وكل واحد من هؤلاء يُعتبرُ بدوره مرجعاً فكرياً وعملياً للناس في إحدىٰ المدن أو أكثر من مدينة واحدة ، وعلىٰ هذا يتضح أن حوزة الإمام الخميني التدريسية ومقامه الخاص ، وفّرا للثورة الامتيازات الإيجابية للعمل التنظيمي أو الحزبي دون أن تلوثها سلبيات التنافس الحزبي والاتهامات المتبادلة والنزعة السلطوية وغير ذلك من السلبيات الحزبية .

٢ ـ « الجهاز الحوزوي » :

علىٰ الرغم من افتقاد الحوزة الدينية وجهازها العلمائي لهياكل تنظيمية محسوبة ، لكنّ لها وبصورة طبيعية حضوراً واسعاً عبر شبكة تمتد في كافة أرجاء البلد ، وتتمثل مراكز هذه الشبكة الواسعة وقواعدها في المساجد والتكايا والأماكن المقدسة ومنازل العلماء ؛ وهذه المراكز تُكِنُّ احتراماً كبيراً لحوزة قم المركزية المحورية ، وهي وإن كانت متفرقة متباعدة لكنها تعمل وفق برامج إسلامية وآمال وطموحات واحدة تجعل تحركها منسجماً حتىٰ دون اتفاق سابق ، خاصةً وأن حوزة قم تبعث كل عام مرات عديدة المبلّغين إلىٰ مختلف أرجاء إيران يؤدّون واجباتهم التبليغية ثم يعودون إلىٰ المركز الرئيسي ، وبذلك تكون الحوزة قادرة علىٰ امتلاك الخصوصيات الإيجابية للعمل التنظيمي وتسخيرها في مجريات الثورة والجهاد ، وقد فعلت ذلك وظهرت آثاره بوضوح بحيث نلاحظ أنه في السنة الأخيرة كان الأجانب يشيرون في تحليلاتهم إلىٰ أهمية هذا الدور بالذات في تحقيق الانتصار .

٣ ـ « الشخصيات الاسلامية » :

ومن العوامل الأخرىٰ المهمة في دفع مسيرة الثورة الإسلامية وجود الشخصيات الإسلامية التي يثق بها أبناء الشعب في مختلف أرجاء البلد ، فهذه الوجوه المحبوبة جماهيرياً والمؤمنة المخلصة وصاحبة الرأي المقبول شعبياً كان لها دورٌ أساسيٌ في جذب ثقة الشعب وإيمانه بالثورة ؛ وللشهيد المطهري سهم بارزٌ وكبيرٌ في هذا المجال ومُنذ بدايات الثورة ، وكان قائدها الإمام الخميني يوليه ثقةً كبيرة ، ويعتبره ثمرة عمره . ولذلك كان يكلفه بالمسؤوليات والمهام



الرئيسية وعلىٰ الطرف الآخر كان سائر العلماء والمراجع ينظرون بعين الرضىٰ لقبوله بتلك المهام ثقةً بكفاءته العلمية والعملية ؛

والجامعيون والمثقفون الثوريّون أيضاً كانوا يرون فيه المفكر الإسلامي المخلص ويثقون به ، وكذلك الحال مع عامة الناس لا سيما الكسبة والتجار

الذين كان لهم سهمٌ وافرٌ في دفع مسيرة الثورة ، فهؤلاء جميعاً كانوا يرون فيه الكفاءة واللياقة من جميع الجهات .

وبالنسبة لي فقد كنت في البداية مجرد مريد محبٍّ للشهيد المطهري ثم تطوّرت العلاقة وأصبحت ما بين عامي (١٩٥٧ ـ ١٩٦٢) في حدود الاستشارة والتعاون التبليغي والصحفي ، ثم اقتربت منه كثيراً بعد تفجر الثورة بحكم قبولي مسؤولية المساهمة في التنسيق بين النشاطات في قم وطهران ، فأصبحت



علاقتي به أشبه ما تكون بعلاقة « رفقة السلاح » والاشتراك في الخندق الواحد ، ولهذه العلاقة بالذات أجد في نفسي صلاحية إبداء الرأي فيما يتعلق بدور الأستاذ المطهري في مجريات الثورة ، وما أعتقده هو أن للشيخ المطهري في بدايات الثورة الإسلامية دوراً عظيماً وسهماً كبيراً في تبلور الثورة واتساعها .

إن الأستاذ المطهري وبسبب الاحترام الذي كان يحظىٰ به لدىٰ مختلف الأطراف في طهران وقم ، أدىٰ دور الرابط ونقطة الاتصال بين مختلف الأطراف ، ووسيلة نقل ثمار تجارب المجاميع والشخصيات الثورية النقية وذات الماضي الجهادي ، إلىٰ الجماهير المسلمة والأوساط الحوزوية ، والأهم من ذلك كله هو أن الأستاذ المطهري قام بدور إحدىٰ وسائل الارتباط الرئيسية والمعتمدة بين القيادة وبين أهل العاصمة طهران ، وهذا الارتباط كان في ذلك الوقت يحظىٰ بأهيمة كبرىٰ وشكّل إحدىٰ القنوات الرئيسية لحلّ الكثير من مشاكل ثورتنا الفتية .

« لجان الائتلاف الاسلامي » :

نعلم أن لمنظمة « لجان الائتلاف الإسلامي » دوراً عظيماً وكبيراً في اتساع نطاق الثورة الإسلامية في إيران ، فهذه المنظمة الفتية تشكلت من مجاميع دينية عديدة تأسس معظمها لأجل إقامة مراسم العزاء الحسيني ومجالس الوعظ والإرشاد والتبليغ ، وأعضاؤها من المسلمين الأتقياء المخلصين ولكن أكثرهم كانوا يفتقدون التجربة السياسية اللازمة والتنظيم المطلوب وحتىٰ الاطلاع الديني والاجتماعي الكافي والعميق ، وكانوا في أمسّ الحاجة إلىٰ العون الفكري والتوجيهات الدينية والسياسية والتنظيمية اللازمة ، ومهمة تلبية هذه الاحتياجات تكفّلها الشهيد المطهري ـ بمعية بعض الشخصيات العلمائية الأخرىٰ ـ بإذنٍ وقرارٍ من الإمام الخميني ، ويعتبر كتاب « الإنسان والمصير » حصيلة الدروس التي كان يلقيها الشهيد المطهري علىٰ الكوادر المتقدمة

لمنظمة لجان الائتلاف الإسلامي خلال اجتماعاتهم السرية .

وقد استطاعت هذه المنظمة وبفضل إخلاص وإيمان أفـرادها وأصـالتهم الإسلامية وبمساعدة قادة مثل الأستاذ المطهري الذي كان بالنسبـة لهم مرشـداً وقـوله حجـة شرعيـة ، استطاعت وبـاندفـاعة نـادرة من تغطيـة مدينـة طهـران بنشاطاتها ، وانتقل نفوذها الديني إلىٰ العديد من المدن حتىٰ النائية عن طريق العلاقات التجارية والعمل وكذلك من خلال علاقاتها بالمراكز الدينية في المدن الآخرىٰ .

إن انضمام نشاطات لجان الائتلاف الإسلامي إلىٰ دور حوزة قم الدينيـة والمبلغين وأئمة الجماعة والمساجـد ، أدىٰ إلىٰ تعبئة القـوىٰ العظيمـة للشعب الإيراني المسلم وإدخالها إلىٰ ساحة الثورة تحت قيادة الإمام الخميني والمراجع الأخرين .

وتمت هذه العملية من خلال علاقات دينية طبيعية دون هياكل التنظيمات السياسية المتعارفة .

وفي النصف الأول لعام (١٩٦٢) مُني النظام الشاهنشاهي بهزيمة مريرة في فشل مؤامرة « أنجمنهاي أيالتي وولايتي » ، وتراجع بصورة فاضحة عن قراره بشأنها ، ولتلافي هذه الهزيمة قـرر النظام اتخـاذ موقف صلب تجـاه تحركـات الشعب المسلم ضـد مؤامرة « الثـورة البيضاء » ، محـذراً من استخدام الشـدة والأساليب القمعية بأقسىٰ صورها .

في عام ١٣٨٣ ، أجرىٰ الشاه المقبور الاستفتاء العام لاجئاً إلىٰ الخداع والتزوير والإرعاب والتهديد وفبركة الآراء التي لا أساس لها من الصحة والإعلان عن نسبٍ غير حقيقية من المشاركة الشعبية مدعيـاً الانتصار في هـذا الاستفتاء التضليلي ولكن الجميع كان يعلم بهزيمة النظام في هذا الاستفتاء بعد اتضـاح اتساع التأييد الشعبي لقرار العلماء والمراجع بمقاطعة وتحريم الاشتراك في هذا الاستفتاء .

لقد كانت مقاومة ومعارضة الشعب والعلماء لسياسة الشاه من القوة والفاعلية في المبادرة بحيث اضطرت الجلادين البهلويين إلى ارتكاب مجزرة المدرسة الفيضية بكل فظاعتها بعد أقل من شهرين من إجراء الاستفتاء العام .

إن ما أراده النظام الشاهنشاهي من ارتكاب هذه المجزرة الفظيعة هو قمع التحرك الجماهيري ولكن الذي أدّت إليه هو أنها قطعت جسور النظام مع الشعب وجعلته يتهاوىٰ باتجاه السقوط الحتمي .

في عصر ذلك اليوم نفسه الذي ارتكب فيه النظام مجزرة المدرسة الفيضية وبعد فترة وجيزة من ارتكابها توجهتُ ـ وكنت من الفارّين من المدرسة ـ إلىٰ منزل الإمام الخميني للدفاع عنه إذا حدثت هناك اشتباكاتٌ أيضاً ، وعندما وصلت رأيت الإمام علىٰ حاله المعتاد مطمئناً ثابتاً ملؤه الأمل ، تحدث إلينا وكان حديثه سلوى قلوبنا وباعثاً للأمل فيها ، وصفَ هذه الجريمة الفظيعة بأنها علامة انهيار النظام وبشرىٰ سقوط الطاغية المستبد ، ودون أي تردد بادر سماحتُهُ إلىٰ إصدار بيانٍ قصير افتتحه بمقولة الإمام الحسين (عليه السلام) :

« إني لا أرىٰ الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما »

وأعطانا البيان لنقوم بمهمة طبعه وتوزيعه .

هذا الاطمئنان والثبات والأمل الذي وجدناه في القائد والبيان الذي أصدره ، أعاد إلينا الحيوية والاندفاع الذي فقدناه لفترة بعد الفاجعة ، فجاء استئناف النشاطات الثورية ضد النظام بعد ساعات من المجزرة التي توهم النظام أنه سيسلب بها القدرة علىٰ المعارضة من الشعب لسنين طويلة ، وأخذت النشاطات الثورية هذه صبغة هجومية وبدأت من قم لتمتد إلى عموم إيران ثم تنتقل إلىٰ العراق والباكستان وغيرهما .

« جند المهدي في معسكر بستان الشاه » :

في أول أسبوعين من السنة الهجرية الشمسية (١٣٤٢) (١٩٦٣ م) أعلن الإمام القائد أن عيد السنة الجديدة هذه هو عزاء وحزن ، وانتزعت فاجعة الفيضية الدموع من الناس في كل مكان مثلما فعلت وتفعل واقعة الطف وأصبح الشاه في أعين الناس تجسيَداً ليزيد العصر ، وأنجز ـ وبكفاءة ـ طلبةُ حوزة قم وأساتذتها مهمة تعريف زوّار قم بأبعاد الفاجعة ، كما قام المبلّغون بهذه المهمة نفسها في المدن الأخرىٰ التي توجهوا إليها بمناسبة عطلة أول السنة الجديدة .

أما محمد رضا بهلوي فقد كان يستعد لتوجيه الضربة الثانية للحوزة بعدما اتخذ قرار القمع الإرهابي ولم يبق له طريق للنجاة غيره ، فقام جلاوزته بتنفيذ الضربة الثانية من خلال استدعاء طلبة العلوم الدينية للخدمة الإلزامية ،

وطبقاً للقانون ، كان طلبة العلوم الدينية شأنهم في ذلك كشأن سائر طلبة المدارس والجامعات غير ملزمين بالخدمة العسكرية أثناء فترة الدراسة وكان النظام يعتبر هذا القانون امتيازاً للحوزة ولكن في الواقع كان امتيازاً للنظام لأنه يمنع الطلبة الثوريين الشباب من الحضوَر الفاعل في المراكز العسكرية .

وبدون رعاية هذا القانون أصدر النظام أمراً بجلب طلبة العلوم الدينية إلىٰ المعسكرات ، وبعد ثلاثة أسابيع من ارتكاب مجزرة « الفيضية » ، بدأ جلاوزة النظام ودون إنذار مسبق باعتقال طلبة الحوزات في قم وأصفهان ومشهد وغيرها من الشوارع وإرسالهم إلىٰ المعسكرات .

وكنت أنا ضمن الوجبة الأولىٰ من هؤلاء ؛ ففي صباح يوم (١٣٤٢,١,٢١ هجري شمسي) وعندما كنت متوجهاً إلىٰ دائرة البريد لإرسال مطبوعات « مكتب تشيّع » ، تم اعتقالي بالقرب من مركز الشرطة في شارع (باجك) في قم ، وبعد فترة قليلة من البقاء في هذا المركز تم نقلي مع مجموعة من الطلبة الآخرين الذين أُعتقلوا سريعاً إلىٰ دائرة الخدمة العسكرية .

وعلىٰ الرغم من كوني متزوجاً وكان لي حينها ثلاثة أطفال ، وعلىٰ الرغم من امتلاكي لوثيقة الإعفاء من الخدمة العسكرية فإنهم لم يرتبوا علىٰ ذلك كله أي أثرٍ وفي ذلك اليوم نفسه تم إرسالنا إلى طهران عصراً بمعية خمسة وعشرين طالباً آخرين بواسطة إحدىٰ الشاحنات ، ثم أُلحق بنا فيما بعد عددٌ آخر من « جند إمام العصر » فأصبحنا خمسين فنزعنا الزي الحوزوي ولبسنا الزي العسكري وبدأنا بتعلّم الفنون العسكرية من المتخصصين العسكريين وتعليمهم أشياء أفضل !! لقد كان الأمر مفيداً حقاً ؛ ولحسن التوفيق فقد حلَّ بُعيد ذلك شهر محرم الحرام ، فحوّلنا ـ نحن الخمسين حوزوياً ـ معسكر الشاه إلىٰ أشبه ما يكون بالمسجد أو الحسينية ، بحيث عندما زار قائد القوة البرية المعسكر عصر عاشوراء « اليوم العاشر من محرم يوم استشهاد الإمام الحسين (ع) » ، أخذتهُ الرهبةُ مما شاهد وأمر بمنع إقامة المجالس والمراسم .

لقد تم توزيع منشورات بيانات الإمام الخميني في كل أنحاء المعسكر الكبير « باغشاه ـ بستان الشاه » ، وكانت شعارات « يعيش الخميني والموت للشاه » تُشاهد بكثرة علىٰ خيمِ ميدان الرماية الذي بقينا فيه أسبوعاً للتمرين .

لقد أدرك الشاه أنه أخطأ ، وفقد امتيازاً دون أن يوجه ضربة ، فسعىٰ عبر عملائه المندسين إلىٰ الضغط على المراجع لإجبارهم على إعطاء بعض التنازلات للحكومة مقابل الطلب منها بإعفاء طلبة الحوزة من الخدمة العسكرية .

ذهبت إلىٰ قم قادماً من المعسكر وزرتُ الإمام وشرحتُ له فوائد الخدمة العسكرية التي جربتها فرأيت أنه بفكره وحساباته قد توصل إلىٰ أكثر مما توصلنا إليه نحن من خلال التجربة العملية ، فشيخنا الإمام رأىٰ عبر كل الحجب ما لم نره نحن الشباب في المرآة الصافية : وقد أشار سماحته في إحدىٰ بياناته المتتالية التي كانت تنزل كالصواعق على رأس النظام إلىٰ هذا الموضوع قائلاً : « دعوا شبابنا ذوي الضمائر الحية يذهبوا إلىٰ المعسكرات ويعيشوا وسط إخوتنا

العسكريين . . . » .

ثم وقعت واقعة « ١٥ خرداد » العظيمة ، ففرضت علينا نحن طلبة الحوزة رقابة مشددة في المعسكرات وقد وصلني يوماً خبر وجود ملف عني في مقر قيادة المعسكر يوضح أنهم عازمون على اعتقالي وإرسالي إلىٰ السجن ، فاخترت أيسر الطريقين ورجحت الفرار على البقاء .

ولديّ بعد الفرار من المعسكر ذكريات كثيرة تستحق الذكر سأسجلها للتأريخ لو حالفني التوفيق .

« ١٥ خرداد أو ١٢ محرم »

خلال الصفحتين أو الثلاث المتقدمة استعرضنا عبر مرور سريع تأريخ الأشهر الأخيرة من عام ١٣٤١ وأوائل عام ١٣٤٢ هجري شمسي (تتقارن مع عام ١٩٦٣ م) ، وهي فترة مليئة بالوقائع المهمة التي ولّدت وقائع مهمة أخرىٰ ، ولا شك بأن القارىء الكريم يبحث عن علاقة هذا الاستعراض التاريخي بموضوع هذا المقال ، وهذا ما أقدمه له الآن .

فطوال تلك الأيام والأسابيع والأشهر ، كنتُ على اتصال بالأستاذ المطهري وكان الأستاذ قبلي وأكثر مني وفي مستويات متقدمة عالية في قلب الوقائع ومجريات الثورة ، عندما كنت في قم كنت أسافر إلى طهران لزيارته أو كنتُ ألتقيه في قم ، وكنت أحصل علىٰ يومي إجازة أسبوعياً من المعسكر لكوني متزوجاً ولدي « واسطة » ، وكان ضمن أعمالي في هذه الإجازات الالتقاء بالأستاذ المطهري وسائر المتصدين لشؤون الثورة ، من أجل التباحث وتبادل وجهات النظر حول القضايا الراهنة .

وأحياناً كان الأستاذ كسائر العلماء الأعلام يأتون لزيارتنا في المعسكر ويلتقون بنا خلف بابه الجنوبي ، وفي إحدىٰ الزيارات صادف وجود الأستاذ مع قدوم عائلتي لزيارتي من قم ، حيث شاهدتني ابنتي ذات الثلاثة أعوام ولأول مرة

بالزي العسكري فقالت باستغراب « بـابا . . . هـل أصبحت شرطيـاً » فضحك الأصدقاء وبينهم الأستاذ ، وفي الوقت نفسه تجمعت الدموع في أعينهم ، وقد أعطىٰ الأستاذ خلال الزيارة أيضاً توجيهاته القيمة النافعة لنا بضرورة الاستفـادة من هذه الفرصة النادرة والاستثنـائية ـ فـرصة حضـور طلبة الحـوزة في معسكر « عسكر الشاه » .

وفي إحدىٰ هذه الزيارات اطلعتُ علىٰ توجيهات الأستاذ بشأن الاستفادة من أيام محرم الحرام في ذلك العام لفضح حقيقة « ثورة الشاه البيضاء » وكشف الحقائق أمام الجنود ، فيما يتعلق بمجزرة الفيضية وبجلب طلبة الحوزة للخدمة العسكرية الإلزامية وسائر الأعمال القمعية التي يمارسها النظام الشاهنشـاهي ، وقد نَفذَت هذه التوجيهات عملياً .

وإننـا نعرف ـ أنـا وبعض الأصدقـاء ـ أيّ دور كبير اضـطلع بـه الشهيـد المطهري في حوادث محرم عام ١٩٦٣ التي مهّدت لانتفاضة الخامس عشر من خـرداد (٥ حزيـران ١٩٦٣) ، وقد اكتشف النـظام أيضاً نـزراً يسيراً من هـذا الـدور ، فوضـع اسم الأستاذ المـطهري ضمن قـائمـة من ستين عـالمـاً ونيف اعتقلهم وأرسلهم إلىٰ السجون باعتبارهم العناصر المحركة لانتفاضة خرداد .

وعلىٰ إحـدىٰ الصفحـاتِ في ملف الشهيـد المـطهـري الـذي أعـده « الســافــاك » ورد تـقــريــرٌ عــن خــطاب لــه دار حــول ثــورة الإمــام الحسين (عليه السلام) ومقولته الشهيرة « . . . مَنْ رأىٰ سلطاناً جائراً . . . » ، حيث حدّد الأستاذ فيها اتجاه الانتفاضة نحـو شخص الشاه والنـظام الملكي ، وهو أمرٌ جديدٌ في تلك الأيام علىٰ أدبيات المعارضة ولا يمكن تحمله بـالنسبة للنظام الشاهنشاهي .

ومن جهة أخرىٰ فإن خطابات الأستاذ في السجن وأحـاديثه مـع السجناء وتأثيراتها على أفكارهم ، تشكل جميعاً فصـلاً مستقلاً من خـدمات المـطهري

وعظمة آثار وجوده المبارك ـ رحمه الله ـ .

« العلماء المهاجرون »

علىٰ إثر خطابه التأريخي المهم للغاية في المدرسة الفيضية وفي ذلك اليوم الخالد « العاشر من محرم الحرام عام ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ » ، تم اعتقال الإمام الخميني في مدينة قم ، هذا التطور ولّد انفجاراً عظيماً أدىٰ إلىٰ انتفاضة خرداد الشهيرة التي كشفت للشعب حقيقة النظام الشاهنشاهي الوحشية ، وفي أعقاب ذلك تم اعتقال الكثير من العلماء والخطباء الوعاظ والشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية ، وعُرّضَ عدد من التجار والكسبة والوجوه الثورية إلىٰ الإعدام بتهمة الإثارة والتحريض على الانتفاضة ، وانتشرت إشاعةٌ في أنحاء البلد تقول إنّ النظام الملكي عازمٌ علىٰ محاكمة الإمام الخميني وإعدامه .

هذه الإشاعة وبدلاً من أن تؤدي إلىٰ تثبيط عزائم أبناء الشعب وإرعابهم بعد كل القمع والوحشية التي شاهدوها من النظام ، أدّت إلىٰ غليان شعبي عام عكسته الشخصيات الدينية والعلماء ، وبسببه هاجر الكثير من علماء المدن إلىٰ العاصمة طهران للبحث عن أساليب معالجة الأمر ؛ وقد أثمرت ضغوطهم وعموم الضغوط الشعبية ، في إجبار النظام علىٰ إطلاق سراح الكثير من السجناء بينهم الشهيد المطهري ، كما تم نقل الإمام الخميني من سجن « عشرت آباد » إلىٰ منزل في منطقة « داودية » ثم إلىٰ منزل آخر في منطقة « قيطريّة » حيث وُضع تحت المراقبة التي تعني في حقيقتها سجناً أيضاً .

في تلك الفترة كنتُ قد هربت من المعسكر وأقمت في طهران متخفّياً ، وكان الأستاذ المطهري قد خرج من السجن واجتمع عددٌ من الأصدقاء ورفاق الجهاد في طهران ، الإمام كان غائباً في السجن ، لذا فإن مسؤولية إدارة شؤون الثورة انتقلت بطبيعة الحال إلىٰ عاتق « قادة الدرجة الثانية » ، خاصة وأن المراجع في قم ومشهد لم يقدّموا مساعدةً كبيرة ، لقد تولّىٰ عندها المطهري

وأمثاله مسؤولية سد الفراغ الناشيء من غياب الإمام الخميني قائد الثورة ، فلم يسمح أعضاء « جماعة المدرسين » في حوزة قم ، والمطهري وأنصاره في طهران ، بسقوط راية الثورة ، فسدوا بكفاءة فقدان الحضور المباشر للإمام خلال الأشهر التي قضاها في السجن ؛

وشيئاً فشيئاً ، وبعد فترة من الانقطاع عن مجريات الثورة ، استطاع الإمام الاطلاع على مسارها ، فعدنا ثانية ننتفع من توجيهاته وهدايته النبوية .

وخلال تلك الوقائع كان لـ (لجان الائتلاف الإسلامي) دورٌ أساسيٌّ ومهمٌّ للغاية في تسيير نشاطات الثورة ودفع مسيرتها والربط بين طهران وسائر المدن ، إلى جانب دور الحوزة العلمية والعلماء ، وكان للشهيد المطهري في كل ذلك حضورٌ مشهودٌ وفاعلٌ لا تخفىٰ أهميته علىٰ أحد ، فالمطهري كان محل الثقة والاحترام من قبل الحوزة والعلماء ، وكذلك من قبل لجان الائتلاف والمجاميع الدينية والوطنية والسياسية المعارضة للنظام ، مقبولاً لديها ومطاعاً عندها ، فهو مجاهد عاملٌ من أجل استمرارية الثورة واتساع نطاقها ، وقيمة وآثار حضوره خاصةً في غياب الإمام القائد واضحة للجميع غنيةٌ عن البحث والاستدلال .

« عودة الامام الى قم » :

وقد أثمر استمرار الثورة الشعبية وضغوط الرأي العام ومساعي العلماء والمراجع في إطلاق سراح الإمام وعودتهِ إلىٰ قم بعد غياب استمر عدة أشهر ، فبعث الإمام بعودته روحاً جديدةً في الحوزة العلمية وفي الثورة الإسلامية .

أحس الإمام الخميني بالرضا والارتياح عند عودته إلىٰ قم لاستمرار الثورة في غيابه ، فيما كان للمطهري ورفاقه ـ حقاً ـ السهم المشهود في حفظ الأجواء الثورية ومدّ الثورة بالغذاء الفكري والهداية العملية للثوار خلال فترة غياب القائد ، وهذه حقيقة يقتضي الإنصاف ذكرها .

أما الإمام الخميني ، ففور عودته إلىٰ قم ودون أدنىٰ تأخير ، واصل انتقاداته الحقّة وهجماته المنطقية ضد النظام وأسياده المستعمرين ودحض بذلك « شبهة المساومة » التي حاول عملاء الشاه بثها عن طريق وسائل الدعاية العامة ليضربوا بها الروح الثورية لدىٰ أبناء الشعب .

ونتيجة لاستمرار نشاطات الإمام الخميني ، لم يتحمل النظام وجوده في قم وفور طرح الإمام لموضوع ضرورة مواجهة قانون « الحصانة القضائية للأميركان في إيران » وضرورة رفض ومواجهة العلاقات الغربية الظالمة لإيران ، قام النظام في ظلمة الليل باختطاف الإمام ونفيه سريعاً إلىٰ مدينة « بورسا » التركية .

« فصل جديد » :

ومرّة أخرىٰ وبسبب نفي الإمام الخميني ، عادت مسؤولية هداية الشعب ومواصلة الثورة ، لتستقر على عواتق طلبة الإمام الذين تربّوا في مدرسته وأبرزهم « الأستاذ المطهري » .

« لجان الائتلاف الإسلامي » التي كان الشهيد المطهري يتولىٰ وأصدقاؤهُ مهمة توجيهها ، واصلت نشاطاتها بل وصعّدتها ، وكذلك الحوزة العلمية وأغلبية العلماء اتخذوا موقفاً معارضاً للنظام الشاهنشاهي .

أول شهر رمضان مرّ على نفي الإمام شهد أجواءً غايةً في الحماسة وأُصبنا خلاله بخسائر جسيمة حيث تمّ اعتقال الكثير من إخوتنا وأُودعوا السجون ، وفي هذا الشهر نفسه ، أسقطت رصاصات « الشهيد محمد بخارائي » ، « حسن علي منصور » رئيس وزراء الحكم الشاهنشاهي المجرم ومع الأسف فقد أدىٰ اكتشاف المجموعة التي نفّذت عملية الإعدام الثوري هذه ، إلىٰ فتح ثغرة للنظام دخل منها إلىٰ « لجان الائتلاف الاسلامي » ، فاعتقل كادرها القيادي وكوادرها من الدرجة الثانية من الذين كانت لهم علاقة بإعدام « حسن علي

منصور » والعمليات التي سبقتها أو تلتها « وأكثر هذه الكوادر ما زالت حاضرة اليوم في ميادين الثورة تواصل جهودها لدفع مسيرة الثورة » .

وبسبب هذا التطور تضاعف سخط النظام على الشهيد المطهري وفرض عليه مراقبة مشددة ومستمرة يتناوب عليها عملاء النظام وعناصر « الساڤاك » وقد تم اعتقالي أنا أيضاً للارتباط بهذا الموضوع وتعرّضت لأشد أنواع التعذيب المعروفة آنذاك .

ونتيجة لهذه التطورات اتخذت نشاطات الشهيد المطهري طابعاً جديداً وأساليب جديدة يمكن تصنيفها ضمن مرحلة أخرىٰ من خدمات الشهيد المطهري وجهاده ضد الكفر والإلحاد والاستعمار والاستبداد والاستعباد ، أرجو أن يتناول باقي الاخوة هذه المرحلة من جهاد الاستاذ خلال المواضيع الأخرىٰ في هذا الكتاب الخاص عن الشهيد المطهري ، ويمكن اعتبار أكثر كتب الأستاذ ومقالاته والأشرطة المتبقية من محاضراته ، مربوطة بثمار وجهود هذه المرحلة التي استمرت إلىٰ الأيام الأخيرة من عمر النظام البهلوي .

وآخر مراحل حياة وجهاد الأستاذ المطهري هي التي شملت إدارة شؤون الثورة في الأيام التي سبقت الانتصار والأيام التي تلته ، وهي المسؤولية التي أوكلها الإمام الخميني إلى المطهري وأنصاره وأنجزوها بكفاءة . . . والسلام .

١٣٥٨,١٢,٢٩ هـ .ش

الفصل الثاني

التحليل الموضوعي لمسيرة الأستاذ المطهري

في ١٣ شهـر جمادى الثـاني عام ١٣٣٨ هـ .ق ، وفي بلدة « فـريمان » التابعة لمدينة مشهد المقدسة ، رُزقت عائلةٌ من أهل العلم والتُقىٰ بوليدٍ حلَّ في بيتٍ تشعشعت فيه أنوارُ العلم والإيمان والتقوىٰ والفـلاح والصلاح والـطهارة ، والاسم الزكي « المطهري » هو أفضلُ معرّفٍ لهذا البيت المطهر .

نعم كـانت تلك أعظم نعمـة يَمنّ بها البـاري جلّت قدرتـه علىٰ الشيـخ « محمـد حسين المطهـري » ذلك الـرجل الـذي قضىٰ عمره في سلوك طـريق الحق ، وتجسّدت فيه التقوىٰ والطهارة والإخلاص .

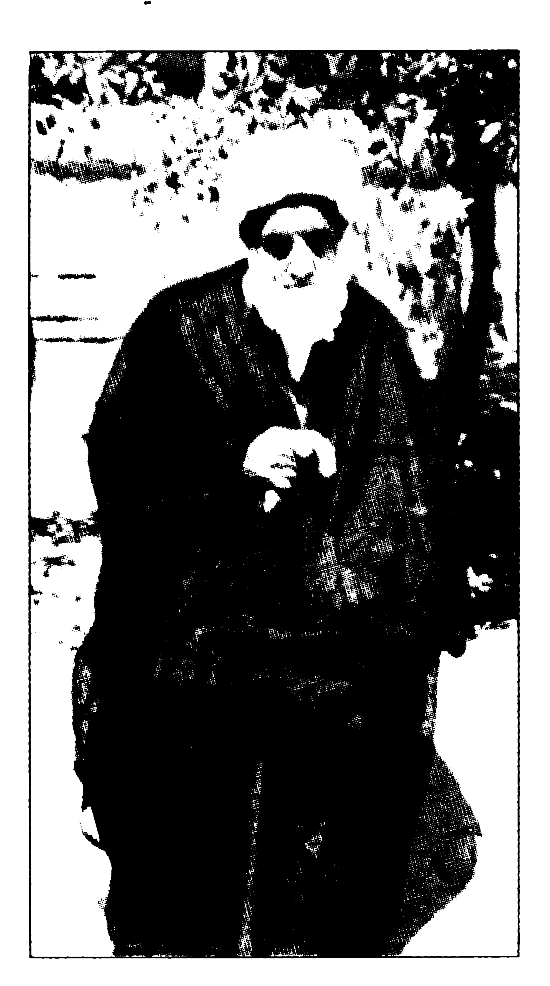
لم يكن من المناسب أن ينطفىء نور العلم والتُّقىٰ في هذه العائلة فرزقها الله بالوليد الذي سيحمل مشعل الإسلام الوضّـاء فينشر أنـواره في أقصى نقاط هذا البلد الإسلامي ، ويُعلن بأفعاله وأقواله بشرىٰ غلَبَةِ الحقّ علىٰ الباطل .

نعم . . . لقد شاءت القدرة الإلهية أن تَمُنَّ على هذا المجتمع الإسلامي بكوكب هداية ليكون نبراس طلاب الحقيقة ودليل عبّـاد الحق في ليل الجهـل والظلمات ، ولينهض للدفاع عن الإسلام العزيز في أشد مراحل تاريخه صعوبةً حيث يتعرض لشتىٰ الهجمات ومن مختلف الجهات .

نعم لقد وُلِدَ هذا الكوكب الوهّاج في بيت الشيخ محمد حسين المطهري .

اسمُ عائلة هذا الوليد يجسد خصاله البارزة وطهارة روحه ونقاء نفسه ، ولكن كان ينبغي أن يُختار له اسم يجسد الجنبة الأخرى من شخصيته فكان « مرتضىٰ » معبّراً عن نهجه الحائز للرضا وهكذا كان « مرتضىٰ المطهري » .

ترعرع الأستاذ المطهري في تلك العائلة الزكية ، وشاهدنا آثارها فيه ، ولقد صبغت التقوىٰ والنقاء والصدق والصفاء شخصيته فتجلّت في سلوكياته



طوال حياته المباركة ، كما شاهدنا تألقاتٍ خاصة في مراحل حساسة من حياته ، وهي تنبىء عن أنه حتىٰ في صغره كـان بعيداً عن الانحـرافات والتلوث تـرعاه الامدادات الغيبية وهذه الحقيقة تؤكدها طهارة وعراقة عائلتـه ، علىٰ الرغم من عدم امتلاكنا لمعلومات دقيقة عن مرحلة طفولته .

ومع انتهاء مرحلة الطفولة ، ذهب إلىٰ « المكتب » وشرع في تعلم القرآن والعلوم الأولية .

وعندما وصـل إلىٰ سنّ « ١٠ ـ ١٢ » عامـاً ، توهـج فيه عشقُـهُ للإسـلام ومعارفه وأخذ عليه كلّ وجوده متجليـاً في كل شؤونـه الحياتيـة تظهـر أواره من أعماق وجوده في كل حين .

وحـانت لحظات حسـاسةٌ مصيـرية لهـا تأثيـرها علىٰ مصيـر هـذا الفـرد ومجتمعه ومستقبل الإسلام وحركته الفكريـة والعقائـدية ، فكَشَف مكنـون قلبه وأعلن قراره بالتوجه للحوزة لطلب العلوم الدينية ، وجـاء توقيت هـذا الإعلان متـزامناً مـع ذروة الضغـوط وتصـاعـد أشكـال المحـاربـة التعسفيـة التي كـان يشنهـا « رضا خـان » وحكومتـه الظالمـة الدكتـاتوريـة ضد العلمـاء والحوزات الدينية .

أثار قرار الأستـاذ الحيرة والاستغـراب لدىٰ الجميـع ، فكيف يفكّر هـذا الفتىٰ الصغير بالتوجه لطلب العلوم الدينيـة في الحوزة في الـوقت نفسه الـذي كشفت فيه حكومة « رضا خان » عن هويتها المعاديـة للإسـلام وفرضت أقصىٰ الإجراءات التعسفية ضد العلماء والحوزويين فأصبحت حياتهم غاية في الضنك والصعوبة ؟!

توجه إليه الناصحون يحاولون إقناعه بالعدول عن هذا القرار لعله ينصرف عنـه ، لكنهم كانـوا غافلين عن حقيقـة أن في الأمر « يـداً أخرىٰ » وأن أمـامه « طريقاً آخر » ، لم تُجْدِ نفعاً كلُ وسيلة لجأوا إليها في لإقناعه بالانصراف عن

هذا القرار ، بل علىٰ العكس كانت تزيد عشق طلب العلوم الدينية في فطرته الطاهرة بدلاً من أن تقتله ، وأخيراً تغلب إصرار المطهري وثبات قراره علىٰ رأي المعارضين فخضعوا ورضوا بالسماح له بالتوجه إلىٰ الحوزة الدينية وهكذا ينصر الله دينه .

وعندما بلغ عمره (١٢ عاماً) أي في عام (١٣٥٠ هـ .ق) رحل إلى مشهد وشرع في دراسة العلوم الدينية في حوزتها ، وهنا ظهرت إحدىٰ التفاعلات الحساسة في حياته والتي كان لها تأثيرٌ مهمٌ في حياته العلمية والمعنوية ، وفي حركة الفكر الإسلامي المعاصر .

فالأفكار المتعلقة بمعرفة الله شغلته كثيراً وحرمته النوم والدعة ، مرّت الأيام والليالي والأسابيع والأشهر والأعوام والمطهري يعيش تفاعلات هذه الأفكار ، والشك والحيرة يسيطران علىٰ كل وجوده ، وكان التفكير في أي موضوع أو علم أمرٌ عبثيٌّ ما لم يصل إلىٰ ساحل اليقين والإيمان فيما يرتبط بتلك الأفكار فهي علىٰ درجة عالية من الأصالة والأهمية بحيث يعتبر حلّها مفتاح الورود إلىٰ أبواب العلم الأخرىٰ ، ولذلك فقد أقبلَ علىٰ دراسة مقدمات العلوم : العربية والفقه والأصول والمنطق ، بهدف الاستعداد لمناقشة أقوال الفلاسفة العظام ، ولهذا السبب بالذات كان ينظر إلىٰ الفلاسفة والعرفاء والمتكلمين علىٰ أنهم أبطال ميادين الفكر ؛ ولهذا السبب أيضاً كان المرحوم « الميرزا مهدي الشهيدي الرضوي » مدرس الفلسفة الإلهية في حوزة مشهد هو الأستاذ الوحيد الذي تعلق به المطهري بصورة قوية من بين كل أولئك العلماء والمدرسين في حوزة مشهد ، ولعل الجاذبية المعنوية والاشتياق للحضور في درس هذا الأستاذ هما أكبر العوامل التي دفعت الأستاذ المطهري إلىٰ الإسراع في إكمال علوم المقدمات .

وبعد قرابة الأربعة أعوام من الدراسة في حوزة مشهد ، توجه المطهري إلىٰ الحوزة العلمية لمدينة قم المقدسة في شهر رمضان عام (١٣٥٦) ، لتشهد

حياته المليئة بالمنعطفات ، منعطفاً جديداً وتفاعلات جديدة كان لها الأثر الأكبر في صياغة شخصيته العلمية والمعنوية ؛ فتضاعفت حصيلته العلمية والمعنوية وارتقت معارفه في مختلف العلوم والاختصاصات الإسلامية خلال الأعوام الخمسة عشر التي قضاها في حوزة قم وتتلمذه علىٰ أيدي كبار أساتذتها ، ومن الأحداث المهمة التي شهدتها هذه الفترة من حياة المطهري والتي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ عليه ، هي تعرفه علىٰ المرحوم الحاج الشيخ « الميرزا علي آقا الشيرازي » قدس سره في أصفهان عام (١٣٦٠ هـ .ق) .

وفي شوال عام (١٣٧١هـ .ق) هاجر الأستاذ المطهري إلىٰ طهران ليبدأ فصلاً جديداً مليئاً بالأحداث والتطورات ، وفي هذا العام نفسه بدأ نشاطاته العلمية وأنهىٰ تأليف مقدمة الجزء الأول من كتاب « أصول الفلسفة » كما أنهىٰ حاشيته عليه في عام (١٣٧٢ هـ .ق) ، وفي السنة التي تلته أنهىٰ شرح الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وعلىٰ الرغم من مرور أكثر من سبعة وثلاثين عاماً على هذا التأليف فما زال يمتاز بقوة البيان ومتانة الاستدلال .

والأستاذ المطهري شرع في نشاطاته السياسية في عام (١٣٧٢ هـ .ق) وواصلها إلى نهاية عمره الشريف ، وإن كان قبل ذلك وخلال دراسته في حوزة قم ، قد ارتبط بمنظمة « فدائيّي الإسلام » .

وبدءاً من عام (١٣٧٤ هـ .ق) شرع الأستاذ المطهري بالتدريس في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية التابعة لجامعة طهران ، واستمر نشاطه العلمي فيها عشرين عاماً ، كما شكل حوزةً تدريسية في مدرسة (مروي) الدينية في طهران شملت مختلف العلوم الإسلامية خاصةً الفلسفة ، وقد بدأ نشاطه العلمي هذا في السنين الأولىٰ من هجرته إلى طهران واستمر إلىٰ ما قبل استشهاده بثلاثة أعوام .

وتعتبر فترة إقامة الأستاذ في طهران من أغنىٰ مراحل حياته المباركة

وأكثرها ثماراً فقد شهدت القسم الأكبر من خدماته العلمية والتثقيفية تحقيقاً وتدريساً ومحاضرات ووعظاً وتبليغاً وسعياً لحل المشكلات الاجتماعية .

الكثير من أبناء الشعب الإيراني يعرفون عظمة الشخصية العلمية والإسلامية للأستاذ المطهري ، ولكن اتساع أبعادها وشموليتها تستلزم البحث في مختلف هذه الأبعاد للتعرف عليها بصورة أدق . ورغم أن الإحاطة بأبعاد هذه الشخصية كافّة أمرٌ يفوق قدرتنا ، إلا أن المرور السريع علىٰ أبعادها العلمية والمعنوية وعرض مزاياها وخصائصها يمثل الحدّ الأدنىٰ من الواجب الملقىٰ علىٰ عاتقنا أداءً لقسم ضئيل من الدَين الكبير الذي يستحقه الأستاذ المطهري علىٰ شعبنا ، لذا نشرع في هذا المرور الاستعراضي السريع والتحليل الموضوعي لأبعاد شخصية المطهري مشيرين في كل بُعدٍ إلىٰ خلفيته التاريخية التي نعطيها الأهمية الثانية. فيما نولي التحليل الموضوعي الأهمية الأولىٰ ، وقد اخترنا هذه المنهجية لأن اتضاح شخصية وسيرة الأستاذ في كل بُعدٍ من أبعادها يُعين على تقديم نموذج وقدوة لسالكي طريق الحق في كل مجال ، وهذا ما نشرع فيه ضمن أبواب عدة .



« الأستاذ المطهري والثقافة الاسلامية » :

من المميزات المهمة والخصائص البارزة للأستاذ ، سعة إحاطته بالثقافة الإسلامية بشتّىٰ فروعها كالفقه والأدبيات والأصول والتفسير والحديث والفلسفة والأخلاق والعرفان والسير والسلوك[1] ؛ وهنا من الضروري أن نتعرف علىٰ طبيعة نظرة الأستاذ المطهري للثقافة والمعارف الإسلامية .

فالأستاذ المطهري كان علىٰ إحاطةٍ بالثقافة الإسلامية بمختلف فروعها ، عارفاً بخلفيات ظهورها ومسيرها التاريخي ، مهتماً خصوصاً بالقرآن والسنة ونهج البلاغة وسائر المراجع الإسلامية الأصلية مستأنساً بها ، وكان ينظر إليها نظرةً واقعية تؤكد أن أبناء الإسلام المخلصين يتعاملون بعشقٍ وإخلاص مع المعارف الإسلامية المُستقاة من القرآن والسنّة ويتوجّهون إليها لاستنطاقها وفقاً لمقتضيات الزمان والمسائل المستحدثة والحوادث الواقعة في كل عصر .

ويرىٰ الأستاذ أنه يجب العثور علىٰ المبادىء الأساسية لجميع العلوم الإسلامية في تعليمات الإسلام والقرآن الكريم ، فالإسلام دين شامل لا ينحصر في بُعدٍ واحد أو بعدين وهكذا هو القرآن الكريم مثلما أن الإنسان نفسه ذو أبعادٍ متعددة فلا يمكن تحجيم احتياجاته في بُعد واحد أو بعدين .

إن المعارف الإسلامية تشتمل علىٰ تعاليم وتوجيهات لمختلف المجالات ولا يمكن بحال عزلها عن بعضها البعض مثلما نرىٰ في القرآن الكريم الذي جمع بين مختلف نواحي الحياة بصورة إعجازية محيّرة ، فمثلاً يجب أن تتجسد أصول العقائد الإسلامية ونظرتها تجاه قضايا الكون والحياة ، في مختلف شؤون الحياة الإنسانية ونشاطاتها الفردية والاجتماعية الفكرية والعلمية ، العبادية

---

(١) يُراجع هنا وصف الامام الخميني له بهذه الاحاطة في بيانه بمناسبة استشهاده وتأكيده على ندرته في ذلك.

والسياسية والعلاقات الاجتماعية والتبليغ والإرشاد والتربية والتعليم والأخلاق وغير ذلك ، ويمكن بهذه النظرة تكوين معرفة أدق وأشمل بمختلف أقسام المعارف الإسلامية .



فالآيات الكريمة المتعلقة بالأحكام والعبادات والمعاملات والحدود والديات وغير ذلك شكلت الأساس الذي قام عليه علم «الفقه» باعتباره أحد فورع الثقافة الاسلامية.

والآيات المتحدثة عن أصول العقائد ومعارف المبدأ والمعاد شكلت الأرضية التي أوجدت علم «الكلام» و«الفلسفة الاسلامية»، وكذلك الحال مع التوجيهات الأخلاقية القرآنية التي استحوذت على اهتمام علماء «علم الأخلاق»؛ وهكذا بالنسبة لفروع الثقافة الاسلامية الاخرى.

ومما تقدم يتضح أن المعرفة بمختلف أبعاد المعارف القرآنية ومختلف العلوم الإسلامية ، هي أمرٌ ضروري لا غنىٰ عنه للمفكر الإسلامي ، . إذ إن شرط المعرفة الصحيحة والعميقة بالإسلام هو أن ننظر إليه نظرةً شمولية لكافة جوانبه وأبعاده لتتضح لنا معالم جماله وجاذبيته بالصورة الفضلىٰ والكاملة .

وإضافة إلىٰ هذه الشروط هناك عاملٌ مهم آخر في هذا المجال هو عامل صدق العشق والإيمان والإخلاص ، فيجب الاستعانة بجناحي العلم والإيمان للتحليق في أجواء المعارف الإلهية بتوفيق إلهي ، ومن مزايا الأستاذ المطهري تجسد هذين العاملين معاً في شخصيته ، فقد كان محيطاً بجميع أبعاد الثقافة الإسلامية من جهة ، ومن جهة أخرىٰ كان عاشقاً للإسلام والقرآن بكل وجوده .

الأستاذ المطهري كان يبحث مختلف القضايا دون تعصب ، فلم ينكر حقيقة تغلغل بعض الأفكار الأجنبية الدخيلة في الثقافة الإسلامية علىٰ مدىٰ القرون الأربعة عشر الماضية ، إمّا مكراً من الأعداء أو جهلاً من الأصدقاء بل وحتىٰ بعد تفجّر الثورة الإسلامية في إيران ، كانت الأفكار الدخيلة تُروّج تحت غطاءٍ إسلامي ، من قبل الفئتين نفسيهما ، أي الأعداء الماكرين أو الأصدقاء الجاهلين .

أما سبيل مواجهة هذه الأفكار الدخيلة والدفاع عن الإسلام النقي فيتمثلان في تبليغ ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة باللغة التي يفهمها الجيل المعاصر ، فبالاستناد إلىٰ الفقه الإسلامي العريق يُعْرض « الاقتصاد الإسلامي » ، و « النظام الحقوقي الإسلامي » و « النظام السياسي الإسلامي » ، وبالاستناد إلىٰ الفلسفة والعرفان الإسلاميين تطرح « نظرية المعرفة والنظرة الكونية في الإسلام » ، وبالاستفادة من المعارف القرآنية : تعرض « النظرية القرآنية تجاه حركة التاريخ » وهكذا وقد قدّم الأستاذ المطهري خدمات جليلة في هذا التعريف وتبليغ الثقافة الإسلامية عبر هذا المنهاج .

« الاستاذ المطهري وعلوم اللغة العربية والفارسية » :

كان الأستاذ المطهري عارفاً بالأدبيات العربية بفروعها المختلفة كالصرف والنحو والبيان والبديع ، بالصورة الكاملة اللازمة لإعداد الأرضيَة التمهيدية لدراسة سائر العلوم الإسلامية ، وكان يدرس فروع علوم العربية في حوزة قم خلال إقامته فيها ، ويمكنَ الإشارة في هذا المجال إلىٰ تدريسه لـ « المطوّل » مثلاً ، كما كان مطلعاً بإحاطة واسعة بآداب اللغة الفارسية ، وهذه الإحاطة ، إضافة إلىٰ الإحاطة بالعلوم الإسلامية مكّنت الأستاذ الشهيد من إدراك عمق تأثير الإسلام في الأدب الفارسي ، ونلاحظ هنا كثرة استشهاد الشيخ في كتبه بأشعار جلال الدين الرومي ، وحافظ وسعدي الشيرازيين وغيرهم من فطاحل الشعراء الإيرانيين ، بما يناسب موضوع كل بحث ، وتمتاز شروح الأستاذ المطهري للأشعار العرفانية والفلسفية خاصة « ثنائيات الرومي » و « ديوان حافظ » بأهمية خاصة في هذا السياق ، ولعل هذه الإحاطة الواسعة بالأدب الفارسي الثري هي التي ميزت كتابات المطهري بلغةٍ مؤثرةٍ وبيان وبلاغة قوية ، فقلما نجد مثلاً ، الكلمات الغريبة والصعبة في كتاباته ، ومعلومٌ أن هذا الأسلوب في الكتابة هو ميزة إيجابية مهمة لعالم كبير مثل المطهري حيث أن أمثاله من العلماء والفضلاء قضوا فترات طويلة من حياتهم مع المصطلحات العلمية المعقدة والمفردات العربية ، وهذه الميزة هي نوعٌ من التضحية كما يصفها آية الله الجوادي الآملي .

« الأستاذ المطهري وعلوم الفقه والأصول » :

كان للأستاذ المطهري تبحّر كاملٌ بالفقه الإسلامي حتىٰ أن الإمام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) وصفه بـ « الفقيه ذي الرتبة السامية » ، وقد انتفع الأستاذ من دروس أساتذة كبار كآية الله العظمىٰ البروجردي وآية الله السيد محمد المحقق « الداماد » ، وقد واصل هو رحمه الله تدريس الفقه سنين طويلة

في مدرسة « مروي » الدينية في طهران .

وبفضل إحاطته الكاملة بالفقه الاسلامي العريق ، نجح الأستاذ المطهري في حل الكثير من المعضلات المعاصرة كتلك المربوطة بقضايا الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام مثلاً ، ويعتبر كتاب « الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام » من الكتب القيمة جداً للأستاذ المطهري التي ألّفها دفاعاً عن أحكام الفقه الإسلامي الأصيل. هذا الكتاب التحقيقي النادر حول القضايا المربوطة بالمرأة هو ثمرة الذهن الوقاد الذي امتاز به المطهري في تحليل القضايا وإحاطته الكاملة بالعقيدة الإسلامية والفقه العريق .

وكان الأستاذ يهتم بالبحث الشامل في الأحكام الإسلامية التي تعرّضت للهجمات المضادة ، ويمكن الإشارة هنا إلىٰ بحثه حول قضية « الرّق » في الاتحاد الإسلامي للأطباء وكذلك مباحثه « الإسلام ومقتضيات العصر » .

أما بالنسبة لعلم « أصول الفقه » فقد درسه الأستاذ علىٰ أيدي آية الله العظمىٰ البروجردي وآية الله العظمىٰ الإمام الخميني ، وقد استطاع اكتشاف جذور بعض مباحث الفلسفة الإسلامية في أقوال علماء الأصول وأوضح دورهم في الفلسفة الإسلامية ، وهذه هي ثمرة اطلاعه علىٰ أفكار الأصوليين .

وكان للأستاذ المطهري دروسٌ متعددة في « أصول الفقه » كحلقة تدريسه لكتاب «الرسائل » ، كما كتب منهاجاً مختصراً في أصول الفقه كجزء من المنهج الدراسي لطلبة كلية « الإلهيّات » .

« الاستاذ المطهري وعلم الكلام والفلسفة الاسلامية » :

امتاز الأستاذ المطهري بتبحّر خاص في علم الكلام والإحاطة بأفكار وآراء المتكلمين المسلمين من جهة والاطلاع علىٰ الفلسفة الإسلامية وآراء أساطينها من جهة أخرىٰ ، وبهذه الميزة يُعد المطهري من الثلة النوادر الذين فهموا

الفلسفة الاسلامية حقّاً وذاقوا حلاوة مطالبها وأدركوا أهمية هذا الميراث القيم .

وإذا أردنا أن نستعرض الخلفيات التاريخية لأفكار الشهيد المطهري وآرائه الفلسفية ، فينبغي العودة إلىٰ مرحلة دراسته في حوزة مشهد حيث كان عمره ثلاثة عشر عاماً ، ففي تلك الفترة كان الشهيد مهتماً بقوة وشدة بقضايا الاعتقاد ومعرفة الله التي تشكل أساس سائر المعارف الإسلامية ، حيث أدرك حقيقة أن ما لم تُحلّ هذه القضايا فإن البحث في المواضيع الأخرىٰ لن يثمر سوىٰ إضاعة الوقت ، يقول الأستاذ المطهري نفسه عن هذه المرحلة :

« أتذكر فيما يمكنني أن أتذكرهُ عن حالاتي الروحية ، أني كنت في الثالثة عشر من عمري ، عندما ، أحسست بهذا الشعور في نفسي ، شعورٌ مرهفٌ بالنسبة إلىٰ المسائل الإلهية وأخذت تتوارد علىٰ ذهني الأسئلة المتوالية بما يناسب مستوىٰ فكري آنذاك .

وفي السنين الأولى لهجرتي إلىٰ (قم) ، حيث لم أكن قد انتهيت من دراسة العلوم العربية ، كنتُ غارقاً في خضم هذه الأفكار بحيث كنتُ شديد الميل للعزلة والانفراد ، فلم أكن أتحمل وجود شريك لي في حجرة المدرسة ، فاستبدلت الغرفة الممتازة في الطابق الثاني بحجرة صغيرة لأجل الاعتزال والخلو مع أفكاري الخاصة ،

وكنت لا أرغب في ساعة الفراغ أن أفكر في موضوع آخر وفي الواقع كنتُ أرىٰ التفكير في أي موضوعٍ قبل الانتهاء من حلِّ مسائل هذا الموضوع تضييعاً للوقت ، وإنما كنت أدرسُ المقدمات ، كعلوم الأدب العربي والفقه والأصول والمنطق لأتهيَّأ تدريجياً لدراسة أفكار الفلاسفة الكبار حول هذا الموضوع »[1] .

---

(١) مقالة «المادية في إيران» .

ونحن اليوم نحمد الله تعالىٰ علىٰ أن كانت هـذه الاعتلاجـات الروحيـة والشكوك المقدسـة هي فاتحـة الطريق أمـام خلاصـه ونجاتـه من وادي الحيرة والشـك والوصـول إلىٰ ساحـل « اليقين » ، فهذه الشكـوك هي التي دفعته إلىٰ طلب الحقيقة وتمحيص آراء الفلاسفة والمتكلّمين والعرفاء ، والتدبّـر وتحليل المعـارف القرآنيـة والتوجيهـات والتعليمات الـواردة عن النبي الأكـرم والأئمـة الأطهـار (عليهم أفضل الصـلاة والسلام) ، من خـلال ذلك تـوصل إلىٰ نـور الحقيقـة وعثر علىٰ ضـالته العـزيزة فتضـاعف لذلـك إيمانـه بـأحقيـة الإسـلام وترسخت واستحكمت فيه مشاعر العشق لهذا الدين المربي للإنسان ، فأوقف حيـاته المبـاركة علىٰ تبليغـه والتعريف بصـورته المشـرقة الـوضـاءة وحقـائقـه الأصيلة .

لقد أدرك الأستاذ المشكلة الأساسية جيداً ، وساهمت اندفاعاته وعشقـه لحل إشكالاتها إضافة إلىٰ حبّه وتعلّقـه بالمعـارف الإسلاميـة إلىٰ تقدمـه ورقيه السـريع بحيث استـطاع خلال الخمسـة عشر عـاماً التي قضـاها في حـوزة قم للدراسة تشكيل حصيلة علمية ثريـة في شتىٰ فروع العلوم الإسـلامية ، وأنهىٰ دراسـة العلوم العقليـة والفلسفـة الإسـلاميـة خـلال سبعـة أعـوام ، وفي عـام (١٣٧٢ هـ .ق) ألف شرح الجـزء الأول من كتاب « أصـول الفلسفـة » الذي امتاز بقوة الاستدلال وجمال البيان ولم تنقص الأعوام من قيمته شيئاً .

في عام (١٣٦٣ هـ .ق) بدأ المطهري الدراسة المنهجية للعلوم العقلية وفي عام ١٣٦٩ اشترك في حلقة درس الأستاذ العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (رضوان الله تعالىٰ عليه) حيث درس عنده الإلهيات وكتاب « الشفاء » لابن سينا ، ثم اشترك في الدرس الخاص للمرحوم العلامة الطباطبـائي حول الفلسفة المادية .

وقد انتفع المطهري في مجـال الفلسفة الإسـلامية من دروس وإفـادات

الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي والمرحوم الميرزا مهدي الآشتياني (رضوان الله عليهم) .

وإضافةً إلىٰ الفلسفة الإسلامية كان للأستاذ المطهري اطّـلاع كاف علىٰ الفلسفة الغربية وسنتحدث عنه في فقرةٍ خاصة به لاحقاً إنشاء الله .

وقد استطاع الأستاذ معرفة القيمة الحقيقية للفلسفة الإسلامية من خـلال تبحره فيها ومقارنتها بالميراث الفلسفي للفلاسفة اليونانيين ، يقول (رحمه الله) بهذا الصدد (في كتابه العدل الإلهي) :

« إن الحكمة الإلهية في المشرق الإسلامي ، هي جوهرةٌ عظيمةٌ غالية ، أوجدتها أنوار الإسلام الوضاءة ، وأهدتها إلىٰ البشرية جمعاء ؛ ولكن مع بـالغ الأسف ، فإن الذين اطّلعوا علىٰ هذه الجوهرة العظيمة اطّـلاعاً عميقـاً هم ثلة قليلة للغاية ، فيما صبّ عليها الجهلة والأعداء المتعصبون أشكال الظلم .

وكان الناس يتوهمون ؛ أنّ الحكمة الإلهية الإسلامية هي الفلسفة اليونانية القديمة نفسها تسللت إلىٰ الإسلام بطريقة غير مقبولة ؛ وهؤلاء يرتكبون بذلك ـ عن علم أو جهـل ـ جريمـةً عـظمىٰ بحق الإسـلام والمعـارف الإسـلاميـة ، فالحكمة الإسلامية تختلف عن الفلسفة اليونانية بالدرجة نفسها التي يختلف بها علم الفيزياء عند « أينشتاين » عن علم الفيزياء عند اليونانيين ، وهناك أدلةٌ علىٰ أن حتى « إلهيات » ابن سينا لم تصل إلىٰ أوروبا كاملة ، والأوروبيون مـا زالوا جاهلين بهذا الكنز العظيم . . . » .

لقـد أدىٰ الاقتدارُ الكـامل لـلأستاذ في فهم وتـدريس القضايـا الفلسفية العميقة ، إلىٰ أن يكون بحثه في هذه القضايا بحثاً معمقاً وأساسياً فهو يعرضها بصورة صحيحة ثم يناقش الإشكالات المـطروحة ويجيب عليهـا ، ومعلومٌ أن الطرح السليم للمسألة والفهم الصحيح لهـا ، يُعينان كثيـراً علىٰ التوصـل إلىٰ الحل الصحيح بشأنها .

وتعتبر هذه المنهجية من الخصائص الايجابية المهمة في شخصية الأستاذ وظهرت آثارها بوضوح في جميع محاضرات ودروس الأستاذ وكتاباته وعلىٰ سبيل المثال يمكن الإشارة إلىٰ كتب « الحجاب ، حقوق المرأة في الإسلام ، مقدمة وشرح كتاب أصول الفلسفة وكذلك دروس في حركة التاريخ » .

وخلاصة الأمر هي أن النظرة العميقة للأستاذ المطهري لمسائل العقائد الإسلامية أعانته علىٰ الدفاع عن حريم الإسلام من خلال سلسلة كتابات « مقدمة لنظرية الإسلام تجاه الكون والحياة » كما أن اللغة البليغة و « السهلة الممتنعة » التي امتاز بها الأستاذ في تفهيم المسائل الفلسفية قد ظهرت بوضوح في شروحه الفلسفية حيث سعىٰ إلىٰ تبسيط المعضلات الفلسفية إلىٰ درجة يستطيع معها فهم تلك المعضلات حتىٰ الذين ليس لهم اطلاع مهم علىٰ الفلسفة ومصطلحاتها .



وللأستاذ جهود مكثّفة في مجال نقد الفلسفة المادية فقد بدأ دراستها بصورة مباشرة في عام (١٣٦٥ هـ . ق) ، وقام بمقارنتها بمعارف الفلسفة الإلهية العميقة ، فأدرك بوضوحٍ ضعفها وخواء أسسها يقول (رحمه الله) بهذا الخصوص : في مقالته « المادية في ايران » :

« كنت أطالع بشوق وحبٍّ وعشقٍ كبير الفلسفة الإلهية والفلسفة المادية وأناقشهما ،

وحتىٰ عندما كنتُ في قم تيقّنتُ وبصورة جازمة من حقيقة أن الفلسفة المادية ما هي بفلسفة حقيقية ، وكل من يفهم الفلسفة الإلهية بعمق يرىٰ أن جميع أفكار وآراء الفلسفة المادية ، أوهام لا أكثر .

واليوم وبعد ستة وعشرين عاماً علىٰ ذلك التاريخ ومع استمراري في مطالعة كلا الفلسفتين ، يتضاعف يوماً بعد آخر إيماني بحقيقة أن الفلسفة المادية ، هي فلسفة الذين لا يعرفون الفلسفة . . . » .

كما كان الأستاذ متبحّراً في فلسفة « المشائين » وكتب ابن سينا حيث كان الأستاذ الوحيد في مستوىٰ (الدكتوراه) في هذا الفرع الفلسفي في كلية « الإلهيات » ، وإلىٰ جانب ذلك كان على إحاطة كاملة بـ « الحكمة المتعالية » لصدر المتألهين الشيرازي الذي أكنّ له الشيخ احتراماً وعشقاً خاصاً ومشهوداً في جميع كتاباته الفلسفية ، حيث كان يعتبر آراء صدر المتألهين ذروة الفكر الفلسفي في الثقافة الإسلامية ، وكان عارفاً بأوجه تمايز هذه الآراء عن الآراء الفلسفية لابن سينا .

وحقيقة الحال هي أن الأستاذ المطهري وبفضل تبحره الواسع في علم الكلام وفلسفة الإشراق والعرفان وفلسفة المشائين والحكمة المتعالية لصدر المتألهين ، قد جمع في آرائه الفلسفية المنصرمة عصارة وخلاصة كافة الأفكار الأصيلة النقية لعظماء الفكر الإسلامي علىٰ مدىٰ الأربعة عشر قرناً المتصرمة ،

وكان بذلك عارفاً بالتطور التأريخي للأفكار الفلسفية والكلامية والعرفانية ، بل إن للأستاذ نظريات وآراء جديدة مبتكرة في العديد من المعضلات الفلسفية الدقيقة ، وهذه النظريات توضحُ أنه صاحب رأي معتبر في القضايا الفلسفية وقد صرّح المرحوم العلامة الطباطبائي بهذه الحقيقة .

ويعتز الأستاذ المطهري بالمعارف العميقة التي توصل إليها في فرع الفلسفة الإسلامية ، وبالأطروحات الفكرية التي بلورها من هذه المعارف فيما يرتبط بمسائل العقائد الإسلامية .

وقد درّس الأستاذ المطهري كتب الفلسفة الإسلامية ، (كالشفاء لابن سينا ، والمنظومة للسبزواري والأسفار لصدر المتألهين) وعلىٰ مدىٰ سنين طويلة في مدرسة « مروي » في طهران وكلية الإلهيات وحوزة قم المقدسة .

ومن السنن الحسنة التي سنها الأستاذ في تدريس الفلسفة هي التطرّق إلىٰ خلفيات السير التأريخي لكل مسألة من مسائلها ، فيذكر هل أنها من مبتكرات الفلسفة الإسلامية أم أنها كانت مطروحة في الفلسفة اليونانية وكيف طرحت ، وإذا كانت من مبتكرات الفلسفة الإسلامية فمن هو صاحبها ومتىٰ طرحها ، وهذه الخصوصية تُلاحظ بوضوح في شرحه لكتاب « أصول الفلسفة » ، وهذه « السنّة » نادرة بين فلاسفة الإسلام ، وينتفع منها العلماء الغربيون عادة ، والعمل بها يستلزم اطّلاعاً كاملاً علىٰ نتاجات جميع الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء والفهم المعمق لآرائهم .

أما نتاجات الأستاذ المطهري ذات الطابع الفلسفي (التي تم نشرها أو المعدة للنشر) فهي :

١ ـ مقدمة وشرح كتاب (أصول الفلسفة) (٥ مجلدات) .

٢ ـ الدوافع نحو المادية .

٣ ـ الإنسان والمصير .

٤ ـ التعرف علىٰ العلوم الإسلامية (المنطق والفلسفة) .

٥ ـ تصحيح كتاب « التحصيل » والتعليق عليه .

٦ ـ قسم من كتاب « في رحاب نهج البلاغة » .

٧ ـ المقالات الفلسفية (طبع منها إلى الآن ثلاثة مجلدات) .

٨ ـ نقد الماركسية .

٩ ـ شرح المنظومة .

١٠ ـ الشرح المطول للمنظومة (٤ مجلدات) .

١١ ـ الحركة والزمان (طبع منه مجلدان إلى الآن) .

١٢ ـ دروس في كتاب « الشفاء » المجلد الأول .

« الاستاذ المطهري والقران » :

لم يستطعْ البحث والتبحر في العلوم الكلاسيكية العقلية والنقلية إبعاد الأستاذ المطهري عن القرآن الكريم ، فهو العاشق للقرآن ومعارفه . ارتبط بقوة بالقرآن وأنس به بحيث أصبح مصداقاً لقول الإمام علي (عليه السلام) : « فأما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا . . . » .

كان الأستاذ ملتزماً بتلاوة القرآن نصف ساعة قبل النوم ، كما كانت للشهيد عدة دروس مستمرة في تفسير القرآن بدأت في عام (١٣٧٥ هـ .ق) ، وكمثال يمكن الاشارة إلىٰ دروس التفسير التي كان يعقدها في محلة « قلهك » في طهران والتي استمرت علىٰ مدىٰ (١٥) عاماً وكذلك دروسه التفسيرية في مسجد الجواد (ع) .

ومن الابتكـارات القيمة لـلأستـاذ في المعـارف القـرآنيـة ، هـو البحث الموضوعي فيها ، علىٰ غرار أسلوبه في دراسة نهج البلاغة ، وإن كان لم يُوفّق في إكماله واختار لتأليفه بهذا الصدد عنوان « في رحاب نهج البـلاغة » ، فيمـا أطلق على ممارسة هذا الأسلوب في ألمعارف القرآنية عنوان « معرفَة القرآن » ، ومن المـواضيع التي بحثهـا الأستاذ بهـذا الأسلوب يمكن الإشـارة إلىٰ كتـابـه « نظرية المَعرفة في القرآن » ، و « فلسفة التاريخ في النظرة القرآنية » .

وقد توصل الأستاذ إلىٰ معارف قيمة من خلال العمل بهـذا الأسلوب في البحث ، ولم تقتصر ثماره علىٰ بحث المواضيع التي ورد ذكرها في القرآن بلغة صريحة بل تعدتها إلىٰ القضايا الراهنة التي لم تُذكر في القرآن باللغة الصريحة المتعارفة في العصر الحاضر لذا يستلزم استنباطها من الآيات ، فبحثها الأستاذ وفق هذا الأسلوب واستنبط النظرة القرآنية بشأنها كنظرية معـرفة التـاريخ وسنن حركته .

وكان الأستاذ المطهري من أولئك الذين يحذرون من عدم توافر الاهتمام الـلازم بالمعـارف القرآنيـة في الحوزات العلميـة ويقـول : « يـدرس الـطالب الحوزوي كتاب الكفاية ، ثم يقرأ الرد على الكفاية والرد علىٰ الرد . . . ولكنه جاهل بتفسير القرآن » .



« الاستاذ المطهري ونهج البلاغة » :

إمتاز الشهيد المطهري بارتباط قوي وخاص بنهج البلاغة والإمام علي (عليه السلام) ، فقد أَنِسَ بهذا الكتاب وكثيراً ما كان يستشهد في محاضراته بمقاطع منه حسب الموارد المناسبة ، كان يشيد بتوجه واهتمام الشباب بنهج البلاغة ولكن كان يوصيهم دائماً بالالتفات إلىٰ مختلف أبعاده والانتباه إلىٰ عدم انحصاره في بعدٍ واحد .

وقد دَفَع تعلق الأستاذ بهذا الكتاب إلىٰ تأليف مقالات ضمن عنوان « في رحاب نهج البلاغة » والتي طبعت فيما بعد في كتاب حمل هذا العنوان نفسه ، ولكن لم يستطع المطهري لكثرة مشاغله من مواصلة هذه المقالات علىٰ الرغم من تحينه المستمر لفرصة متابعتها ، والأمل أن تشكل معرفة أسلوبه فيها إلىٰ مواصلة طريقه .

ومن الناحية التأريخية تمتاز معرفة الأستاذ بنهج البلاغة بسابقة طويلة بل وقد سمع منذ الطفولة باسم هذا الكتاب وامتلك معرفة سطحية عنه خلال المراحل الدراسية الأولىٰ ، ولكن هذه المعرفة تعمقت كثيراً ودخلت منعطفاً جديداً بعد أن تعرف في عام (١٣٦٠ هـ .ق) ـ خلال حادثة عجيبة ـ بعظيم هو « الميرزا علي آقا الشيرازي الأصفهاني » (قدس سره) والأفضل أن نسمع شرح حاله من قلم الأستاذ نفسه :

« لعله قد اتفق لكم ـ وإن كان لم يتفق فإنكم تستطيعون أن تتصوروا ما أريد قوله ـ أَنْ عشتم أعواماً مع رجل في محلة واحدة كنتم تقابلونه كل يوم مرة علىٰ الأقل فتسلمون عليه أو يسلّم عليكم وفق المجاملات العرفية ، ثم تنطلقون عابرين ، وعلىٰ هذا المنوال تمضي الأيام والشهور والأعوام .

حتىٰ يتفق أن تجلسوا معه عدة مجالس فتتعرفوا علىٰ أفكاره واتجاهاته ومشاعره ، وحينئذ تشعرون بكل إعجاب أنكم لم تكونوا قادرين أن تعرفوه كما

عرفتموه الآن .

ومن ذلك الحين تتبدل الصورته في أذهانكم عنه ، حتىٰ صورته الجسدية تبدو في نظركم علىٰ غير ما كانت عليه من قبل ، ويجد كرامة ومحبةً في أنفسكم لم يكن يحظىٰ بها من قبل ، وتظهر لكم شخصيته من وراء الحجب غير ما كانت عليه وكأنه غير ذلك الرجل الذي كنتم ترونه وتقابلونه منذ سنين أو كأنكم قد اكتشفتم عالماً جديداً غير ذلك العالِم السابق ، وهكذا كان تعرفي علىٰ نهج البلاغة ، إذْ كنتُ أعرفه منذ صغري بعد ما رأيته بين كتب والدي (أعلىٰ الله مقامه) ، وبعد ذلك اشتغلت بالدراسة أعواماً فأكملت العلوم العربية في الحوزة العلمية بمدينة « مشهد » ثم في الحوزة العلمية في بلدة قم المقدسة ، وكنت علىٰ وشك إنهاء الدراسة التي يصطلح عليها بـ « دراسة السطوح العالية » .

وعلىٰ مدىٰ هذه المدة كان اسم « نهج البلاغة » يطرق سمعي أكثر من أي كتاب آخر بعد القرآن الكريم .

وكنتُ منذُ ذاك أسمع بعض الخطب منقولة عنه في الزهد من الخطباء يكررونها كثيراً حتىٰ أني كنتُ أحفظها تقريباً ، ولكني أعترف أني كنت ـ كمعظم أقراني من الطلبة ـ بعيداً عن عوالم « نهج البلاغة » أتلقاه وكأني غريب عنه وأمُرُّ به وكأني بعيد عنه ، حتى سافرت عام ١٣٦٠ إلىٰ أصفهان ـ هروباً من حرِّ مدينة قم ـ بعد إقامتي فيها خمسة أعوام ، فعرّفني التوفيق هناك برجل عارفٍ بنهج البلاغة فأخذ هذا الرجل بيدي وأوردني بعض مناهله ، وحينذاك شعرتُ بأني لم أكن أعرف هذا الكتاب الكبير ، وبعد ذلك كنت أتمنىٰ أن أجد مَنْ يعرفني بعوالم القرآن الكريم أيضاً . . . »[1] .

---

(١) مقدمة كتاب في رحاب نهج البلاغة .

« الاستاذ المطهري والعرفان » :

كان الأستاذ المطهري ذا باعٍ طويل في العرفان النظري العلمي وكذلك العرفان العملي ، وفي هذا المجال اكتسب فيوضات العديد من أساطين هذا الميدان ، واستطاع ـ بفضل تبحّره في المعارف القرآنية والمفاهيم الإسلامية وكذلك معرفته بآراء العرفاء ـ إدراك العديد من الحقائق التي لم يتوصل إليها سوىٰ العرفاء .

والمهم أن الأستاذ لم يكن متعصباً في اهتمامه بالعرفاء بل كان طالباً للحق والحقيقة ، وكان الذي يؤكد عليه هو العرفان الإسلامي الأصيل الذي نجده متجسداً في الإمام علي (عليه السلام) ، وهنا يجدر التذكير بأن العرفان الإسلامي مستنبط من ينابيع الإسلام النقية أيضاً ولا يمكن اختراع جذور غير إسلامية له لمجرد وجود أوجه شبه بينه وبين العرفان في بعض المذاهب الأخرىٰ السابقة للإسلام ؛ والعرفان الإسلامي الذي نقصده ، هو المكون من المعارف القرآنية وتعاليم الأئمة الأطهار لا سيما الإمام علي (عليه السلام) ، والمستندة إلى تطهير القلب والارتباط المعنوي بالخالق عزّ وجلّ والسير والتقدم في مراتب القرب والإخلاص وعدم الغفلة عن ذكر الله والمناجاة والتضرع في الأسحار ومجاهدة النفس الأمّارة بالسوء ، وهذه القضايا هي التي اهتم بها وعرضها عرفاء الإسلام .

ومثلما أنّ انحرافات بعض المفسرين لا ينبغي أن تصرفنا عن المعرفة القرآنية الصحيحة كذلك لا ينبغي أن تؤدي مشاهدتنا لانحرافات بعض الصوفية إلىٰ الإعراض عن قسم مهم من المعارف القرآنية التي اهتم بها العرفاء والمتصوفة .

وامتلك الأستاذ المطهري كذلك فهماً معمقاً وأُنساً خاصاً بالمتون العرفانية المدونة باللغة الفارسية وخصوصاً ديوان حافظ الشيرازي وثنائيات المولوي

الرومي ، كما أنه كان يعتبر « القلب » الذي اهتم بـه العرفـاء بأنـه أحد منـابع المعرفة .

« الاستاذ المطهري وفلسفة الاخلاق » :

الأستاذ المطهري كان عارفاً بعلم الأخلاق شأنه في ذلك شأن سائر العلوم الإسـلامية الأخـرىٰ ، وقد قـرأ الكثيـر من الكتب المصنفـة في علم الأخـلاق وفلسفتهـا وتـوصـل إلىٰ معـارف قيمـة في هـذا المجـال ذكـر بعضهـا متـرجم كتــاب « كليـات الفلسفــة » مستفيـداً من تقــريــرات دروس المــطهــري ، وله (رحمه الله) عدة محاضرات تحت عنوان « فلسفة الأخلاق » .

وقد بادر الأستاذ ـ ومنذ الأيام الأولىٰ التي أعقبت هجرتـه إلىٰ مدينـة قم المقـدسـة ـ إلىٰ الاشتـراك في الـدروس الأخـلاقيـة التي كـان يلقيهـا الإمــام الخميني (قدس سره) وقد تأثّر بها كثيراً .

ومفهومٌ أن الفضائل الأخلاقية اتي تحلّىٰ بها الشهيد المطهـري لم تتأتَّ من المـطالعة المجـردة لكتب علماء الأخـلاق ، بل هي ثمـرة انجذابـه وتأثّـره بالشخصيات الكاملة التي تربّىٰ على أيديها وهذا الموضوع سنخصص له مبحثاً مستقلاً يأتي لاحقاً .

« الاستاذ المطهري والثقافة الغربية » :

حصل الأستاذ المطهري علىٰ المعرفة اللازمة بالثقافـة الغربيـة وفروعهـا المختلفة ، كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد ، وكانت لهذه المعرفة ثمـارٌ كبيرةٌ إذْ مكّنتـه من فهم روح التفكير الغـربي في مختلف الفروع المتقدمة الذكر واستطاع من خلال مقارنتها بروح التفكير الإسلامي تعزيز تفكيره الإسلامي ومعالجة المشاكل الفكرية بصورة أدق وأفضل وكذلـك فضح وتبيـان انحرافات التفكير والثقافة الغربية ؛ وساهمت هـذه المعرفـة في تقويـة أجوبتـه

الـداحضة للشبهـات التي يثيرهـا أولئك الـذين هيمنت عليهم الثقافـة الغـربيـة والغرباء عن الثقافة الإسلامية وحقيقتها ؛ وبالتالي وبفضل هذه المعرفـة تعرّف الأستاذ المطهري علىٰ أفضل أساليب مواجهـة هجمات الثقـافة الغـربية فكـان يطرح كل قضية بصورة تحقيقية تتناولها من كافة الجهات وتجيب عليها من كافة الزوايا بحيث لا تدع إجاباته أدنىٰ مجال للشك وتسلل الشبهات .

« اساتذة الاستاذ المطهري » :

الأستاذ المطهري خلال حياته المباركة وخاصة خلال الخمسة عشر عاماً التي قضاها في مدينة قم المقدسة ، انتفع كثيراً بفيوضات العديد من كبار الأساتذة أبرزهم :

١ ـ آية الله العظمىٰ الإمام الخميني (رضوان الله عليه) ، فقد حضر المطهري لمدة اثني عشر عاماً الدروس الغنية لهذا الأستاذ الإلهي والمربّي العظيم ، فاشترك في درسه الأخلاقي ، ودروسه في الأصول والفلسفة .

ويعتبر الإمام الخميني من أهم أساتذة المطهري سواء من ناحية طول فترة الدراسة عنده ، أم من ناحية قوة تأثيره في بناء الشخصية العلمية والمعنوية للأستاذ المطهري .

٢ ـ المرحوم آية الله العظمىٰ البروجردي (قدس سره) ؛ وقد حضر المطهري دروسه المباركة في الفقه والأصول حتىٰ قبل قدوم المرحوم البروجردي إلىٰ مدينة قم ، فقد كان يذهب إلىٰ حوزته التدريسية في مدينة بروجرد ، ويُصنّف المطهري ضمن الطبقة الأولىٰ الممتازة من طلبة البروجردي .

٣ ـ العالم الجليل المرحوم الشيخ الميرزا « علي آقا الشيرازي » (أعلىٰ

الله مقامه) ؛ في صيف عام (١٣٦٠) يسافر الأستاذ المطهري وللمرة الأولىٰ إلىٰ مدينة أصفهان فيلتقي هناك بهذا العالم الرباني الكبير ، ومنذ ذلك الحين يصبح من مريديه وينتفع معنوياً كثيراً من فيضه .

٤ ـ المرحوم الميرزا مهدي آشتياني ؛ وقد درس الأستاذ حدود السنة عند هذا الفيلسوف الكبير .

٥ ـ الأستاذ الكبير العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمة الله عليه) ؛ وقد درس المطهري قرابة العامين والنصف عند هذا الأستاذ الكبير وتعلم منه فلسفة ابن سينا ، كما شارك في درسه الخاص في الفلسفة المادية .

٦ ـ المرحوم آية الله السيد محمد المحقق (الداماد) ؛ وقد درس عنده الفقه .

٧ ـ آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري ؛ وأخذ عنه قسماً من دروسه .

(الشخصيات التي ساهمت في بناء الشخصية العلمية والمعنوية للمطهري) :

هناك العديد من الشخصيات التي ساهمت في بناء الشخصية العلمية والمعنوية للشهيد المطهري ، وبعضها تُعدّ ضمن أساتذته ، وبعضها الآخر ليست كذلك لكنها وبفضل جاذبيتها المعنوية وقوتها ، قامت بدور مهم في بناء الشخصية المعنوية للأستاذ ، ومن هذه الشخصيات :

١ ـ حجة الإسلام الشيخ محمد حسين المطهري ؛ وهو والد الأستاذ ، وكان نموذجاً عملياً وقدوة تجسدت فيها التقوىٰ والطهارة فساهمت في هداية الأستاذ عملياً إلىٰ الصراط المستقيم ، وقد أهدىٰ الأستاذ كتابه « القصص



الحق » إلىٰ والـده ، وأوضح في الإهـداء دوره قـائـلاً : ـ « لقـد كـانت تقـواه وطهارته ، الدليل الأول لي علىٰ الطريق المستقيم » .

٢ ـ آيـة الله العـظمىٰ الإمـام الخميني (رضـوان الله عليـه) ؛ ولـه دورٌ أساسي في بناء الشخصية العلمية وكذلك المعنوية للأستاذ المـطهري ، وعلىٰ مـدىٰ اثني عشر عـامـاً من المـواظبـة علىٰ حضـور درس هـذا الأستـاذ الإلهي العظيم ، اكتسب المطهري الكثير الكثير من الثمار العلمية والمعنوية منه ، وكان عاشقاً له فيما كان ، الإمام يوليه اهتماماً خاصاً ورعاية خاصة ، ونلاحظ هنا أن الإمام الخميني وصف تلميذه المطهري ـ في بيـانـاتـه وخطابـاته ـ بـأوصاف لم يصف بهـا غيره ، يتحـدث الأستاذ المـطهـري نفسـه عن دور الإمـام في بنـاء شخصيته فيقول :

« بعد أن هاجرتُ إلى قم وجدت ضالّتي في شخصية ثانية مـا زلت أرىٰ مزايا المرحوم « آقا ميرزا مهدي » ـ إضافة إلىٰ مزايا أخرىٰ ـ تتجلىٰ فيها .

« إني في بداية هجرتي إلىٰ « قم » لم أكن قد أكملت بعد دراسة « المقدمات » ، لذا فلم أكن مؤهلاً لخوض غمار دروس العلوم العقلية ، ولكن رغم ذلك كانت الدروس التي يُلقيها ذلك الحبيب (الإمام الخميني ـ من المترجم) ، في كل يوم خميس وجمعة ، ذات أثر بالغ عليّ ، وَحقاً كانت دروس معارف إلهية وسيرٍ وسلوك ، وليست دروساً أخلاقية بالمعنىٰ العلمي الجاف وحسْب ، كانت تروي ظمأي وتؤنس نفسي التي تبقىٰ تحت تأثيرها إلى يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي .

وكان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذلك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً ، الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيّتي الفكرية والمعنوية ، وإني لأجد نفسي دائماً مديناً له بذلك ، حقاً إنه كان صنيعة (الروح



الإلهية القدسية) . . . »[1] .

٣ ـ الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمة الله عليه) ؛ وكان الأستاذ المطهري يكن عشقاً واحتراماً خاصاً لهذا الأستاذ الكبير وفي معظم الموارد التي يذكره فيها يقرن اسمه بعبارة « روحي له الفداء » ، وقد حضر المطهري العامين والنصف الأخيرين من دراسته في قم عند هذا الأستاذ ودرس عنده فلسفة ابن سينا كما قلنا ، ويُعدّ من أفضل تلامذة العلامة بل أفضلهم وكان العلامة يوليه رعايةً خاصة بحيث لم يعطِ لغيره إجازة شرح كتابه « أصول الفلسفة » ، كما أن ما قاله العلاّمة في تأبين تلميذه المطهري يُوضح هذه الحقيقة بوضوح .

٤ ـ المرحوم الميرزا « علي آقا الشيرازي (قدس الله سره) » ؛ ويعتبر الأستاذ المطهري أن قسماً من حصيلته المعنوية وملكاته الأخلاقية هي ثمرة علاقته بهذا العظيم . ولا نجد مورداً ذكر فيه المطهري هذا الأستاذ دون أن يتطرق إلىٰ بعض أبعاد شخصيته العلمية والروحية وقد ذكره في موارد عديدة من خطاباته وكتاباته ، فمثلاً يقول في كتابه « العدل الإلهي » :

« كان للمرحوم الحاج ميرزا علي آقا (أعلىٰ الله مقامه) علاقةٌ قويةٌ شديدة بالرسول الأكرم وعترته الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم) .

هذا الرجل كان فقيهاً ـ في درجة الاجتهاد ـ وحكيماً عارفاً وطبيباً وأديباً ، وكان في بعض الفنون كالطب القديم والأدبيات أستاذاً من الطراز الأول وكان يدرّس كتاب « القانون » لابن سينا ، والى جانب هذه المنزلة العلمية السامية ، كان في خدمة سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) ، كان يعتلي المنبر

(١) مقدمة كتاب الدوافع نحو المادية .

الحسيني ويعظ ويـذكر المصيبـة ، وقلما تجـد شخصاً يجلس لـلاستمـاع إلى مجلس هذا العالم المخلص التقي دون أن ينقلب ويتغيّر ، فهو نفسه عندما كان يعظ ويرشد مذكراً بالله والمعاد والآخرة يحدث فيه انقلاب وثورةً روحية معنوية فتجرّه محبة الله والعترة النبوية ، باتجاهها ، فينقلب بذكر الله ، نعم إنه مصداق لقوله تعالى : ﴿ . . . **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ (الأنفال/٢) .

عنـدما كـان يذكـر اسم الرسـول الأكرم (صلى الله عليـه وآله) أو اسم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كانت دموعه تجري طواعية .

في إحدى السنين دعاه آية الله البروجردي (أعلىٰ الله مقامـه) ، لاعتلاء المنبر الحسيني في منزله في العشرة الأولىٰ من شهر محرم الحرام فكان له فيها مجلس خاص ، لم يكن يتجاوز فيه « نهج البلاغة » إلا مـا ندر ، وكـان معظم حضور مجلسه من الطلبة وأهل العلم ، فيتأثرون بشدة فيه ، فلا تشهد فيه من أوله إلى آخره سوىٰ الدموع الجارية . . . » .

وتشكل معرفة الأستاذ المطهري بالحاج ميرزا علي آقا الشيرازي ، إحدىٰ المعالم البارزة في حياته ، حيث تحولت هذه المعرفة إلىٰ عشقٍ من المطهري تجاه هذا الرجل الإلهي الذي قابل هذا العشق بمحبة أبوية ورعاية كريمة بحيث أنه كلما كان يزور قم يقيم في غرفة الأستاذ حيث يأتي لزيارته فيها كبـار علماء الحوزة العلمية في قم وجميعهم كانوا يكنّون الحب والاحترام له .

٥ ـ آية الله السيد محمد حسين الطهراني ؛ وكانت تـربطه عـلاقة زمـالة ومودة بالأستاذ المطهري خلال الأعوام الثمانية الأخيرة التي سبقت استشهاده ، والسيد الطهراني من المربين الذي انتفع المطهري من علاقته به .

« خُلّص اصدقاء الاستاذ القدامى » :

للأستاذ المطهري العـديد من الأصـدقاء الأوفيـاء المخلصين نكتفي هنا

بذكر اثنين منهم هما :

١ ـ المرحوم حجة الإسلام الدكتور محمد إبراهيم الآيتي (رضوان الله تعالىٰ عليه) ؛ وكان الأستاذ يكن له حبّاً خاصاً ، وعادةً ما يقرن ذكره بذكر جانب من فضائله في محاضراته ؛ والدكتور محمد إبراهيم الآيتي من أصدقاء المطهري القدامىٰ ، وتمتد علاقته به إلىٰ زمن الدراسة في حوزة مشهد ، كما واصلا معاً التبليغ والإرشاد ، وقد توفي الدكتور إبراهيم قبل ٢٥ عاماً في حادثة اصطدام عندما كان في طريقه إلىٰ إلقاء درس في التفسير ليصبح مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلىٰ الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجرُهُ علىٰ الله . . .** ﴾ .

ويشير الأستاذ المطهري إلىٰ تبحر الدكتور الآيتي في التاريخ الإسلامي .

٢ ـ آية الله الشيخ حسين علي المنتظري ؛ وهو والأستاذ المطهري يُعدان أفضل تلامذة الإمام الخميني ، وكانا معاً علىٰ مدىٰ ١١ عاماً يشتركان في البحث والدراسة وتربطهما علاقة خاصة من الحب والمودة .

« خصائص الأستاذ المعنوية » :

لم يكن المقام العلمي السامي للأستاذ المطهري هو وحده الذي جعل فيه تلك الجاذبية الخاصة التي نفذ بها إلىٰ أعماق قلوب الجماهير ، وإن كان لهذا المقام بحدِّ ذاته أهمية خاصة ، لكنه لا يمكن أن يكون علة كل ذلك الحب والعشق للأستاذ ، بل لقد امتاز المطهري بجاذبية قوية استقطبت القلوب ، فهو رجلٌ اجتمعت فيه خصال الإخلاص والصدق والصلاح والتقوىٰ والتواضع والمواظبة علىٰ ذكر الله واستشعار آلام الآخرين وغير ذلك من فضائل الخصال ، فوجودهُ كان مفعماً بالإيمان وحبّ الله ، كان الإخلاص متجلياً في أقواله ومصنفاته وأفعاله ، وتقواه كانت مضرب المثل لدىٰ الجميع .

وعلىٰ الرغم من ابتعاده عن حوزة قم المقدسة وعيشه في محيط تكثر فيه أسباب الغفلة عن الله تعالىٰ (طهران زمن الشاه) ، إلا أنه كان يبدو وكأنه يعيش في قلب حوزة قم المقدسة لشدة ارتباطه بالله جلّ اسمه وبالقرآن ونهج البلاغة والمعارف الإسلامية .

الأستاذ المطهري كان يعشق بقوة وأُنس خاصٍ صلاة الليل والتهجد وتلاوة القرآن وهذا ما تعلمه من القرآن ونهج البلاغة : ﴿ **قُم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو أنقص منه قليلاً . . .** ﴾ .

ويعتبر التواضع من الخصال المعنوية البارزة في شخصية الأستاذ ، وهو ثمرة التقوىٰ وصدق الارتباط وتأثير المعارف الإسلامية فيه (رحمه الله) .

المطهري كان فقيهاً وكان فيلسوفاً ، وكان أديباً وكان خطيباً ، وكان مدرساً وكان عارفاً وكان أستاذاً للأخلاق ، وكان وكان ، ولكن أيّاً من هذه العناوين الحميدة المحمودة لا يكفي في تعريف شخصيته ، لقد تحرر المطهري من كل قيدٍ وعنوان ولذلك فإن اسمه البسيط « مرتضىٰ المطهري » هو أفضل من كل العناوين في تبيان شخصيته الجامعة وقبل كل شيء فإنه منسجم مع روح التواضع فيه ،

وإذا أردنا أن نطلق عليه عنواناً خاصاً فإن أفضل ما يناسبه هو « الأستاذ » فهو خير كاشف عن شمولية الأستاذية في شخصية المطهري وهو العنوان الذي كان يُلقب به في حياته في أغلب الموارد .

ومن الخصوصيات المعنوية الأخرىٰ في شخصية الأستاذ هو أنه كان يستصغر نفسه في محضر أستاذه ، ويهتم برعاية احترام الأستاذ إلىٰ أقصىٰ حدّ ، وهذه الخصوصية ظلّت ملازمة له حتىٰ بعد وصوله إلىٰ المراتب العلمية السامية ، فهي مترسخة ثابتة فيه ، وحتىٰ بعد وصوله إلىٰ المقامات العلمية

السامية لم يكن يجد في هذه المقامات مانعاً عن الخضوع بكل أدب في محضر الأساتذة وسؤالهم عن الأمور التي لا يعرفها ويتعلمها ، وهذا ما كان يقوم به مراراً وتكراراً ، وما أكثر الأساتذة « المجهولين » الذين استفاد منهم الأستاذ المطهري دون أن تكون لهم الشهرة العلمية الكافية ، نعم فالأستاذ المطهري كان حقاً مصداقاً « للعالم الرباني والمتعلم علىٰ سبيل نجاة » في آن واحد .

الأستاذ المطهري امتاز بحالة خاصة أثناء المطالعة إذْ يركز ذهنه بقوة علىٰ الموضوع ، ويُنقل أنه كان يغلق باب غرفته في المدرسة أثناء المطالعة لكي يحافظ على تركيزه الذهني ، وعندما كانت توجه إليه أسئلة تحتاج إلىٰ تركيزٍ ذهني استثنائي بعد سلسلة من الأسئلة المطولة المتعبة يعتذر عن الإجابة ويوكلها إلىٰ فرصة أخرى يجيب عنها بتركيز ووضوح كاملين .

كما امتاز الأستاذ الشهيد بسعة صدر وبشاشة وطلاقة وجه خاصة في الاستماع لأسئلة الشباب والإجابة عليها ولم يكن يتأذىٰ من أي سؤال ولا يرفع صوته عن المستوىٰ المتعارف .

« الأستاذ المطهري والمجتمع » :

الأستاذ المطهري تربىٰ علىٰ الإسلام فامتازت شخصيته بشموليتها لذا لم يكن ممكناً أن يعزل نفسه عن المجتمع ، ومن هنا اهتم كثيراً بمشاكل المجتمع وسبل حلها حتىٰ وهو في عنفوان شبابه وقبل إنهاء دراسته الحوزوية المتعارفة ، وقد رأينا كيف أوقف عمره المبارك علىٰ خدمة المجتمع والقيام بإخلاص بواجبه الإلهي عبر صورٍ شتّىٰ من تبليغ وإرشاد وتدريس وتأليف وتحقيق ونشاطات سياسية واجتماعية ، وقد تجلّت تأثيرات ذلك في مختلف الميادين ونشرع الآن بالحديث على تأثيرات الأستاذ الشهيد في الميدان الاجتماعي في إيران وضمن فقرات عدة :

« الأستاذ المطهري والحوزة » :

كان للأستاذ المطهري علاقة قوية بالمجتمع الحوزوي ، وظلّت روحُه معلقة بحوزة قم علىٰ الرغم من رحيله عنها وهجرته إلىٰ طهران التي شرع وفور وصوله إليها بالتدريس الحوزوي في مدرسة « مروي » الدينية في طهران ، وربّى فيها طلبة يُعدّون اليوم من فضلاء العلماء ، وإضافة إلىٰ هذا الدرس الحوزوي الذي استمر إلىٰ قبيل استشهاده بعامين ، كانت للأستاذ دروس في قم في الأعوام الأخيرة حظيت بإقبال واسع من قبل طلبة حوزتها ، كدروسه عن الماركسية ، ودروسه عن المجتمع والتاريخ في القرآن ، وكذلك دروسه في الأسفار الأربعة لصدر المتألهين الشيرازي .

ومعلومٌ أن ارتباط وعلاقة واهتمام الأستاذ المطهري بالحوزة لم يكن نابعاً من كونه حوزوياً فهو قد تحرر عملياً من التعصب بل نابع من إيمانه بأن الحوزة هي المؤسسة الوحيدة الصالحة لقيادة المجتمع ؛ فالأستاذ كان يعتبر الحوزة وعلماءها وطلبتها هم الحماة والمدافعون الحقيقيون عن خندق وحريم الإسلام ومعارف القرآن ، وهذه الحقيقة أثبتها تأريخ الحوزة الممتد لأكثر من ألف عام ، ولذا كان يكنّ احتراماً خاصاً لها ، فهي التي أنجبت آلاف العظام من أمثال الشيخ الطوسي ، والعلامة الحلي ونصير الدين الطوسي ، وابن سينا ، وشيخ الاشراق ، والفيض الكاشاني والشيخ الطبرسي ، والعلامة المجلسي ، والشيخ البهائي ، والحر العاملي ، وصدر المتألهين الشيرازي ، والمحقق مير داماد ، والملا هادي السبزواري ، والسيد جمال الدين الأسد آبادي « الأفغاني » ، والسيد حسن المدرس ، والعلامة الطباطبائي والإمام الخميني ، وأي برهان علىٰ أصالة حياة « الحوزة » علمياً ومعنوياً من إنجاب أمثال هؤلاء ؟!

وإلىٰ جانب هذا الاحترام كان الأستاذ الشهيد يرىٰ ضرورة مكافحة آفاتها ، فالحوزة كالشجرة تصيبها بعض الآفات فيجب مكافحة الآفات وليس

استئصال الشجرة نفسها ، وقد أوضح المطهري آراءه الإصلاحية في هذا المجال في مقاله « المشاكل الأساسية في الجهاز الحوزوي » .

لقد كان الأستاذ بنظرته الثاقبة علىٰ معرفة بالمشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي ، وكذلك بالأخطار المهددة للإسلام وعقائده ، وهو في هذا المجال يأتي بالدرجة الثانية بعد الإمام الخميني في قائمة النوادر العارفين بهذه المشاكل والأخطار .

وكنتيجة لهذه المعرفة المعمقة ، بادر إلىٰ الدفاع الدؤوب والصلب في مواجهة البدعة الخطيرة « إسلامٌ بدون الحوزة » ، وهي من أخطر البدع التي رُوج لها طويلاً عن وعي أو بدونه وغُلّفت بغطاء تضليلي هو غطاء التحرر الفكري المزعوم ، ومفهوم أن الإسلام بدون الحوزة وعلمائها يعني الإسلام دون العارفين بحقائقه المتبحرين في مفاهيمه ، وإسلامٌ كهذا يستطيع الأعداء والمغرضون توجيهه حيثما أرادوا ، بل وحتىٰ ترويج أفكارهم باسمه .

إن فصل الإسلام عن الحوزة هو فصل القرآن نفسه عن عترة النبي (ص) ، والإسلام بدون الحوزة يذكّر بالإسلام دون الإمامة ، فالشيعة الذين تعلموا القرآن من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، تعلموا منهم أيضاً أن رجوعهم في زمن غيبة الإمام المهدي المنتظر (عج) ، إنما يكون إلى رواة أحاديثهم ، الذين سبقوا الآخرين في معرفة القرآن وخالفوا الأهواء وتجلىٰ فيهم ذكر الله تعالىٰ وتقواه .

من جهة أخرىٰ ، فإن وجودِ الأستاذ المطهري بمقامه العلمي السامي وفضائله الأخلاقية وخدماته العظيمة للمجتمع الإسلامي ، هو بحدٍّ ذاته من أفضل مفاخر الحوزة ، ومن البراهين الناطقة بحقيقة أن الحوزات العلمية ما زالت قادرة علىٰ تربية أمثال أولئك العظام وتقديمهم للمجتمع .

حظي الأستاذ المطهري باحترام خاصٍ في الأوساط الحوزوية وهو من

مؤسسي « جماعة العلماء المجاهدين في طهران » ، وواقع الحال هو أن الأستاذ شكل حلقة الارتباط بين الإمام الخميني من جهة وبين سائر المراجع والعلماء الحوزويين والجامعيين والتجار والكسبة من جهة أخرى ، وكان يحظىٰ بثقة عالية عند الإمام الخميني أهلته لأن يكافه بمسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة الإسلامية .

« الأستاذ المطهري والجامعات » :

لقد كان الأستاذ المطهري أعرف من الآخرين بمشاكل وهموم المثقفين والجامعيين ، وطبيعة الأفكار الغالبة عليهم ، بحكم ارتباطه المستقيم بمحافلهم وندواتهم ومؤتمراتهم علىٰ مدىٰ خمسة وعشرين عاماً ، ولهذا يمكن القول إنّ المطهري استطاع القيام بالدور الأكبر في الربط بين الحوزة والجامعة ، ما زالت محاضراته القيمة التي كان يلقيها في المحافل الجامعية في طهران والمدن الأخرىٰ حاضرة في الأذهان ، كما أن الإقبال الواسع من قبل الجامعيين علىٰ محاضراته ودروسه في المحافل الجامعية أو في المساجد أو المؤسسات الإسلامية هو دليل واضح علىٰ دوره في الربط بين الحوزة والجامعة .

وإضافةً إلىٰ تصانيفه ومؤلفاته فقد خاطب الأستاذ المطهري الفئة المتعلمة ، من خلال محاضراته ودروسه العديدة في مختلف الكليات والجامعات والمساجد والاتحادات الاسلامية للمهندسين والأطباء وفي المؤسسة الإسلامية في حسينية إرشاد ومسجد الجواد والمراكز العلمية والدينية الأخرىٰ ، وعرض الإسلام النقي ومفاهيمه الأصيلة خالية من الأوهام والتحليلات الخاطئة والنزعات الغربية لمدّعي الثقافة .

« الأستاذ المطهري وعامة الشعب » :

تحلّىٰ الأستاذ المطهري بالأخلاق النبوية فلم يقطع علاقته بعامة الناس شأنه في ذلك شأن سائر العلماء الحقيقيين ، ولم يمنعه سمو درجته العلمية من

التحدث إلىٰ عامة الناس وإرشادهم ووعظهم وإيصال ثمار علمه إليهم .

ولم تكن مجالس وعظه وإرشاده العامـة أقل أهميـة وتأثيـراً من دروسه ، فكان يركّز فيها علىٰ القضايا التربوية أكثر من الأمـور النظريـة ويعلّم فيها عـامة الناس معارف القرآن ونهج البلاغة العميقة .



وبطبيعة الحال تميّزت خطاباته ومجالسه العامة بلغةٍ أبسط من لغة دروسه لكنها لم تفتقد أبداً للمعارف العميقـة والتحقيقية وغـاية الأمـر أن يعرض فيهـا المعارف الإسلامية العميقة بلغةٍ مبسطة بأقصىٰ حدٍّ يمكن لعامة الناس فهمها .

« الاستاذ المطهري والمنهج التحقيقي » :

المنهج التحقيقي الذي اتبعه الأستاذ المـطهري ، يعتبـر أحد خصـائصه المهمـة التي تضم نموذجـاً عملياً يمكن أن يكـون قدوةً لجميـع أولئك الـذين يريدون انتهاج الأسلوب العلمي في حلٍّ وبحث المعضلات والمسائل الإسلامية كافّة .

ويمكن القول دون أدنىٰ تردد إنّ المنهج التحقيقي المنظّم هـو أحد أهم عوامل نجاح المطهري في معرفة الإسلام وتبليغه ، وقد نبّه هو مـراراً إلىٰ هذه الحقيقة مذكراً بأن الطرح الجيد للسؤال ومعرفة طبيعـة الإشكال يشكـل القسم الأهم من الإجابة .

والاسلوب الصحيح في بحث القضايا المختلفة يمكن مشاهدته في كتب الأستاذ كافة ، يقول (رحمه الله) عن الأسلوب الصحيح في المطالعة :

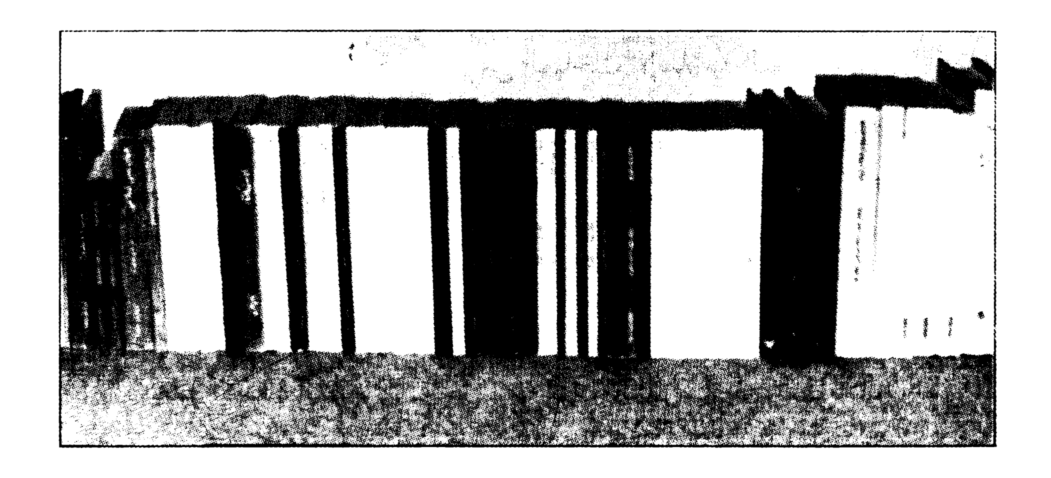
« . . . في المـرة الأولى يقرأ المـرءُ الكتاب بهـدف المتعـة ، وفيهـا لا يستطيع الحكم علىٰ مطالبه ، ثم يطالعه ثانيةً ، فأقوىٰ حافظةٍ تحتاج إلىٰ مطالعة الكتاب النافـع مرتين متـواليتين كحدٍّ أدنىٰ ، وبعـد ذلك ، يعمـد إلىٰ مناقشـة وتحليل مطالبه وتصنيفها ويحفظها وفق هذا التصنيف في ذهنه ، ثم يسعىٰ إلىٰ اختيار كتاب آخر حول الموضوع نفسه لمطالعته بالأسلوب نفسـه ، ومن المهم تجنّب الدخول في موضوعٍ ثانٍ قبل أن يتضـح الموضـوع الأول بصورة كـاملة ويُحفظ في الذهن .

ومن الخطأ أن يعمد المرء على نحو ملء الفراغ إلىٰ مطالعة كتـاب آخر حول موضوعٍ آخر قبل أن يترسّخ موضـوع الكتاب الأول ومـطالبه في الـذهن

ويتسنىٰ له مناقشة مختلف جوانب الموضوع الأول ، أمّا أن يطالع اليوم كتاباً تأريخيّاً وغداً كتاباً نفسانياً وبعده كتاباً دينياً ، فذلك يؤدي إلىٰ خلطها جميعاً ويصبح ذهنه مخزناً غير مرتب تتبعثر فيه المعلومات .

إن الإنسان الناضج يجمع الكتب والمواضيع التي يراها ضرورية بالنسبة له ، ثم يطالعها مراراً ويصنّفها ثم يلخّصها ، ويدوّن خلاصاتها ويحفظها ويكمل موضوعاً واحداً ثم ينتقل إلىٰ موضوع آخر ، ومثل هذا الأسلوب يمكّن الانسان من الاستفادة من حافظته بطاقتها القصوىٰ مهما كانت ضعيفة ، فيصبح ذهنه مثل مكتبة منظمة ذات رفوف مرتبة يسهل الانتفاع منها في كل حين ، فكل رفٍّ من رفوفها مخصّص لكتب حول موضوع محدد ، بحيث يستطيع استخراج أي كتاب يريدُهُ بسهولة ؛

وفي غير هذه الحالة يكون ذهن الإنسان مثل مكتبة تضم آلاف الكتب المبعثرة أو الملقاة بعضها فوق بعض وكلما أراد أن يستخرج كتاباً منها ، فعليه أن يبحث عنه ساعتين قبل العثور عليه . . . »[1] .



(١) الإمدادات الغيبية في حياة الإنسان.

«الأستاذ المطهري والتبليغ » :

﴿ أُدعُ إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ .

أدّىٰ الشهيد المطهري واجبه الإسلامي في خندق التبليغ علىٰ أكمل وجه ؛ وكان لمحاضراته جنبة تخصصية في بعض الأحيان كبحوثه عن نظرية « المعرفة » ، وتكون في أحيان أخرىٰ ذات جنبة عمومية تخاطب الجميع ، والذي يحدد طبيعة المحاضرة طبيعة الحاضرين فيها ومستوياتهم الثقافية وطبيعة المكان الذي تُلقىٰ فيه فالمحاضرات ذات الخطاب العام كان يُلقيها غالباً في المساجد أما التخصّصية ففي الجامعات والمراكز الثقافية الاسلامية .

أما بالنسبة للمواضيع التي كان يتناولها فغالباً ما كانت تشمل قضايا الساعة ، وكان يحرص علىٰ تبسيط المطالب العلمية التخصصية الدقيقة إلىٰ درجة يستطيع فهمها جميع الحاضرين أو أغلبهم ـ علىٰ الأقل ـ كما أن محاضراته العامة أيضاً لم تكن تخلو من المباحث الإسلامية التحقيقية .

وامتازت محاضرات الشيخ الأستاذ التي ألقاها في الجامعات والاتحادات والجمعيات الإسلامية بتنوعٍ كبير وما زال معظمها مسجلاً على الأشرطة الصوتية .

« الاستاذ المطهري والتدريس » :

يُعتبر الأستاذ المطهري ـ بحقّ ـ من نوادر المدرسين في أسلوبه التدريسي والتعليمي فقد كان يطرح أدق وأعمق القضايا الفلسفية والإسلامية بمهارة عالية ، وبلغة سلسة مفهومة ويناقشها بصورة تدخل أذهان الطلبة ؛ ولم يكن يظهر عليه التعب أبداً خلال التدريس ، فقد كان نشاطه المعنوي الروحي أثناء

التدريس أمراً مشهوداً للجميع .

كان للأستاذ في حوزة قم ومدرسة « مروي » الدينية وكلية الإلهيات في جامعة طهران وفي مراكز أخرىٰ عديدة ، دروس كثيرة منها تدريس الكتب والمواضيع التالية :

١ ـ كتب علوم العربية المختلفة كالمُغني .
٢ ـ كتاب المطول .
٣ ـ شرح اللمعة .
٤ ـ تدريس كتاب الرسائل .
٥ ـ المكاسب .
٦ ـ الكفاية .
٧ ـ المنظومة .
٨ ـ الشفاء .
٩ ـ النجاة .
١٠ ـ الكلام القديم .
١١ ـ الكلام الحديث .
١٢ ـ فلسفة التاريخ .
١٣ ـ المعرفة .
١٤ ـ نقد الماركسية .
١٥ ـ الاقتصاد .
١٦ ـ الأسفار .

« الاستاذ المطهري والنشاطات السياسية » :

بعد عام (١٣٧٤ هـ .ق) بدأت النشاطات السياسية تظهر في حياة الأستاذ المطهري وكان هناك في تلك الأعوام تعاون بينه وبين آية الله الطالقاني

والمهندس بازرگان في هذا المجال ؛ وقد قام الأستاذ بـدور أساسي في قيـادة جماهير طهران وربطها بقيادة الإمام الخميني خلال وقائع انتفـاضة ١٥ خـرداد عام (١٣٨٣ هـ .ق) كما ألقى في ليلة الخامس عشر من خـرداد نفسه خـطاباً حماسياً تحريضياً هاجم فيه الشاه مباشرة ، فاعتقـل في الليلة نفسها ، ثم نُقـل إلىٰ السجن المؤقّت في مركز الشرطة الرئيسي في طهران ثم نُقِلَ فيما بعد إلىٰ سجون المحافظات الأخرىٰ بمعية عدد من علماء طهران المجاهدين ، واستمر سجنه ٤٣ يوماً أُطلق سراحه وسائـر العلماء المجـاهدين فيمـا بعد بسبب شـدة الضغوط التي تعرض لها النظام الشاهنشاهي من قبل العلماء والجماهير .

وواصل الأستاذ نشاطاته السياسية حيث نصّبهُ الإمام الخميني كأحد ممثليه في منـظمة « لجـان الائتـلاف الإسـلامي » التي كـان المـطهـري نفسـه أحـد مؤسسيها .

وبعد تنفيذ هذه المنظمة لعملية إعـدام حسن علي منصور « رئيس وزراء الشاه » ثمّ حلّها ، تعرض الأستاذ لمراقبة مشددة ، فواصل نشاطاته من خـلال التدريس في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية في جامعة طهران ، وكانت له إلىٰ جانب ذلك نشاطات فاعلة كدوره الأساسي في حسينية « الإرشاد » التي كان عضواً في مجلس إدارتها ، أو كمحاضراتـه في الاتحاد الإسـلامي للمهندسين والجمعية الإسلامية للأطباء ، كما قـام بعد استقـالته من عضـوية مجلس إدارة حسينية « الإرشاد » بمهمة إدارة شؤون مسجد الجواد ، وإقامـة دروس تحقيقية في هذا المركـز التبليغي وإلقاء محـاضرات في مسجـد « جاويـد » وغيره حتىٰ عـام (١٣٩٦ هـ .ق) حيث منعتـه السلطات من ارتـقـاء المـنبـر وإلـقـاء المحاضرات .

وطوال تلك السنوات لم يهـدأ الأستاذ الشهيـد لحظة عن جهـاده باتجـاه تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة سواء عن طريق التأليف أو المحاضرات أو الندوات أو التدريس وغير ذلك . ويعتبر كل كتاب من مؤلفات الأستاذ مصداقاً

للجهاد الحقيقي ضد النظام الشاهنشاهي والمجاميع والتيارات السياسية المنحرفة ، فعلىٰ سبيل المثال جاء كتاب « أصول الفلسفة والمنهجية المادية » الذي شرحه الأستاذ وكتب مقدمته ، لمواجهة الشيوعية في إيران وإحباط آثار نشاطات حزب « تودة » (الحزب الشيوعي الإيراني) الذي سعىٰ إلىٰ هدم أسس العقائد للكثيرين من شباب هذا البلد .

كما أن كتاب « الحجاب وحقوق المرأة في الإسلام » جاء لمواجهة سياسة النظام الشاهنشاهي علىٰ صعيد نشر الفساد في المجتمع عن طريق تمزيق أستار العفة والعفاف ، وتحريف وتشويه الأحكام الإسلامية المرتبطة بحقوق المرأة ، وقد كان لهذا الكتاب تأثير بالغ في إحباط هذه السياسة ، وفتح الآفاق المشرقة أمام الكثير من النسوة المسلمات اللاتي أردن حفظ دينهن إلىٰ جانب مواصلة الدراسة ، وقد رأينا الكثير منهن وهُنّ يواصلن الدراسة في الجامعات مع التزامهنّ بالحجاب الإسلامي الكامل (في زمن الحكم الشاهنشاهي الفاسد) ، وهنّ بذلك أحبطن عملياً مزاعم القائلين بتناقض العلم مع الدين ، كما ساهمن بحضورهن في تحسين الأجواء الجامعية .

وكتاب « الخدمات المتبادلة بين الاسلام وإيران » الذي يعتبر من إبداعات الأستاذ المطهري إنما ألّفه لإحباط مؤامرة النظام الشاهنشاهي التي أعدها منظرو ومفكرو هذا النظام من أجل استئصال الإسلام في إيران عن طريق إشاعة النزعة القومية الفارسية فيها والرجوع إلىٰ ثقافة إيران ما قبل الإسلام . وتعتبر احتفالات ٢٥٠٠ عاماً من الملكية الإيرانية وتبديل التاريخ الإسلامي (الهجري الشمسي) بالتقويم بالتاريخ الشاهنشاهي الوهمي نموذجين من الإجراءات التنفيذية لتلك المؤامرة المشؤومة ، وكان لكتاب الأستاذ المطهري ذاك تأثيرٌ قويٌّ في أوساط المثقفين جعل النظام يدرك أن هناك مدافعاً عن الإسلام يمتاز بنظرة ثاقبة وهو علىٰ أُهبة الاستعداد ويمتلك الأسلحة اللازمة ، يرصد عملاء الشاه ولا يسمح لهم بإعادة إيران إلىٰ المجوسية والثقافة الجاهلية الوهمية التي

كانت سائدة في إيران ما قبل الإسلام .

أما كتاب « الدوافع نحو المادية » فقد ألفه في فترة تعرّض شباب هذا البلد ـ من ذوي المعلومات الإسلامية القليلة والحسّ الثوري القوي ـ إلىٰ السقوط في شباك الأفكار الماركسية ، وجاء تأليف الأستاذ لهذا الكتاب لإنقاذهم وجعلهم يميزون سبيل النجاة عن سبل السقوط والانحراف ، وعلىٰ الرغم من أن قادة منظمة « مجاهدي الشعب » المنافقين كانوا يطاردون مؤلفات الأستاذ ويسعون لمنع تداولها بين الشباب الثوري إلا أنها رغم ذلك استطاعت ترك تأثيراتها الإيجابية علىٰ الكثير من هؤلاء الشباب وإنقاذهم من السقوط ومهلكة الارتداد والضلال السياسي .

وكتاب « الإنسان والمصير » هو حصيلة دروس العقائد التي كان الأستاذ يلقيها علىٰ الكوادر المتقدمة لـ « لجان الائتلاف الإسلامي » ، وقد ساهم بدور مهم في هداية نشاطاتها الثورية إلىٰ الصراط الإسلامي المستقيم وإزالة الشبهات الفكرية حول قضايا من قبيل موضوع « القضاء والقدر » ، كما أن مقدمة هذا الكتاب التي حملت عنوان « عظمة المسلمين وانحطاطهم » ، ضمت الكثير من الحلول للمعضلات الاجتماعية والسياسية .

وألّف الأستاذ كتاب « مقدمة النظرة الإسلامية للكون والحياة » الذي ضمّ ستة أجزاء ، في خضم تصاعد مجريات الثورة ، وبيّنَ المطهري في هذا الكتاب الكثير من الأخطاء الفكرية للمثقفين المسلمين كما فضح الانحرافات الفكرية للتيارات ذات الظاهر الإسلامي .

أما كتاب « الثورات الإسلامية في القرن الأخير » ، فهو ثمرة وصول الثورة الإسلامية إلىٰ ذروتها ، وانتشر تزامناً مع فاجعة يوم الجمعة السوداء قبل خمسة أشهر من انتصار الثورة ، وهذا التزامن كان سبباً لتعرض الأستاذ لأخطار كبرىٰ وقاه الله منها ، حيث فقد النظام بُعيد ذلك قدرة السيطرة علىٰ الأوضاع .

وفي هذا الكتاب وضمن استعراضه لمسار الثورات الإسلامية خلال القرن الأخير بحث حقيقة الثورة الإسلامية في إيران وهـويتها ، وتعـرض إلىٰ الأفكار المنحرفة لمدّعي الثقافة وفضحها وفنّدها كما دوّن فيه مطالب مهمة حول آفات ومستقبل الثورة الإسلامية .

وهكذا لم تخلُ سائر مؤلفات ومحاضرات ودروس الأستاذ المطهري من الأهـداف الاجتمـاعيـة والسيـاسيـة ، فمثـلاً قـام الأستـاذ بـإلقـاء دروس حول « المعرفة » في مركز « التوحيد » في طهران عام (١٣٩٨ هـ .ق) بهدف حل المشكلة الفكرية للكثير من الشباب المسلمين والتي سببها الترويج للبـدع العقيدية التي ابتدعتها المنظمة المسمّاة « بمجاهدي الشعب الإيراني » ، فهذه المشكلة ترتبط بقضية « المعرفة » ، وعلىٰ الرغم من أن هذه الدروس تم إيقافها من قبل النظام الشاهنشاهي إلا أنّ آثارها الإيجابية كانت من القوة بحيث جعلت الكثير من الفتية المسلمين يدركون انحراف المنظمة المذكورة ويتعرفـون علىٰ العقائد الإسلامية الصحيحة .

ويكفي ما تقدم في تبيين المقصود ، فتحليل كـافة آثـار الأستاذ الكتـابية والخطابية والتدْريسية تستلزم مجالاً واسعاً لا تسعه هذه المقالة ، والمهم إدراك



حقيقة أن من الظلم تجاهل هـذه الجهود الـدؤوبة وتحجيم العمـل الثوري في حدود التعرض للسجن . ومعلومٌ أن الأستاذ الشهيد قلّل من النشاطات السياسية الحـادّة والظاهـرة وعمد بـدلاً من الذهـاب إلىٰ السجن إلىٰ تكثيف جهوده في تأليف الكتب النافعة للغاية وإلقاء المحاضرات وإقـامة النـدوات فيَ المساجـد والجامعات والاتحادات والجمعيات الإسلامية وغيرها ، وهو بذلـك عمل بمـا شخّصه من واجب شرعي ملقىٰ علىٰ عـاتقه ، وهـذا الواجب ـ كمـا يشير إليـه نفسـه ـ اعتبره ضـرورة شرعيـة عليه ، ففي الـوقت الذي كـانت فيـه التيـارات الماركسية واليسارية تسقط في حبائلها وشباكها بدعايتها الواسعة الشباب المسلم أفواجاً أفواجاً ويوماً بعد آخر وتؤدي إلىٰ تغليف مستقبل الثورة بحجب الإبهام ، في مثل هذا الوقت لم يكن يجدي نفعـاً تواجـد الأستاذ في السجـون بل علىٰ العكس فإنّ مثل هذا الغياب يوجه ضربةً للثورة الإسلامية ؛ وبالـطبع فـإن مثل هذا التشخيص يصدق فقط علىٰ أشخاصٍ من أمثال المطهري يمتلكون كفاءات عالية ومتنوعة ، بل إن حضور الشخصيات الإسلامية في سجون الشاه كان لـه تأثيرات كبيرةٌ للغاية في دفعِ مسيرة الثورة .

وحقيقـة الأمـر هي أن الفتـرة مـا بين عـامي (١٣٩٢ ـ ١٣٩٧ هـ . ق) شهدت نشاطات سياسية حادّة بـدرجة أقـل للأستـاذ المطهـري ، وهي بذلـك شهدت نمطاً سامياً من تضحياته ، فلقد تحمّل اتهامات من قبيل النزوع للدعة وطلب الـراحـة والإعـراض عن الجهـاد ، وسكت ولـم يُجبْ عن كـل تلك الاتهامات الظالمة ، بل جنّد إمكاناته كافة لتقوية الأسس العقيدية للثورة وهـذه المهمة لم يكن هناك شخصٌ غيره قادراً علىٰ إنجازها ، وهذه من حقائق الثورة غفل عنها العديدون واعتبروا عدم وجود النشاطات السياسية الحادة والظاهريـة عند الأستاذ آنـذاك علامـة نزوعـه للدعة وطلب الـراحة ، في حين أن جهـوده العـظيمة المكثفـة خلال انتفـاضة الخـامس عشر من خـرداد وفي الأعوام التي سبقتها وتلتها وكذلك خطاباته الصريحة تجاه الخطر الصهيوني وجمع الإعانات

للشعب الفلسطيني وكذلك فضحه المستمر لخطط النظام الشاهنشاهي من خلال توضيح المفاهيم الإسلامية النقية الفاضحة لتلك الخطط ، والأهم من كل ذلك جهوده الضخمة خلال الفترة التي تلت استشهاد آية الله السيد مصطفىٰ الخميني وحتى انتصار الثورة الإسلامية وبعده ، جميع هذه الجهود توضحُ بقاطع البرهان علىٰ أن الأستاذ الشهيد هو ثوريٌّ حقيقيٌّ مُضَحٍّ . أما العامل الوحيد الذي كاد يحدد طبيعة تحركاته ونشاطاته من جهة توافر الحدة الثورية الظاهرية فيها أو انعدامها فهو سعيه الدؤوب للحفاظ على الثورة وأصالتها الإسلامية ، فعندما كان الأستاذ يحسّ أن جهود الطاقات الإسلامية تسير باتجاه خدمة مصالح الماركسيين أو مُدّعي الثقافة المعادين للحوزة وعلمائها يقلل حينئذٍ من النشاطات الثورية الحادة ويضاعف من جهوده التثقيفية .

وكانت للمطهري علاقات مستمرة بالاتحادات والجمعيات الإسلامية داخل إيران وخارجها ، مقدماً لها الدعم المادي والمعنوي لنشاطاتها ، وطوال الفترة التي كان فيها الإمام الخميني منفيّاً عن إيران ، حافظ المطهري علىٰ علاقته وارتباطه بالإمام بل كان يعتبر أبرز ممثلي خط الإمام الخميني في إيران ؛ وقد استطاع في عام (١٣٩٧ هـ .ق) وعلىٰ الرغم من كثرة المشاكل والعقبات الوصول إلىٰ النجف الأشرف والتشرّف بلقاء الإمام والتباحث معه حول أوضاع الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة وقضايا الثورة الإسلامية وتلقىٰ التوجيهات اللازمة كما كانت بينهما مكاتبات خصوصية وما زال عدد منها موجوداً .

وبعد استشهاد آية الله السيد مصطفى الخميني ودخول الثورة الإسلامية الإيرانية مرحلة جديدة خطيرة كثّف الأستاذ المطهري جهوده وبفعالية مضاعفة باتجاه تحقيق أهداف هذه الثورة الإلهية باعتباره الساعد المقتدر للإمام الخميني داخل إيران ، وكان صاحب الدور الأساسي في الإعداد وإقامة مراسم أربعينية الشهيد مصطفىٰ الخميني ، كما كان علىٰ ارتباط مستمر بقائد الثورة الإسلامية بعد هجرته إلىٰ باريس وحسبما يقوله حجة الإسلام والمسلمين الشيخ

الرفسنجاني ـ في إحدىٰ مقابلاته التلفزيونية ـ فإن « منزل الأستاذ المطهري كان مقر توجيه الثورة وارتباطها بقائدها الإمام الخميني » .

وبعد تنفيذ العاملين في الصناعة النفطية لإضرابهم خلال أحداث الثورة ، حدث نقصٌ حادٌ في المحروقات داخل البلد ، فاقترح الشهيد المطهري مشروع « تأمين المحروقات للناس » كما اقترح أسماء أعضاء وفد يسافر لجنوب البلد لهذا الغرض ، وقد وافق الإمام الخميني علىٰ ذلك وأعلنه .

وطوال فترة تصاعد الثورة الإسلامية سعىٰ الأستاذ المطهري للحيلولة دون أي استغلال سيّءٍ للثورة من قبل التيارات المنحرفة ذات الظاهر الإسلامي ، وكان علىٰ غاية اليقظة تجاه ذلك فهو المدافع الدؤوب عن نقاء الأساس الفكري والعقيدي للثورة، وكان يؤمن بأن هدفنا ليس مجرد الثورة بل « الثورة الإسلامية » ، ولهذا السبب بالذات كان معرضاً لسخط وحقد تلك التيارات المنحرفة واتهاماتهم حتىٰ أن بعضهم كان يقول إن الأستاذ المطهري هو العقبة التي تحول دون حصولهم علىٰ تأييد الإمام الخميني الذي لا يعارضهم ـ على حد زعمهم ـ وهذا القول كاشفٌ عن عدم معرفتهم بشخصية الإمام .

وقبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران ببضعة أشهر سافر المطهري إلىٰ باريس حيث زار الإمام الخميني وتباحث معه حول قضايا الثورة وتلقّىٰ منه التوجيهات اللازمة ، وفي هذه الزيارة نفسها كلّفه الإمام بتشكيل « مجلس الثورة الإسلامية » ، فقام بذلك بالتنسيق مع الإمام فأعلن قائد الثورة الإسلامية الكبير عن تشكيل هذا المجلس في بيان أصدره لهذه الغاية .

وعندما أعلنت حكومة « شاهبور بختيار » منع عودة الإمام الخميني إلىٰ إيران ، بادر الأستاذ المطهري إلىٰ تصدّر صفوف العلماء الكبار الذين اعتصموا في جامعة طهران احتجاجاً علىٰ هذا المنع ، وكان اختيار محل الاعتصام ولعل فكرة الاعتصام نفسه قد اقترحهما الأستاذ نفسه .

وعندما وصل من باريس إلىٰ منزل الأستاذ المطهري خبرٌ قرب عودة الإمام المباركة إلى إيران ، ظهرت علىٰ وجه الأستاذ حالة من الفرح الممزوج بالقلق ، الفرح لعودة الإمام والقلق من احتمال تعرّضه للخطر ، وبسبب حساسية الأمر ، فقد تولّىٰ الأستاذ بنفسه مسؤولية لجنة استقبال الإمام فأنجزها علىٰ خير ما يرام ، فمثلاً سعىٰ البعض إلىٰ جمع أمهات بعض قتلىٰ منظمة المنافقين الموسومة بـ « مجاهدي الشعب الإيراني » ، ووضع برنامج إلقائهنّ كلمة في مقبرة « جنة الزهراء (ع) » خلال مراسم استقبال الإمام الخميني تحت عنوان أنهنّ يمثلن عوائل شهداء ثورة الشعب الإيراني ، وسعىٰ هؤلاء إلىٰ التنسيق بهذا الشأن مع بعض الأشخاص الذين كانوا يصفون أنفسهم أنهم من المقربين للإمام والذين زعموا أنّ الإمام لا يعارض هذا الإجراء ، إلا أن يقظة الأستاذ المطهري أحبطت هذا الإجراء الاستغلالي من خلال رسالة بعثها ألىٰ قائد الثورة الإسلامية الكبير بهذا الخصوص .

وفي الأيام الأولىٰ التي تلت عودته المباركة أُسكن الإمام في مدرسة « رفاه » في طهران ، وهذه المدرسة كانت في فترة ما قاعدة لأنصار منظمة « مجاهدي الشعب الإيراني » ، ولذلك وإحباطاً لاحتمالات استغلال ذلك ، اقترح الشهيد المطهري أن ينتقل الإمام إلىٰ مدرسة « علوي » وهذا ما تمّ بالفعل علىٰ الرغم من معارضة البعض .

وبعد انتصار الثورة الإسلامية بقي الأستاذ المطهري علىٰ ما كان عليه ، مستشاراً مخلصاً للإمام الخميني وموضع ثقته ، وكان له حضورٌ مستمرٌ وعلىٰ مدار الساعة إلىٰ جانب الإمام في مدرسة « علوي » يطلعه علىٰ آرائه فيما يرتبط بقرارات تعيين المسؤولين وغيرها ، فمثلاً ، سعىٰ البعض إلىٰ تنصيب المرحوم حجّة الإسلام اللاهوتي كمسؤول عن لجان الثورة الإسلامية ، وكان هذا الإجراء علىٰ وشك أن يتم لولا أن المطهري ذهب إلىٰ الإمام واقترح عليه تعيين « آية الله مهدوي كني » لهذه المسؤولية ، لأن حجة الإسلام اللاهوتي عاطفي ولذلك من

المحتمل جداً أن يتسلل إليه أعضاء منظمة « مجاهدي الشعب » فقَبِلَ الإمام الخميني اقتراحه ، وتمّ تعيين آية الله مهدوي كني الذي قَبِلَ هذه المسؤولية بعد أن اشترط أن يساعده الأستاذ في إنجازها وتأسيس لجان الثورة فوافق الأستاذ وشارك بمساهمة فعّالة في الاجتماعات الأولىٰ التي عُقدت بخصوصها بحيث يمكن القول إنه (رحمه الله) كان المساهم الأول في ترتيب وتأسيس لجان الثورة الإسلامية ، كما تمّ تعيين آية الله إمامي كاشاني كمسؤول عن إدارة مدرسة « سبهسالار » في طهران باقتراح من المطهري .

وقد ساهم الأستاذ الشهيد بدور أساسي في تأسيس حرس الثورة الإسلامية وكان يرىٰ وجود مثل هذا الجهاز ضرورةً فورية للثورة خاصة مع وجود المجاميع المسلحة المعادية للثورة .

وتتضح شدة ثقة الإمام الخميني بالمطهري فكرياً وعملياً من ملاحظة أنه عندما عين « قطب زاده » المعدوم كمسؤول عن إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون ، أمَرَه بأن تتم الأعمال كافة تحت إشراف وموافقة الأستاذ المطهري وكان طبيعيٌّ أن يصطدم به ، فمثلاً اعترض الأستاذ بشدّة عليه لبثّ مجريات محاكمة « گلسرخي » من أعضاء حزب تودة في الأيام الأولىٰ لانتصار الثورة .

« الاستاذ المطهري ومجاهدة الصهيونية » :

ينبغي تصنيف الأستاذ المطهري ضمن قائمة روّاد مجاهدة الصهيونية في إيران ، وما زالت خطاباته الأبية تتردد في الأذهان وهي تدعو إلى مكافحة الصهيونية ودعم ومساعدة الشعب الفلسطيني المظلوم ، لقد ضمّ قلبُ الأستاذ حقداً ثورياً مقدساً كبيراً علىٰ الصهاينة ، فلم يترك فرصةً مناسبةً إلا وأطلق صرخته الجهادية المدوية ضدهم ؛ ولا ننسَ خطابه التاريخي ضد الصهيونية الذي ألقاه في عاشوراء عام (١٣٩٠ هـ .ق) في حسينية « إرشاد » والذي اعتقله النظام الشاهنشاهي علىٰ أثره ، ومن المناسب أن نشير إلىٰ بعض مقاطعه هنا ؛ يقول الشهيد :

« لو كان نبي الإسلام (ص) حيّاً اليوم فماذا كان سيفعل ؟! وبأيٍّ قضيةٍ سيهتم ؟!

والله وبالله أقسمُ أن الرسول الأعظم (ص) يتأذىٰ اليوم وهو في قبره المقدس من اليهود ؛ وهذه قضيةٌ بديهيةٌ واضحة ، والساكت عنها مذنب ،

والله إذا سكتُّ عنها فقد ارتكبت معصية ، وكل خطيب وواعظ يرتكبُ معصيةً إذا سكتَ عنها .

وفضلاً عن الجانب الإسلامي في القضية ، نتساءل ما هو تاريخ فلسطين ؟! ، إنّ قضية فلسطين لا ترتبط بأيٍّ من حكومات البلدان الإسلامية ، قضيةُ فلسطين هي قضيةُ شعبٍ شُرّد بالقوة من دياره ، يزعمون أنه قبل ثلاثة آلاف عام حكم فلسطين اثنان منهم ، هما داوود وسليمان (عليهما السلام) ، ولمدة قصيرة ، اقرأوا التاريخ ، متىٰ كانت فلسطين لليهود ، متىٰ كانت معظم أرضها لهم ؟! فلسطين لم تكن لليهود لا قبل الإسلام ولا بعده ،

عندما فتح المسلمون هذه الأرض لم تكن تحت حكم اليهود بل كانت تحت سيطرة المسيحيين ، بل إن وثيقة الصلح الموقّعة بين المسلمين والنصارىٰ تضمّنت طلباً من النصارىٰ بعدم سماح المسلمين لليهود بالتسلل إلىٰ فلسطين فردّ المسلمون بأنهم يتعايشون مع النصارىٰ ولا يتعايشون مع اليهود ، فكيف تحوّل الأمر فجأةً إلىٰ (وطنٍ قومي لليهود) ؟!

هذه القضية هي إحدىٰ القضايا التي سوّدت صحائف قرننا هذا الذي وصفوه نفاقاً بقرن حقوق الإنسان والحرية والإنسانية ، . . . لو كان الحسين بن علي فينا لقال : ـ « لو أردتم إقامة مراسم العزاء واللطم علىٰ مصابي فليكن شعاركم اليوم فلسطين ، شمر العصر هو « موشه دايان » ، شمر ما قبل ١٣٠٠ عاماً مات فاعرفوا من هو « شمر العصر » ، يجب أن تهتز جدران هذه المدينة

بشعار « فلسطين »[1] .

كما قام الأستاذ المطهري بفتح حساب مصرفي لجمع المعونات للشعب الفلسطيني باسمه واسم المرحوم العلاّمة الطباطبائي وآية الله السيد أبـو الفضل الزنجاني ، وقـد أعلن الأستاذ عن ذلـك خلال محـاضرة تحت عنـوان « إحياء الفكر الإسلامي » ألقاها في عام (١٣٩١ هـ .ق) في حسينية « إرشاد » واُعتقل الأستاذ إثرها وتعرض للاستجواب ، يقول في قسم من هذه المحاضرة : ـ

« هٰذا الرجل ـ العلامة الطباطبائي ـ رجلٌ جليل ذو منزلة سامية ، وأحـد الأعمـال التي أقدم عليهـا مؤخراً هـو إعـلان التضـامن مـع الاخـوة المسلمين الفلسطينيين المظلومين الذين لا يستطيع حتىٰ الأميركان إنكار حقهم ،

لقـد أعلن العلاّمـة عن افتتاح ثـلاثـة حسـابـات مصـرفيـة لـدعم هؤلاء المـظلومين ـ في المصرف الـوطني في الفـرع المـركـزي وكـذلـك في الفـرع المركزي للمصرف التجاري ، وثالث في فرع البازار لمصرف الصادرات ـ فمن شاء من السادة فليسجل أرقامها .

وبعد هذا الرجل الجليل ، هناك الرجل الكبير الذي افتتح هذا المجلس التكريمي للعلامة إقبال ، إنه « آية الله السيد أبو الفضل الموسوي الزنجـاني » وهـو أيضاً رجـل جليل عـظيم المنزلـة مجهول القـدر ، مجتهد ولا يشـك في عدالته ، وعادل لا يشك في اجتهاده .

وثالثهما هذا العبد المتحـدث ، وقد افتتحنـا هذه الحسـابات المصـرفية بأسمائنا نحن الثلاثة .

وينبغي الالتفات إلىٰ أن افتتاح الحسابات المصرفية وجمع المعونات ليس الهدف الأول منها مقدار الأموال التي يتم جمعها ، فمعلومٌ أننا نحن الإيرانيين لو

---

(١) نقلا عن الملحمة الحسينية، ج٢ .

جمعنا كل أموالنا فقد لا تصل إلىٰ مقدار ما لدىٰ اثنين من كبار اليهود الجالسين في أميركا وهم يسرقون أموال الدنيا عبر الربا ونهب ثروات العالم ،

إن المهم في افتتاح هذه الحسابات المصرفية وهذه المعونات هو كونها مصداقاً للقيام بواجب التضامن مع المسلمين ، فالمسلم يجب أن يستشعر آلام ومظلومية سائر إخوانه المسلمين ؛ وهذا هو شرط صدق انتمائه للإسلام »[1] .

« علل الافتراء على المطهري » :

من الضروري هنا معرفة علل ما تعرض له الأستاذ في الأعوام الأخيرة من حياته وحتىٰ بعد استشهاده ، من اتهامات وجّهها إليه البعض بنزوعه إلىٰ الراحة والدعة واجتناب المواقف الثورية الحادة والتهاون في النشاطات السياسية ، ومثل هذه الاتهامات لم تتعرّض لها الشخصيات التي لم تصل إلىٰ مستوىٰ الأستاذ حتىٰ من جهة النشاطات الثورية الظاهرية ، والتعرض للسجون والمراقبة .

وقد اتضح مما تقدم أن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة ، وأوضحنا سابقاً أن إقدام الأستاذ علىٰ النشاطات الثورية الظاهرية والحادة ارتبط على الدوام بمدىٰ مناسبتها لجهوده في الحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية النقية للثورة ، وحسب تصورنا فإن لهذه الافتراءات علّتين أساسيتين ترتبطان كلاهما بموقعية الأستاذ وجهوده للحفاظ علىٰ نقاء الأساس العقيدي للثورة وحفظهما من الأفكار الأجنبية الدخيلة المغطّاة بصبغة إسلامية ظاهرية ، ويُضاف إلىٰ هاتين العلّتين عللٌ أخرىٰ ـ لسنا هنا بصدد تفصيل الحديث عنها ـ كإخلاصه العميق واجتنابه التظاهر ، أو كحدة ذكائه ويقظته ونظرته الثاقبة المؤدية إلىٰ عدم إعطاء ذرائع للعدو وبعبارة أخرىٰ التزامه بالتقية بمعناها الحقيقي وهو العمل بصورة يستطيع معها توجيه أكبر وأكثر الضربات للعدو مقابل أقل الخسائر .

---

(١) كتاب الحق والباطل.

أما العلة الأولىٰ من تلك العلّتين مورد البحث ، فترتبط بموقف الـرفض الحازم الذي تبناه الشهيد المطهري تجاه أفكار المنظمة الموسومة بـ « مجاهدي الشعب الإيراني » ، فالأستاذ هو أول شخصية ـ بعد الإمـام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) ـ أدركت انحراف تلك المنظمة فكرياً ، وامتنع عن تأييدها ودعا الآخـرين إلىٰ عدم التعـاون معها ونشيـر هنا إلىٰ أن الشهيـد المطهـري وصف منـظمة « مجـاهدي الشعب » بـ « منـافقي الشعب » ، وذلك في رسـالتـه التي أرسلها إلىٰ الإمام الخميني في عام (١٣٩٨ هـ .ق) وسيأتي نصّها لاحقاً .



لقد كان الأستاذ المطهري في تلك الأعوام ، الشخصية الوحيدة ـ داخل إيران ـ التي اتخذت ذلك الموقف الصريح والحازم الواضح في رفض أفكار هذه المنظمة إذْ إنّ الآخرين إمّا كانوا ميّالين لها أو متجاهلين ، ولم يدركوا موقف الأستاذ الحازم إلا بعد أن تبنّت المنظمة صراحة الأفكار الماركسية وتخلّت صراحةً عن الإسلام ، أو بعد أن انتصرت الثورة الإسلامية في إيران واتّضحت حقيقتها بالكامل ؛ وقبل ذلك لم يكن الكثير من المتصدّين والعاملين في نشاطات الثورة قادرين علىٰ إدراك انحراف هذه المنظمة النفاقية وهذا الأمر كان يؤذي الأستاذ ويجعله يعاني آلام الإحساس بالغربة .

وبسبب موقفه الحازم هذا تعرض الأستاذ المطهري لسهام الاتهامات وشتّىٰ الافتراءات من قِبَل أعضاء هذه المنظمة وأنصارها ، فاتّهموه بالنزوع للدعة والراحة وعدم الثورية ، وهذه الاتهامات من السهل أن يصدقها الشباب المنبهرون بالمنظمة وعملياتها العسكرية التي كانوا يرون فيها برهان ثوريّتها وكانوا يستدلون بمغالطة هي « أن هذه المنظمة ، هي منظمة ثورية والمطهري يعارضها فهو إذاً ليس ثورياً » .

أما العلة الثانية التي سبّبت اتهام الأستاذ « باللاثورية » علىٰ الرغم من سابقته الجهادية الطويلة سياسياً وثقافياً ، فهي ترتبط بالانتقادات التي وجّهها الأستاذ لبعض آراء وأفكار المرحوم الدكتور علي شريعتي ، وبطبيعة الحال نحن هنا لا نعتبر منظمة « مجاهدي الشعب الإيراني » والمرحوم الدكتور شريعتي من سنخيةٍ واحدة ، كما أن انتقادات الأستاذ لتلك المنظمة ولآراء الدكتور شريعتي لم تكن من سنخية واحدة ، فالمطهري كان يعتبر أفكار المنظمة ماركسية المنبع ، في حين أنه كان يعتقد بوجود أفكار صحيحة إيجابية لدىٰ المرحوم شريعتي وأخرىٰ سلبية غير صحيحة ، وأفكار هذين الطرفين وأساليبهما متباينة أساساً .

في عام (١٣٩٨ هـ .ق) ، وضمن سياق الاختلافات والمناقشات التي

شهدها الشارع الثقافي في إيران حول المرحوم الدكتور شريعتي وأفكاره ، صدر بيانٌ موقع من قِبل الأستاذ المطهري والمهندس بازرگان ، نبّه إلىٰ الجوانب والنقاط السلبية في آثار المرحوم شريعتي ضمن الإشارة إلىٰ الجوانب الإيجابية والتأكيد علىٰ احترام شخص الدكتور ، ونشير هنا إلىٰ أن المهندس بازرگان قد سحب توقيعه بعد بضعة أيامٍ ، ونصّ البيان هو :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

« نظراً لأن القضايا المتعلقة بالمرحوم الدكتور علي شريعتي ما زلت منذ مدة مثار لغطٍ وتضييع لأوقات فئاتٍ عدة وانصرافها وانشغالها عن القضايا الأساسية والضرورية ، وكذلك نتيجةً لاستغلال الأطراف المشبوهة والمغرضة لهذا اللغط ، لذا رأينا نحن الموقعَين علىٰ هذا البيان ضرورة التباحث حول الموضوع ، وبعد سلسلةٍ من اللقاءات والتباحث بهذا الشأن واتحاد وجهات النظر إلىٰ درجةٍ كبيرةٍ توصلنا إلىٰ أن الواجب الشرعي يستلزم منّا إطلاع الرأي العام علىٰ آرائنا المشتركة بهذا الصدد ـ بصورة إجمالية أولاً ثم تفصيلية فيما بعد ـ إيماناً منّا بواقعٍ أن أكثر الذين أُصيبوا بعدم وضوح الرؤية وإتلاف الوقت نتيجة ذاك اللغط هم من طلّاب الحقيقة ، فقررنا إيصال آرائنا إليهم خصوصاً لتكون وسيلة خير لإنقاذهم من ذاك الضياع والعودة إلىٰ التزام عُرىٰ الوحدة والالفة بين المسلمين ، ويقينٌ أن في ذلك رضا الله تعالىٰ .

والمناط فيما يُشاع بشأن المرحوم شريعتي أو يرتبط بميوله وقناعاته واستنباطاته وآرائه حول القضايا الإسلامية ، هو ما تعكسه آثاره وكتاباته .

ونحن لنا علاقة بشخصه إضافة إلىٰ اطلاعنا علىٰ آثاره وكتاباته ، واستناداً إلىٰ هذه المعرفة ، نؤمنُ بعدمِ صحةِ ما يُنسبُ إليهِ من ميول [. . .] ، كما لم تكن له آراءٌ غير إسلامية تجاه أيٍّ من أصول الدين « توحيداً ونبوّةً ومعاداً وعدلاً وإمامةً » .

ولكن وبحكم أن دراسته وثقافته كانت غربية ، ولم تسنح له الفرصة الكافية والمجال اللازم للتحقيق الوافي في مجال المعارف الإسلامية ، حتىٰ أنه كان أحياناً يجهل بديهيات القرآن والسنّة والفقه والمعارف الإسلامية ـ لذلك وعلىٰ الرغم من الازدياد المستمر في معلوماته في هذا المجال نتيجةً لجهوده المكثّفة ، فإنه وقع في أخطاء كثيرة لا ينبغي السكوت عنها فهو نوعٌ من كتمان الحق ومصداق لقوله تعالىٰ : ـ

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدىٰ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ .

وإستناداً لما تقدم وبملاحظة إقبال الشباب الواسع علىٰ كتب المشار إليه ، وانتباهه هو نفسه إلىٰ أخطائه بعد التذكير المستمر له بشأنها من قبل أشخاص نزيهين ، وبعد اتّساع معلوماته ، وتوكيله أحد أصدقائه وكالةً مطلقة لإصلاحها ، وبالتوكّل علىٰ القوة الإلهية ومع حفظ احترامنا لشخصيته وتقديرنا لخدماته وجهوده في جذب الشباب إلىٰ الإسلام ، فقد قررنا بيان آرائنا حول محتويات مؤلفاته وآثاره في منشورات بلغة صريحةٍ ودون مجاملة أو التفاتٍ إلىٰ انفعالات الأنصار المتعصبين أو الأعداء المغرضين .

نسألُ الله العون والتسديد ، شاكرين لجميع الأفراد الذين يُعينونا علىٰ ذلك من غير قصدٍ سيىء وعبر إطلاعنا علىٰ آرائهم المدعمة بالبراهين .

والسلام عل مَنْ اتّبع الهُدىٰ

بعد نشر هذا البيان انهالت علىٰ الأستاذ المطهري سهام شتىٰ التهم والافتراءات حتىٰ وصل الأمر إلىٰ اتهامه بالتعاون مع النظام المَلكي .

ومفهومٌ أن من الصعب علىٰ بعض الشباب الثوري المتحمس ، الاقتناع بموقف الأستاذ هذا ، فهم كان يرون في المرحوم الدكتور شريعتي الكثير من مظاهر الثورية وبسببها عشقوه ، لذا كان صعباً عليهم التحرر من عواطفهم

والتصديق بأنّ بعض أفكاره لا تنسجم مع المفاهيم الإسلامية ، بل إن هذه الحالة شكلت أرضية مناسبة لاقتناعهم باتهامات اللاثورية التي روّجها الأنصار المتعصبون لشريعتي ضد الأستاذ المطهري ، فأولئك الشباب كانوا يتعاملون مع هذه القضية وفق المغالطة التي أشرنا إليها وهي أنه ما دام الدكتور شريعتي إنساناً ثورياً ، والأستاذ يعارض أفكاره ، إذاً فالأستاذ المطهري ليس ثورياً!! . . .

لكن الأستاذ المطهري لم يرهب هذه الهجمات التي شنّها ضده أمثال أولئك الذين كان لبعضهم ارتباط بالنظام الشاهنشاهي ، واختار الصمت تجاهها دون أن يسمح لها بالتأثير عليه ، فلقد كان مؤمناً بعمله ذاك ويراه واجباً شرعيّاً يساهم عبر القيام به في دفع مسيرة الثورة وفق أحكام ومفاهيم الإسلام النقي .

« الأستاذ المطهري والامام الخميني » :

الأستاذ المطهري والإمام الخميني كتابان يُفسّر أحدهما الآخر ، وحسب تصوّر كاتب هذه السطور ، ليس هناك مَنْ عرف الإمام بالصورة التي عرفها به الأستاذ المطهري ، مثلما أنه لم يعرف أحدٌ المطهري كما عرفه الإمام الخميني ، وهذا الأمر ثمرة اثني عشر عاماً من دراسة الأستاذ عند الإمام وعلاقته القوية به التي استمرّت إلىٰ آخر حياته المباركة ، يُضاف إلىٰ ذلك وحدة السنخية الروحية والعرفانية بينهما ـ رغم اختلاف الدرجة ـ وهذه الحقيقة توضحها أقوالهما كلٌ عن صاحبه ، يقول الأستاذ الشهيد المطهري في كتاب « حول الثورة الإسلامية » :

« أنا الذي درستُ في محضر هذا الرجل العظيم قرابة اثني عشر عاماً ، أدركتُ من خصائصه المعنوية خلال سفري الأخير إلىٰ باريس وزيارتي له ، ما ضاعف من إيماني به فضلاً عن مضاعفة إعجابي بشخصيته .

عندما رجعتُ سألني أصدقائي ماذا شاهدت فيه ؟! أجبتهم لمستُ فيه الإيمان بأربع :

آمن بهدفه :

إنه يؤمن بهدفه بحيث لو اجتمع العالمُ عليه لما استطاع أن يصرفه عنه .

وآمن بسبيله :

فهو يؤمن بالطريق الذي اختاره ولا يستطيع إنسانٌ أن يحيده عنه ، مقتدياً في ذلك بإيمان النبي الأكرم (ص) بهدفه وطريقه .

وآمن بشعبه :

لم أرَ أحداً قطُّ مثلَهُ من بين جميع أصحابي وأصدقائي مَنْ يؤمن مثله بمعنوية الشعب الإيراني ، كانوا ينصحونه أن يخفف من حدة مواقفه قليلاً قائلين إن الشعب بدأ يتراجع تدريجيّاً وإنّ معنوياته منهارة ، لكنه كان يقول : « لا ، ليس الشعب ؛ إنني أعرفه خيراً منكم » ، وها نحنُ نرىٰ جميعاً صدق كلامه يتضح يوماً بعد آخر .

وأهم من كلِّ ذلك أنه آمن بربّه ، قال لي في لقاءٍ خاص : ـ « فلان ؛ لا تتوهم أننا نحن الذين نقوم بهذه الأعمال « الثورة » ، إنني أرىٰ وأحس بيد الله في الأمر بوضوح » .

إن الذي يشعر بقوة الله وعنايته ويسير في سبيل الله ، يضيف الله إلىٰ قوته النصر تصديقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ **وتصديقاً لما يتحدث به القرآن الكريم عن أصحاب الكهف ، إذْ يقول تعالىٰ** : ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ ، نعم إنهم قاموا لله ، فالله يربط على قلوبهم ، ﴿ **وربطنا على قلوبهم إذْ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والأرض** ﴾ .

إنني أرىٰ هذه الهداية والتأييد بوضوح في هذا الرجل ، إنه قام لله فمنحه الله تعالى قلباً قوياً ، فلا يصله الخوف ، ولا يتزعزع أبداً . . . » .



الامام الخميني (قدس) في غرفة الشهيد بعد استشهاده.

« ولأذكر لكم واحدة أخرى ، من خصوصيات هذا الرجل العظيم ، هذا الرجل الذي يُصدر في النهار تلك البيانات الثائرة اللاهبة ، يلتزم بالتهجد بما لا يقل عن ساعةٍ واحدةٍ في الأسحار ، وتنهمر دموعه بصورة يصعب تصديقها . . .

إن هذا الرجل هو نموذجٌ حقيقي يُذَكِّرُ بالإمام علي (عليه السلام) .

قيل في علي (عليه السلام) إنّه هو الضحّاك إذا اشتد الضُراب في ميدان القتال ، وهو البكّاء في محراب العبادة حتى يُغشى عليه من شدة التضرّع ، وهذه الحالة رأينا نموذجها في هذا الرجل العظيم الإمام الخميني . . . » .

ويقول الإمام الخميني في بياناته عن الأستاذ الشهيد :

«أقدّمُ التهاني والتعازي إلىٰ الإسلام والأولياء الكرام والأمة الإسلامية وخاصةً الشعب الإيراني المجاهد ، بمصابهم المؤسف بالشهيد الجليل والمفكر الفيلسوف والفقيه ذي المقام السامي ، المرحوم الحاج الشيخ مرتضى المطهري (قدس سره) ،

أمّا التعازي فباستشهاد ذلك الرجل الفذّ الذي قضىٰ حياته الكريمة الغالية في سبيل تحقيق الأهداف الإلهية المقدسة ومجاهدة الأفكار المنحرفة ، ذلك الرجل الذي عزّ مثيله في معرفة الإسلام ومعارفه المختلفة وفي تفسير القرآن الكريم .

أما أنا فقد فقدتُ ابناً عزيزاً وقد فُجعتُ بوفاته إذْ كان من الشخصيات التي أعدّها ثمرة حياتي .

وأما الإسلام فقد ثُلم باستشهاد هذا الابن البار والمفكّر العالم الخالد ثلمةً لا يسدها شيء . . .

وأما التهاني ، فلأننا نحظىٰ بوجود أمثال هؤلاء الرجال الذين يضحّون

بأنفسهم ويشعّون نوراً في حياتهم وبعد وفاتهم بتجلياتهم .

إنني أُهنّىء الإسلام العظيم مربي الأجيال ، وأهنّىء الأمة الإسلامية بتربية رجالٍ يفيضون بالحياة على القلوب الميتة وبالنور علىٰ الظلمات .

وإني خسرتُ ابناً عزيزاً كان كبضعةٍ منّي ، ولكني أفتخرُ بأنه كان للإسلام الذي سيكون له مثل هذا الابن المجاهد .

لقد غاب عنّا « المطهري » الذي قلّ نظيره في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان ، والتحق بالرفيق الأعلىٰ ، لكن الأعداء لن يستطيعوا أن يقتلوا شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية ، ولن يستطيع المغتالون قتل الشخصية الإسلامية لرجال الإسلام ، وليعلموا أن فقدان الشخصيات الكبار لن يزيد شعبنا ـ بمشيئة الله العزيز ـ إلا تصميماً وعزماً راسخاً علىٰ مواصلة الجهاد ضد الفساد والاستبداد والاستعمار . . .

إنني أُعلن يوم الخميس (١٣/ آرديبهشت ٥٨) ، يوم حداد عام علىٰ رجلٍ فذٍّ مناضل مجاهد في سبيل الإسلام والشعب ، وسأقيم مجلس تأبين في المدرسة الفيضية يومي الخميس والجمعة ، وأسأل الله تعالىٰ الرحمة والغفران لابن الإسلام العزيز ، والكرامة والمجد للإسلام والسلام علىٰ شهداء الحق والحرية . . . »[١] .

* * *

« لقد انتصرت الثورة الإسلامية في إيران بالرغم من محاولات الأعداء والمشاغبين ، انتصرت بإرادة الله تعالىٰ وتوفيقه ، واستقرت المؤسسات الثورية الإسلامية الواحدة تلو الأخرىٰ ، خلال ما يقارب العام وفي سلامٍ وموفقية ، ولكن تكبد شعبنا والحوزات الإسلامية والعلمية خسائر فادحة ، علىٰ أيدي

---

(١) بيان الامام الخميني بمناسبة استشهاد المطهري .

المنافقين أعداء الثورة ، منها اغتيال المفكر الإسلامي العظيم والعلّامة الكبير حجّة الإسلام الحاج الشيخ مرتضىٰ الشهيد المطهري (رحمة الله عليه) .

إنني لا أستطيع وأنا على هذه الحال[١] ، إظهار مشاعري تجاه هذه الشخصية العزيزة ، وما يجب أن أقولَهُ بشأنه هو أنه قد أسدىٰ إلىٰ الإسلام والعلم خدمات جليلة ومن المؤسف جداً أن تقتلع الأيدي الآثمة هذه الشجرة المباركة من الحوزات العلمية والإسلامية وتحرم الجميع من مزيد ثمارها القيّمة .

كان المطهري ولداً عزيزاً لي وعماداً متيناً للحوزات الدينية والعلمية وخادماً مخلصاً للشعب والوطن ، فرحمه الله وأسكنه في جوار خَدَمة الدين المخلصين .

واليوم يُسمع من هنا وهناك ، أن أعداء الإسلام والثورة يحاولون بدعاياتهم المضادة للإسلام أن يمنعوا الطلبة الأعزاء في الجامعات من الاستفادة من كتب هذا الأستاذ الفقيد ، وإني أوصي الطلاب والمثقفين المؤمنين أن لا يسمحوا لمؤامرة أعداء الإسلام بأن تخفي كتب هذا الأستاذ في مطاوي النسيان ، أسأل الله تعالىٰ أن يوفّق الجميع والسلام علىٰ عباد الله الصالحين »[٢] .

* * *

« تمر علينا اليوم ذكرىٰ استشهاد شهيد مطهّر خلّف من الآثار الخالدة ما يتوهج نوراً من الفطرة النقية والروح المتأجِجة عشقاً للهدف المقدس .

لقد كان المطهري معلماً ومربياً للمجتمع ، يتحدث بلغة الجماهير دون

---

(١) كان الإمام الخميني حينها في مستشفىٰ القلب.

(٢) بيان الإمام بمناسبة الذكرىٰ الأولىٰ لاستشهاد الأستاذ المطهري.

اضطراب ولا قلق ، فيفسر المسائل الاسلامية ويوضح الحقائق الفلسفية ببيانٍ قوي وفكر قويم ، وكل ما خلّفه من نتاج يراعه وبيانه يفيض بالعلم ويزكي الروح ، ومواعظه ونصائحه التي كانت تصدر من قلبٍ مفعم بالإيمان ينتفع بها العامة والخاصة .

كان الأمل أن يُنتفع من ثمار هذه الشجرة المباركة علماً وإيماناً أكثر مما ترك وأن يتخرج علىٰ يديه علماء يفيدون المجتمع أكثر مما تخرّج ، ولكن ـ مع الأسف ـ لم تمهله الأيدي الآثمة ، فحرمت شبابنا من طيبات ثمار هذه الشجرة المباركة ،

ونشكر الله علىٰ أنّ ما خلّفه الأستاذ الشهيد بمضامينه العالية يمثل آثاراً غنيةً بالتعليم والتربية .

لقد التحق الأستاذ الشهيد المطهري بالحياة الأبدية ، فرحمه الله وحشره مع أوليائه »[1] .

***

« . . . يصادف اليوم ذكرىٰ وفاة المرحوم المطهري ـ رحمه الله ـ ، وينبغي أن أتحدث لكم بكلمةٍ عنه :

المرحوم المطهري ، كان شخصاً واحداً اجتمعت فيه أبعادٌ شتّىٰ ، ويندر أن قدّمَ شخصٌ واحد الخدمات التي قدمها لجيل الشباب وغيرهم .

آثاره جميعاً جيدة بلا استثناء ، ولا أعرف أنا شخصاً غيره أستطيع أن أقول بشأنه إنّ جميع آثاره جيدة بلا استثناء ؛ أما هو فإن جميع آثاره جيدة تربي الإنسان وتصنعه ؛

---

(١) بيان الإمام بمناسبة الذكرىٰ الثانية لاستشهاد الأستاذ المطهري .

لقد خدم بلده ، في ذلك الجو الإرهابي قدّم خدمات جليلة ، هذا الرجل ذو المقـام السامي ، أسـأل الله بحق الرسـول الأكرم أن يحشـره مع الـرسـول الأكرم (ص) . . . »[1] .

(١) خطاب للإمام بمناسبة الذكرى الثالثة لاستشهاد المطهري .

الفصل الثالث

رسائل الاستاذ بشان عمل مؤسسة حسينية « الارشاد » :

يضم هـذا الفصل مجموعةً من الملاحظات ومسودات ورسائل كتبها الأستاذ الشهيد ضمن أوراقه الخاصة عن مؤسسة حسينية الارشاد ، أهم مؤسسة دينية تبليغية ساهمت بقسطٍ وافر في نشاطات الثورة وتربية قواعدها الجماهيرية ونحن نثبت هنا هذه الوثائق علىٰ حالها دون تصرف حفظاً لقيمتها التأريخيـة ، ونلفت انتباه القراء إلىٰ أن بعضها « مسودات » كما أشرنـا ، لذا تشمل أحيانـاً بعض التكرار والتعديلات من قبل الأستاذ نفسه ، تمثل تطويراً في بلورة بعض الأفكار .

وعلىٰ أي حال فهي بمجملها تحمل الكثير من العبر العملية النافعة ، وتعطي خبرات جيدة بشأن عمل أمثال هـذه المؤسسة الدينية ، كما يمكن استكشاف العديد من رؤىٰ الأستاذ المطهري بشأن النشاطات التغيرية الإسلامية .

ـ المترجم ـ

« منهاج عمل المؤسسة الخيرية في حسينية الارشاد للتعليم والتحقيق العلمي والديني »

الهدف العام لهذه المؤسسة هو تقديم الخدمات الدينية والعلمية من أجل نشر وتبليغ الإسلام وتقوية هذا الدين المقدس ؛

والمؤسسة تسعىٰ لتحقيق هذا الهدف العام عبر الإجراءات المذكورة لاحقاً وهي تضع أمر متابعتها نصب العين فلا تنحرف عنه أبداً ، والإجراءات هي :

١ ـ دعوة الخطباء العلماء وذوي الكفاءة الإسلامية ، لإلقاء المحاضرات التربوية المستندة إلىٰ البراهين والمتناسبة مع المستوىٰ الفكري للفئة المتعلمة .

وتُلقىٰ هذه المحاضرت بصورة دورية أسبوعياً أو بما يتناسب مع أيام الاحتفالات أو مراسم العزاء الدينية ؛ شريطة أن تكون هذه المحاضرات قادرة علىٰ تقديم نماذج الأسوة الصالحة من جميع الجهات ويمكن الاستفادة منها عملياً وتكون مورداً للثقة والاطمئنان وتستطيع إيجاد تحولٍ في المحاضرات الدينية بصورة عامة .

٢ ـ دعوة العلماء المقتدرين والشخصيات الصالحة في البلد لإقامة

الندوات العلمية والفلسفية والتأريخية والأدبية في حدود الحقائق المرتبطة بالدين الإسلامي المقدس ، ويشترط في المدعوين أن لا تكون لهم سابقة سيئة من وجهة النظر الإسلامية .

٣ ـ طبع المحاضرات والندوات ونشرها بهدف تعميم الفائدة وإكمال الاستفادة منها .

٤ ـ إيجاد « قسم الإجابة علىٰ الأسئلة » ، وشُخصت ضرورته بلزوم التعرف الصحيح والكامل علىٰ الاحتياجات الفكرية والأخلاقية للمجتمع خاصة الشباب منه وإشكالاتهم والقضايا والعقد التي تشغل أذهانهم لكي يمكن عبر ذلك معرفة الإجراءات اللازمة في هذا الصدد .

ويجب أن تدوّن هذه الأسئلة وتحفظ في قسم خاصٍ بها ، وتُشكل لها ملفات حول إجراءات الإجابة عليها إما بصورة تحريرية أو عبر المحاضرات .

٥ ـ تأسيس « قسم التحقيقات الإسلامية » ، ويُنجز هذا القسم مهماته علىٰ دائرتين :

أ : التحقيق في القضايا الإسلامية ، خاصةً في المسائل التي يحتاجها العصر . وتضم هذه الدائرة الكثير من القضايا الراهنة فلسفية واجتماعية واقتصادية وتأريخية وعلمية ، وتندرج دراسة الأديان الأخرىٰ أو التيارات المعادية للإسلام ضمن هذه الدائرة .

ب : الدراسات الاجتماعية حول التيارات التي يشهدها المجتمع وترتبط بالدين ، وتشمل هذه الدائرة التحقيق حتماً حول المنشورات والنشاطات والإجراءات التي تؤدي إلىٰ تقوية أو إضعاف العقائد الدينية في المجتمع ، وترتبط مكتبة المؤسسة بهذا القسم .

٦ ـ تشكيل الدروس التعليمية في مختلف الفروع العقائدية والأخلاقية والفقهية والأدبية وغيرها ، وتُشخص ضرورة هذه الدروس من واقع أن الثمار

المتحصلة منها لا تتحصل من المحاضرات والندوات ومطالعة الكتب ؛

وتعتبر دروس الحج التعليمية التي عُقدت في شهر رمضان عام (١٣٨٧ هـ . ق) ، نموذجاً أولياً في هذا المجال .

٧ ـ المبادرة إلىٰ إقامة الشعائر والبرامج الإسلامية الاجتماعية بصورة نموذجية ، كإنشاء « قافلة الحج النموذجي » ، أو إقامة رحلات الزيارة الجماعية وغير ذلك ، وتعتبر قافلة الحج لحسينية الإرشاد عام (١٣٨٧) النموذج الأول في هذا الصدد .

٨ ـ تأسيس المراكز الثقافية الاجتماعية ، كرياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد التعليم الحرفي أو الفني وغير ذلك .

٩ ـ تأسيس مراكز النشاطات الخيرية كالمستوصفات والمراكز الطبية وغيرها .

١٠ ـ إقامة النشاطات السالمة والمفيدة في المجال الإقتصادي بهدف توسيع موارد ميزانية المؤسسة وتطوير إمكاناتها في مختلف نشاطاتها المذكورة آنفاً .

وقد تمّت مناقشة هذا المنهاج العملي بتاريخ (. . .) خلال اجتماع حضره أعضاء هيئة الإدارة وهيئة المستشارين وبعد البحث فيه مفصلاً تمت المصادقة عليه .

التواقيع . . .

الصديق المكرم حضرة السيد « همايون » ادام الله ايامه

أُرْسِل لكم استقالتي مع هذه الرسالة دون أن أحيطكم علماً بها مسبقاً ؛ اعذرني علىٰ العبارت العنيفة والانتقادات الصريحة الواردة فيها ، أعلم أن جميع الأصدقاء سيتأذون من لغتها الصريحة ، وقد تعمدت أن أجعل الجميع

يتأذون ، إذْ أردت أن أكتب الاستقالـة بصورة أسـدُّ معها طـريق الرجعـة ، أي أخرّب الجسور خلفي حسب ما يُصطلح ، لقـد كتبتها بلغـة تجعلني أصل إلىٰ هدفي في قبولها بصورة أسـرع من خلال ذلـك ، فأستـريح بقـطع العمل مـع الشخص الذي كان علىٰ الدوام يؤذي روحي .

وعلىٰ أي حالٍّ أسألكم العذر ثانيةً وأن تبلغوا سلامي لجميع الأصدقاء .

مرتضىٰ المطهري
٢٧/١٠/١٣٤٧ هـ .ق (١٣٨٨ هـ .ق)

نص الاستقالة :

حضرة السيد محمد همايون ـ رئيس هيئة الادارة المحتـرمة في حسينيـة الإرشاد :

ضمن تقديم غاية الشكر لمقاكم السامي علىٰ أشكال الألطاف المخلصة التي أحطتم بها هذا العبد ،

ومع الاطلاع الكامل علىٰ توافر كامل النقاء وإخلاص النية وعلو الهمة في جنابكم أنتم المؤسس الحقيقي لهذه المؤسسة الإسلامية « حسينية الإرشاد » ،

ومع تقديم كامل الاعتذار ، أقدم لكم استقالتي هذه من عضوية هيئة ادارة حسينية الإرشاد بعد أن تحققت عملياً إحدىٰ توقعاتي الصريحة ؛ فلم يبق لديّ شكٌّ في أن الأساليب غير المنضبطة والقرارات الفرديـة للسيد (. . .) ستجـرُّ هذه المؤسسة إلىٰ السقوط الحتمي ، وتحول الأمال التي بعثتها نشـاطاتهـا في جيل الشباب ، إلىٰ نوع من الضياع بل وسوء الظن بكل مؤسسة دينية .

ولا شك بأن هدف الشخص المذكور يختلف تماماً عن الأهداف المقررة في النظام الداخلي للمؤسسة وعن طموحات مؤسسها الخيّر ، وسائـر الخيرين الذين حازوا افتخار الخدمة في المؤسسة ؛ وأوضح دليل علىٰ هذه الحقيقة هي

معارضة المذكور ، والعراقيل التي يُثيرها بوجه كل شكلٍ من أشكال توزيع المسؤوليات وتثبيت الضوابط الداخلية للعمل ، وضد كل إجراء مفيد وعميق يلبي احتياجات الفئة المتعلمة ، يُضاف إلىٰ ذلك ميوله الحادة لتحويل المؤسسة إلىٰ مؤسسة فارغة يلفّها الضجيج .

ولكوني أرىٰ أن هذا المرض غير قابل للعلاج ، أجد أن الخدمة الوحيدة التي أستطيع تقديمها لهدف المؤسسة ، هي الامتناع عن التعاون والعمل مع المشار إليه وإلىٰ الأبد ، وأن أعلن ذلك جهاراً .

وفي الوقت نفسه آملُ أن تتغلب حسن نوايا مؤسس المؤسسة ومعاونيه الخيّرين وبواطنهم الإسلامية علىٰ الأفكار الشيطانية ، داعياً الله تعالىٰ أن يحفظ برعايته هذه المؤسسة من اللسعات الشيطانية .

أرجو اعتبار استقالتي هذه نهائية والامتناع عن معاودة مراجعتي بشأنها تجنباً لإثارة الخجل .

كما أرجو الإسراع في انتخاب عضو آخر ، وإبلاغ المراجع القانونية بهذه الاستقالة ، وإذا رأيتم لزوم أن أبلغ هذه الاستقالة للمراجع القانونية بنفسي فيرجىٰ إبلاغي لكي أقدم علىٰ ذلك سريعاً .

ضمناً وبملاحظة تحملي شخصياً مسؤولية الاشراف علىٰ طبع مقالات كتاب « محمد خاتم الأنبياء » ، وحيث تهيأت مقدمات طبع الجزء الثاني منه وسيبدأ الطبع الأسبوع القادم ، فإني سأشرف علىٰ ذلك .

أسأل الله تعالىٰ التوفيق لجنابكم وسائر الإخوة الخيّرين في المؤسسة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مرتضىٰ المطهري

٢٧/١٠/١٣٤٧ هـ.ق

الهيئة المحترمة الادارية والاستشارية لحسينية « الارشاد » :

إلحاقاً باستقالتي المؤرخة في (٢٧ , ١٠ , ١٣٤٧ هـ .ق) من عضوية الهيئة الإدارية لحسينية الإرشاد ، وفي أعقاب المباحثات والألطاف التي أحاطتني بها الهيئة المحترمة ، وافقت استجابة لأمرها علىٰ الاشتراك ـ بصورة مؤقتة ـ في الاجتماعات التي قررت عقدها الهيئة الإدارية والاستشارية الموقرة ، من أجل تحقيق التنظيم الداخلي للمؤسسة . . .

إلحاقاً(*) باستقالتي المؤرخة في (٢٧ , ١٠ , ١٣٤٧ هـ .ق) من عضوية الهيئة الإدارية لحسينية الإرشاد ، أُبلغُ الهيئة المحترمة بأنه ونظراً لأن الرئيس المحترم لهذه الهيئة لم يرَ صلاحاً في طرح موضوع الاستقالة حالياً ، واعتبر أن العلة الأساسية للاستقالة تكمن في عدم الارتياح من تأخير المصادقة علىٰ النظام الداخلي للمؤسسة والالتزام بالعمل به . . .

ونظراً لأن الرئيس المحترم وأعضاء الهيئة الموقّرة قد طلبوا مني الاشتراك حالياً في الاجتماعات التي تُعقد لمعالجة العلة المتقدمة . . .

فإني أطعتُ أمر السادة الموقرين واشتركتُ واشترك في الاجتماعات المذكورة ، ولكني أرىٰ ـ مع كامل الأسف ـ هذه المؤسسة العظيمة في حال الانهيار لأن الأمراض الموجودة فيها أراها متفاقمة ومتأصلة وخطيرة للغاية .

علل استقالتي « مرتضى المطهري » :

١ ـ لقد كتبتُ استقالتي عن تفكير وحساب ، أي أنّ لها مبررات .

٢ ـ العزلة عن الاشتراك في عملٍ ما لا تدلُّ بالضرورة علىٰ خصومة شخصية بل إنها هنا تدلُّ علىٰ عدم إمكان العمل مع أطرافه .

٣ ـ إنني أعتقد باستحالة التعاون والعمل مع السيد (. . .) في الوقت الحاضر ، لمبررات عدة .

(*) واضحٌ أن هذه مسودة الرسالة وتكرار الصيغة فيها هو من أجل التعديل.

أ : إن طبيعة تفكيرنا وهدفنا يختلف تماماً عن ما لـدىٰ هذا الشخص ، وهذا الأمر ينسحب بطبيعة الحال علىٰ أساليب الوصول إلىٰ الأهداف من خلال المؤسسة .

نحن نريدُ أن نجعل هذه المؤسسة محلاً لعرض الإسلام بالصورة القادرة علىٰ تلبية الاحتياجات الفكريـة الراهنـة والمستقبلية وعلىٰ مستـوى عال ، أمـا المشار إليه فيريد أن يجعل هذه المؤسسة محلاً للتشريفات الظاهرية المصحوبة بالضجيج ويديرها وفق الفوضىٰ والانفعالات ؛ إنه عملياً يؤيد الاستجابة الكاذبة للعواطف ويعارض كل ما له علاقة بالمنطق والعمل العقلي ويثير العراقيـل في هذا المجال ، وهذا المبرر وحده يكفي للانفصال .

ب : المبرر الثاني لاستحالة العمل المشترك معـه ، يكن في ميله الحادّ لإدارة جميع الأعمال بنفسه ودون تدخل الآخرين ، فهو يرىٰ المناقشة والمشاورة أمْراً تشريفياً شكلياً محضاً ، شأنه في ذلك شـأن مداولات ومشـاورات مجلس الشورىٰ الوطني ، الشكلية والخالية من أيِّ روح ؛ وإني أرفضُ أن توضع في يد



شخصٍ واحد ، جميع الأعمال من الاستخدام إلىٰ شؤون المكتب والحسابات وإمضاء الصكوك وإدارك الاجتماعات وتعيين الخطباء والوعّاظ المدعوين ، وإجراء المقابلات التلفزيونية والتحقيقات الصحفية وغير ذلك ، فمثل هذه الحالة تقود المؤسسة إلىٰ الانهيار والسقوط الحتمي كما اعتقد .

ج : إن من خصوصياته الأخلاقية بل و « كفاءاته » البارزة هي صنعة « التبرير » ، فهو يختلق مبررات لكل انحراف وكل خطأ ؛ وبديهيٌّ أن من المحال العثور علىٰ مبرر صحيح لكل أمر ؛ وبسبب ذلك فإن منطقَهُ مملوء بالأكاذيب والمُختلقات ، وهذا نقصٌ كبير في كل شخص يريد الاشتراك في إدارة أي مؤسسة دينية ، بل إنه يعتبر تبليغاً مضاداً للإسلام .

د : ومع الأسف فإن من عيوبه الأخرىٰ عدم حفظ الأسرار ـ المباحثات والمعلومات السرية تشكل سراً مصوناً للأفراد لا يجوز كشفها ولكنه رغم ذلك يطلع عليها الأطراف المتعلقة بها عن التفاتٍ أو بدونه ـ ولهذا السبب فإني سأمتنع عن إبداء وجهة نظري فيما يتعلق ببرامج شخصٍ ما إذا كان المشار إليه حاضراً في الاجتماع ، ومعلومٌ أن حفظ الأسرار شرطٌ في العمل المشترك .

هـ : إن المشار إليه لا يولي أي احترامٍ لحيثيات الأشخاص ، لذا فمعظم المدعوين للتعاون مع المؤسسة ، تُثبّطُ عزائمهم في التعاون طبيعة تعامله معهم .

و : صلافتُهُ العجيبة في تقريب هذه المؤسسة من المؤسسات الحكومية أمرٌ مشهودٌ واضحٌ من خلال إجرائه المقابلات التلفزيونية ، لقائه بـ « عصّار » ، إجرائهِ لتحقيق صحيفة « إطلاعات » ، اتصالاته مع لجنة « الحج » الحكومية .

٤ ـ لقد سلمتُ استقالتي للمسؤول عن الحسينية ولن أتراجع عنها وهي تبقىٰ نافذة المفعول ما لم يتغير الوضع الموجود بصورة جذرية ، وتتحول إدارة المؤسسة من الحالة الفردية إلىٰ الجماعية المنظمة وتُحدد بوضوح صلاحيات

العاملين فيها ومسؤولياتهم لا سيما الشخص المذكور ، وتُقسم الميزانيات ويتم تعيين مفتشين مقتدرين ، والخلاصة أن تتم إدارة المؤسسة إدارة صحيحة ، فلا يحق لأحدٍ التدخل في مسؤوليات الآخرين ، وفي هذه الحالة يمكن التعاون مع المؤسسة مع تعيين المدراء وتحديد حدود المسؤوليات .

مرتضىٰ المطهري

٢٩, ١٠, ١٣٤٧ هـ .ش

الهيئة الادارية والاستشارية الموقرة في حسينية الارشاد :

لقد قدمتُ استقالتي بتاريخ (٢٧/ ١٠/ ١٣٤٧ هـ .ش) إلىٰ رئيس الهيئة الموقر وأشرت فيها إلىٰ عللها بصورة مجملة ، ولكن رئيس الهيئة المحترم وأعضاءها الموقرين لم يروا صلاحاً في مناقشة الاستقالة حالياً ورأوا ضرورة الإقدام فورياً علىٰ العمل بتنظيم ضوابط النظام الداخلي للمؤسسة والمصادقة عليه والالتزام به لتزول بذلك العلة الأساسية لعدم الارتياح .

وقد تفضلوا بكامل المودة بالطلب مني أن أشترك في الاجتماعات التي تقرر عقدها لهذه الغاية وأبدي وجهات نظري فيها ، فاستجبت طاعةً لأمر السادة الموقرين .

ولكن ونظراً لأني أعتبر أن أمراض المؤسسة خطيرة للغاية ، وليس لدي أمل بتحقق المطلوب بل وحتىٰ في حتىٰ تحققه لا أستبعد توجيه ضربة غادرة من الأيدي المشبوهة ، وإضافة إلىٰ ذلك فاني قررت عدم التراجع عن استقالتي علىٰ كل حال ، وسأنتظر لأرىٰ إلىٰ أي عاقبة سيؤول حال المؤسسة . . .

لكل ذلك أرىٰ لزوماً أن أقدم استقالتي وعللها الموضحة ذيلاً لتدرج في جدول أعمال الاجتماعات ويُوقع عليها ، لأني أعتقد أنه سيأتي يومٌ ينتفع فيه منها ، سواءً بقيت في المؤسسة أو خرجت منها .

علل الاستقالة :

إن العلة الأساسية تكمن في استحالة العمل المشترك مع السيد (. . .) العضو في هيئة الإدارة وذلك للمبررات التالية :

ـ اختلاف طبيعة التفكير والأهداف بيني وبين المشار إليه ، وهذا الاختلاف ينعكس بطبيعة الحال علىٰ نوعية النشاطات التي تُقام في المؤسسة .

إن هدفي هو أن تصبح المؤسسة مركزاً تحقيقياً وتبليغياً إسلامياً علىٰ مستوىٰ رفيعٍ بحيث تستطيع تلبية الاحتياجات الفكرية لمجتمع اليوم الذي تعرض لصدمات عديدة .

إنني أريد أن تكون المؤسسة بمستوىٰ مواجهة التيارات الفكرية السائدة في عالم اليوم ، وتستطيع عرض الإسلام الصحيح في مقابلها ، ولتحقق ذلك يجب أن تكون محاضراتها ومنشوراتها مستندة إلىٰ المنطق السليم القوي ، لا أن تكون انفعالية عاطفية ، صحيح أن رعاية الجانب العاطفي أمرٌ مهم ولكن يجب أن يكون علىٰ هامش المنطق والتفكير السليم لا أكثر ؛ ولكن طريقة تفكير المشار إليه هي أن تصبح المؤسسة مثيرة للإعجاب ويكفي رعاية بعض ظواهر التشريفات الشكلية فيها لا أكثر ، مع تأكيده علىٰ إحاطتها بنوع من الضجيج والانفعالات والصراخ ، وهدفه ـ وعلىٰ نقيضي ـ هو الكمية لا الكيفية ، وهو يعارض عملياً أي نشاطات علمية علىٰ مستوىٰ عال .

ملاحظات بشأن علل الاستقالة وشروط سحبها :

١ ـ إنني ومنذ البداية لم يكن لي طمعٌ في المال ولا أُريد التدخل في الشؤون المالية وكل ما أريدُهُ هو ظروف مناسبة للعمل لا أكثر .

٢ ـ ليس لدي الآن ذرة إيمانٍ بتوافر حسن النية عند السيد (. . .) ولهذه الحالة أسباب عديدة أوجدتها ؛ فالمرة الأولىٰ التي أدركت سوء نيته كانت عند

تنظيم النظام الداخلي للمؤسسة وموقفه الفردي بشأنه ، والمرة الثانية كانت لاختياره أحد الموظفين دون استشارة ، والمرة الثالثة في عدم إرجاع الحسابات ، والرابعة في موضوع السيد (. . .) ، والخامسة في سفر مكة وجدة وبعدها في شهر محرم الحرام ، وطريقة تعامله مع السيد (خوانساري) ، ثم في عرقلة تصويب النظام الداخلي ، ثم في قضية احتفالات المبعث النبوي ، والنصف من شعبان ، وإعلان شهر رمضان ، ووضع اجتماعات هذا الشهر . . . وأخيراً قبل عشرة أيام في قضية دعوة الفضلاء ، وإجراء المقابلة التلفزيونية والاتصال حول برامج محرم . . .

أما شروطي . . .

فهي تدور فقط حول إيجاد ظروف مناسبة للعمل ، ليس لي شرط يتعلق بمالٍ ولا مقام فلا أُريد عضويةً في الهيئة التأسيسية ولا الإدارية فأستقيل منها أنا ويستقيل السيد (. . . . .) ، كل ما أريده هو أن توفروا لي أجواءً مناسبة للعمل لمدة أربعة أعوام .

أعتقد أن إنقاذ الحسينية ممكن عبر ثلاثة سبل ، الأول أقدم عليه أنا والثاني السيد همايون والثالث أنتم أيها السادة .

المتعلق بي هو بناء أساس علمي وتبليغي قوي للمؤسسة لا يمكن زعزعته ، والمرتبط بالسيد همايون هو إصلاح النظام الداخلي ، أما أنتم أيها السادة فعليكم إيجاد التنظيمات الدقيقة وفق ضوابط المؤسسة نفسها التي تجري حالياً مناقشتها ، وإن حسن الظن أمرٌ جيدٌ للغاية ولكنه يؤدي إلىٰ تدمير العمل لو وقع في غير محله .

٣ ـ إذا كنتم ترون حديثي عن السيدين (. . . . .) ، (. . . .) ، يعبّر عن حساسية مفرطة فالأفضل قبول استقالتي ، لأن من تسيطر عليه الحساسية المفرطة غير المناسبة يجب أن يُخرج من العمل الإداري ، وأنا أعتقد باستحالة

التحرك في محيط تحكمه نزعةً فردية .

شروط :

١ ـ يجب عدم السماح للسيد (. . .) وجماعته بالتدخل في الاقسام : التبليغي والتحقيقي والإداري .

٢ ـ تُلغىٰ عضويته من هيئة الإدارة .

٣ ـ يجب أن يُقطع كاملاً دابر فتنه (. . .) ، وأن يطرح في هيئة الإدارة رسمياً موضوع إخراجه من الحسينية ويُصادق عليه .

٤ ـ أريدُ أن أرفع مستوىٰ الحسينية إلىٰ ما يتناسب مع المستوىٰ الجامعي ، ولأجل ذلك أريد توفير ظروف مناسبة للعمل ، والاستفادة من المجلس التحقيقي والتبليغي ، والصلاحيات اللازمة لمدة أربعة أعوام .

٥ ـ يجب أن توكل مسؤولية اختيار أعضاء كل قسمٍ إلى رئيس القسم لا إلىٰ الهيئة الاستشارية التي تفتقد الكفاءة والأمانة اللازمة لهذه المهمة .

٦ ـ أريدُ صلاحيات كاملة تجاه الأعمال التحقيقية والتبليغية التي تحتاج إلىٰ الاستعانة بالكثير من المحققين والجامعيين والفضلاء ، ويجب أن أختارهم بنفسي ثم تصادق عليهم الهيئة الإدارية . وإني أُعلن أنه في حالة توفر ذلك ، فسأقدم خلال عامين ثماراً وآثاراً علمية مهمة علىٰ هيئة منشورات وندوات وغيرها تثير الحيرة والإعجاب لدىٰ الجامعة والحوزة علىٰ حدٍّ سواء . وفي نهاية كل عام سأقدم تقريراً بنتائج عملي وتقييمه ، وبعد سنتين إذا كانت الهيئة الإدارية راضية عن عملي تُمدد المدة إلىٰ أربعة أعوام وإلّا فلا . ولتوفير الإمكانات اللازمة ، يجب أن توكل مسؤولية القسم الإداري إلىٰ شخصٍ يتعاون معي أو علىٰ الأقل لا يعرقل أعمالي ، لذلك يجب أن لا توكل هذه المهمة إلىٰ أحد أفراد الجماعة المذكورة .

٧ ـ سحب الاستقالة مرهونٌ بانتخاب كامل أعضاء هيئة الإدارة الذين يجب أن يصل عددهم إلىٰ سبعة أعضاء وانتخاب بديل للسيد جعفري إذا قبلت استقالته .

٨ ـ تعيين عقوبات شديدة للمتخلفين وإخراجهم من مناصبهم كافة : الرسمية أو غير الرسمية في المؤسسة إذا ثبت التخلف في المحكمة .

٩ ـ اجتناب كل تزوير في الأعمال وتشكيل محكمة للمتخلفين .

* * *

النسخة الثانية لاقتراحاتي لمؤسسة حسينية الارشاد (مع تغيير طفيف في العبارات) :

حضرة السيد شريعتي . . .[1]

مع تقديم الاعتذار لعدم قدرتي على الوفاء بموعد الساعة السادسة بعد الظهر ، ونظراً لأنكم علىٰ عجل وإنّكم أفضل من يستطيع توضيح آرائي ، أذكر لكم هذه المقترحات لكي تعرضوها علىٰ السيد همايون في الوقت المناسب .

أولاً : عندما تطالعون هذه المقترحات سترون أني لم أطلب لنفسي فيها أيَّ امتياز ، فكلّها تنصب لصالح المؤسسة ولكي تخرج من صورة مؤسسة فردية خصوصية إلىٰ مؤسسة عامة مفيدة .

إنني أرىٰ أن استمرار الوضع الفعلي في المؤسسة يقودها إلىٰ السقوط الحتمي ـ مع الأسف البالغ ـ

وما أذكره طيّاً هي شروط استمراري في التعاون معها ، وبدءاً من هذا التاريخ ، وإلىٰ حين تحقق الشروط الآتية ، أعتذرُ عن الاشتراك في أي من

---

(١) المقصود هنا هو الأستاذ محمد تقي شريعتي والد الدكتور علي شريعتي .

أعمالها ، سوىٰ في الأعمال التي لم يكتمل إنجازهـا بعد في قسم التحقيقـات والمنشورات والتي تعهدت بإنجازها شخصياً :

١ ـ طبقاً للنظام الداخلي يجب علىٰ الهيئة التأسيسية انتخاب أعضاء علىٰ البدل لها ، وهذا لم يلتزم به عملياً إلىٰ الآن ، فإذا تحقق الالتزام به فأطلعـونا علىٰ ذلك .

٢ ـ يجب أن يرتفع عدد الأعضاء الأصليين في الهيئة الإدارية من ثـلاثة أشخاص الى خمسة ، وفق ما يُجيزه النظام الداخلي للمؤسسة .

٣ ـ يجب تقسيم الأعمال الإدارية والمالية والفنية (العلمية والتبليغية) ، وتفكيكهـا وتعيين مسؤول محدد أو مسؤولين عنهـا كلّاً على حـدة ، وأن تطبق بالخصوص وبدقة الضابطة الأساسية التي صُودق عليها مؤخـراً ، ولا يحق لأيٍّ من هذه الأقسام الثلاثة التدخل في أعمال بعضها البعض والجميع مسؤولون أمام الهيئة الإدارية .

٤ ـ إنتخاب محاسبٍ أمين .

٥ ـ التوقيع علىٰ الـوثائق يجب أن يتم من قبـل ثلاثـة من أعضاء الهيئـة الإدارية كحدٍّ أدنىٰ .

٦ ـ طبقـاً لمـا أقـرتـه الضـوابط المصـادق عليهـا بشـأن العمـل العلمي والتبليغي ، يجب الإسـراع في تشكيل لجنـة من خمسة أشخـاص علىٰ الأقل باسم « اللجنة العلمائية » ، تتمتع بالصلاحيات التي حددتها الضوابط ، وتقوم بالإشراف والمراقبة علىٰ محتويات المحاضرات والمنشورات والكتب وغيرها .

والسادة المحترمون أحرارٌ في اختيار أعضاء على البدل للهيئة التأسيسية ، وأعضاء الهيئة الإدارية واللجنة العلمائية ، فأنا ليس لديّ أي مرشـح أو اقتراح بهـذا الصدد ، ولا أرشـحُ نفسي لأيٍّ منها ، وغـاية الأمـر أن مجالات تعـاوني

ستكون محدودة لو كان المنتخبون لهذه الهيئات غير مناسبين .

ووفق المقترحات المتقدمة ، يجب أن تقدم الهيئة الإدارية الحالية استقالتها وتنتخب هيئة جديدة ، على الرغم من أنه لم يبق سوى شهرين أو ثلاثة على المدة المقررة للهيئة الحالية .

تقبلوا فائق الاحترام

مرتضى المطهري

١٣٤٩/١٢/٢٧ هـ .ش .

« ملخص حديثي خلال اجتماع الهيئة الاستشارية والإدارية للحسينية في يوم (١٣٤٩/١٢/٢٤ هـ .ش) ما بين الساعة ٧ ـ ١٠ بعد الظهر ، وبعد القرار الفردي الذي اتخذه السيد (. . .) خلافاً لمقررات الهيئة الإدارية بشأن برنامج (معرفة الإسلام) » .

الموقرون أعضاء الهيئة الادارية والاستشارية في حسينية الإرشاد :

بسبب حبي الشديد لمؤسسة حسينية الإرشاد التي اكتسبت مقاماً مرموقاً بفضل همم المخلصين وجهودهم وخدماتهم العظيمة المادية والمعنوية ـ والمعنوية خاصة ـ والتي كان لنا فيها سهم وافر . . .



من الطبيعي بسبب ذلك أنْ أرفض توجيه أي ضربة لحيثية هذه المؤسسة . وعلىٰ مدىٰ الأعوام الأربعة المنصرمة اتخذنا مراراً قرارات بضرورة إخراج المؤسسة من صورة مؤسسة فردية خصوصية إلىٰ مؤسسةٍ عامة ، وفي كل مرة تُثار بوجه هكذا قرارات عقباتٌ وعراقيل ؛ حتىٰ كان في المرة الأخيرة أن دُعي عشرون شخصاً لنقد ماضي المؤسسة وتقديم خطط جديدة لمستقبلها ، ونجحت هذه المهمة إلىٰ حدٍّ ما وتمت المصادقة علىٰ الخطط الجديدة ، وحينها قلتُ صراحةً إنّ استمرار عملي مع المؤسسة مرهونٌ بتنفيذ الخطط الجديدة ؛ ولكني كنت أرىٰ أن هذه أيضاً كالخطط والمشاريع السابقة تُوضع في ملفات النسيان ، ولهذا قررتُ الصبر إلىٰ انتهاء مدة عمل الهيئة الإدارية الحالية ، وأن أرهن استمرار تعاوني مع الهيئة الجديدة بالشروط التي سأذكرها لاحقاً ، فلم أرغب في إنهاء الأمر بالاستقالة ، وفي غضون ذلك قللت خلال الأشهر الثلاثة الماضية من حجم العمل ، فلم ألتزم خلال الفترة ما بين شهري رمضان ومحرم الحرام بأي برنامج ، ولم أشارك في سفر الحج ، وفي شهر محرم الحرام وافقت علىٰ إلقاء محاضرتين فقط ؛ حتىٰ اكتشفتُ خلال أيام محرم أنه وعلىٰ الرغم من رفض الهيئة الإدارية والاستشارية ، وعلىٰ رغم تحذيراتي ، فإن هناك جهوداً لاستغلال اجتماعات عاشوراء العظيمة ، وتنفيذ ما يشبه المؤامرة الانقلابية لإحداث تغييرات أساسية في مختلف الشؤون المالية والتبليغية والعلمية في المؤسسة ، ووضعي وسائر أعضاء الهيئة الاستشارية وعبر عملٍ سريع أمام واقع قائم وأمر قد تم عملياً وهو ـ فضلاً عن سائر نقائصه ـ يمثل إلغاءً لكل القرارات السابقة .

لقد اكتشفت هذا الأمر ليلة العاشر من محرم ويومها ، ومن أجل أن أتجنب السقوط في المسؤولية عنه ، وحيث رأيت أن حيثية المؤسسة أصبحت لعبةً تتقاذفها الأهواء النفسانية لشخص واحد ، لم أجد مناصاً من الامتناع عن الاشتراك في اجتماعات الحسينية عسىٰ أن يكون في ذلك تحجيم وتطويق لآثار

تلك المؤامرة ، لذلك امتنعتُ عن إلقاء محاضراتي في ليلتي (١١ ، ١٢) محرم ، علىٰ الرغم من الإعلان المسبق عنها في الصحف والإعلان عبر الواجهة الضوئية وعبر المايكروفون ، وبعد هذه الحادثة المؤسفة قررت تقديم شروط مواصلة العمل التي كنت أزمع تقديمها بعد انتهاء فترة عمل الهيئة الإدارية الحالية ؛ ولحسن التوفيق فإن فيما وقع[1] ما زاد وضوح بعض القضايا التي دفعتني لقرار طرح الشروط ، وزاد إيماني بها ، حيث اتضح أن هناك تياراً مشبوهاً وخفياً في الأمر أسأل الله أن يفضحه .

أما اقتراحاتي فهي :

١ ـ تعيين أعضاء علىٰ البدل لأعضاء الهيئة التأسيسية .

٢ ـ رفع عدد أعضاء الهيئة الإدارية من ٣ إلى ٥ أعضاء .

٣ ـ التقسيم والتفكيك الجاد للأعمال الإدارية والمالية والفنية (العلمية والتبليغية) .

٤ ـ التنفيذ الدقيق للضوابط التي تمت المصادقة عليها مؤخراً لا سيما فيما يرتبط بانتخاب اللجنة العلمائية الجامعة للمواصفات المطلوبة لقيادة هذه المؤسسة من الناحية الإسلامية .

٥ ـ انتخاب محاسب أمين ووضع حدٍّ للإشاعات التي أُثيرت مؤخراً حول الحسينية .

٦ ـ يجب أن تحمل الوثائق والصكوك ثلاثة تواقيع بدلاً من اثنين .

٧ ـ ويُضاف إلىٰ ما تقدم فإنه بقبول المقترحات المتقدمة يتم القضاء علىٰ « المؤامرة » الأخيرة .

---

(١) لو كانت الهيئة الادارية والاستشارية حازمةً في التعامل مع التجاوزات السابقة لما آل الأمر إلىٰ وقوع مثل هذه الحوادث. ـ من هامش للأستاذ المطهري ـ

لقد أرسلتُ هذه المقترحات إلىٰ السادة بواسطة السيد « شريعتي » ، وبكامل الأسفِ من جهة وكامل السرور من جهة أخرىٰ ، اطّلعتُ فيما بعد علىٰ أن القضية الأساسية في المؤسسة وهي قضيةُ انتخاب أعضاء البدل لأعضاء الهيئة التأسيسية ، تم الحديث عنها مسبقاً ، وتمّ انتخابهم بصورة سرية ودون استشارة الاشخاص الذين وقفوا أموالهم وأنفسهم وحيثيتهم للمؤسسة ، وما زال الأمر سرياً يرفضون الكشف عنه ؛ وهذا الأمر بحدٍّ ذاته يعتبر مبرراً كافياً لي ولسائر المتعاونين لترك العمل ، إذْ إن الاستمرار يصبحِ أمراً غير معقول أصلاً لأن غاية الظلم وعدم الرجولة ـ إن لم نقل كامل الخيانة ـ أن يستبعد من الاستشارة بل وحتىٰ الاطلاع علىٰ هذا الأمر الأساسي أشخاص وقفوا كل وجودهم للخدمة في هذه المؤسسة . هذا أولاً .



وثانياً : كيف يُعقل أن يخدم أشخاصٌ مثلي في مؤسسة لا يعرفون مَن المتحكم بها خلف الأستار ؟! نحن لا نشك أن السيد همايون يختار مَنْ يراه مؤمناً صالحاً أميناً ، ولكن انتخابه السابق لبعض الزملاء أثبت أنه يخطىء الاختيار أحياناً .

وعلىٰ أي حالٍ فإن من الضروري اللازم لمن يريدون الاستمرار في العمل مع المؤسسة أن يعرفوا شخصياً المسؤولين الأعلىٰ منهم فيها ليكون عملهم عن اطمئنان ، فلعل هناك أفراداً خلف الأستار يعتبر وجودهم في المؤسسة انهياراً لها وللعاملين فيها .

ومع كامل الأسف ، يبدو أن السادة ليسوا مستعدين لتحمل وجود خمسة أشخاص من العلماء الأتقياء العارفين بأمور وشؤون العصر في هذه المؤسسة التي تحمل اسماً إسلامياً ، وهذه الحالة تجعل العمل صعباً وتوجب ظهور سوء الظن .

ولما تقدم أعتقد أن الأمر قد وصل إلىٰ طريق مسدود ، وإن كان هناك سبيل حلٍّ فأوضحوه .

توجد الآن مشكلتان مستعصيتان تجعلان العمل في المؤسسة أمراً غير عقلائي ويخالف الحكمة ويخالف العقل والحزم حسب وجهة نظري ، كما أنه من الناحية الشرعية من موارد الشبهة التي يجب الاحتياط والتحرز تجاهها .

المشكلة الأولى : مجهوليةُ هوية أعضاء البدل في الهيئة التأسيسية ، وهم المتحكمون بالمؤسسة مستقبلاً وإن كانوا مستترين حالياً خلف الكواليس ، وهؤلاء ـ طبق القاعدة الغالبة ـ إما أن يكونوا من أصحاب منطق القوة الذين لا كرامة لهم ، أو المرتبطين « بجهات ما » ، أو أن يكونوا من الضعفاء المطيعين للأوامر ، أو من كليهما .

والمشكلة الثانية : تكمن في امتناع المؤسسة عن قبول لجنة علمائية

رفيعة المستوىٰ للإشراف علىٰ عملها ، وإنكار وجود خمسة أشخاص في إيران كلها قادرين علىٰ إدارة مؤسسة دينية والإصرار علىٰ اشتراك غير العلماء في هذه المهمة .

وحيث أني أحد هؤلاء فهذا يعني أن السادة قد أعلنوا مسبقاً عدم صلاحيتي ، ومع فقدان مثل هذه اللجنة يصبح الاستمرار في العمل مع المؤسسة أمراً غير عقلائي ، لأن من غير المعلوم الاتجاه الذي نسيرُ فيه باسم الإسلام ؟! وهو أمرٌ غير مشروع إسلامياً أيضاً لأنه من موارد الشبهات ، ومجهولٌ لا تُعلم حقيقته .

وإذا لم يقبل السادة باقتراحاتي المنطقية هذه التي لا يوجد فيها اقتراح واحد نفعي ، بل على العكس فإنها تحددني أكثر ، فليقترحوا سبيلاً لانفصالنا يكون أقل مفسدةً لكلا الطرفين ، كأن أكتب استقالتي ويقبلها السيد همايون مشكوراً ، ويكون الأمر علىٰ كل حالٍ مقروناً بالاتزان .

الأصدقاء الأع٢٠٨ي الهيئة الإستشارية لحسينية الارشاد وفّقهم الله لما يحب ويرضى.

مع تقديم الاحترام ، إبلغ الإخوة ، أن تقرير الاجتماع المؤرّخ في (الشهر الثاني لسنة ١٣٥٠ هـ .ش) ، الذي عقدته الهيئة المحترمة بمشاركة السيد (. . .) عضو الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية للحسينية ، قد وصلني في تلك الأيام نفسها بواسطة صديقي العزيز السيد (. . .) من أجل إبداء وجهة نظري بشأن محتوياته ، وبعد أسبوع أي بتاريخ (١١،٢،١٣٥٠) كتبت رأيي بالقرارات الواردة في تقرير ذلك الاجتماع إضافةً إلىٰ بعض الأطر العامة حول مسار المؤسسة وأرسلت رسالتي إلىٰ الهيئة وطلبت إطلاع الدكتور علي آبادي والسيد همايون عليها ، وتمنيت أن تحفظ الرسالة في أرشيف المؤسسة ولكني مع الأسف علمتُ فيما بعد أن السيد (. . .) قد ذكر أن الرسالة فقدت ولم

يطّلع عليها لا الدكتور علي آبادي ولا السيد همايون ، بل إنهما لا يعلمان بوجود مثل هذه الرسالة أصلاً .

ونظراً لوجود بعض الإشاعات أرغبُ في وضع آرائي هذه مكتوبة تحت تصرف الأصدقاء والإخوة ، وإذا رأيتم في الأمر صلاحاً فأرسلوا نسخةً منها إلىٰ السيد الدكتور علي آبادي والسيد همايون ، وإن لم تروا صلاحاً في ذلك فلا تطلعوهما الآن .

وقد كتبت هذه الرسالة عن مسودة الرسالة السابقة نفسها ، فالمحتوىٰ واحد وإن اختلفت العبارات بعض الشيء .

أصدقائي الأعزاء . . . لقد قرأت بدقة مقررات اجتماع (٤،٢،١٣٥٠) وهي تعتبر بحق خطوة مفيدة ومؤثرة تحكي عن حسن نوايا جميع المشتركين « شكر الله مساعيكم الجميلة وأعانكم وسدد خطاكم » .

وقبل أن أوضح وجهة نظري ، أذكر بقضية ترتبط بالأيام الأولىٰ ، فقبل حدود الخمسة أعوام ، وعندما كنت أنا والسادة همايون ، و (. . . . .) ، والمرحوم شاهچراغي نفكر بوضع اللبنات الأُولىٰ لهذه المؤسسة ، لم يكن أيٌّ منّا يتصور بأن المشروع الذي بدأنا به سيصل إلىٰ ما وصل إليه بهذه السرعة ملقياً علىٰ عواتقنا هذه المسؤولية الخطيرة ، وكنّا في واقع الأمر نستشعر شدة الحاجة لمثل هذه المؤسسة في هذا العصر .

في الأيام الأولىٰ وعندما كنا أنا والسيد همايون نبحثُ عن قطعة أرض لبناء المؤسسة عليها ، رأينا قطعتي أرض إحداهما في شارع (آمل) والأخرىٰ قرب (سيد خندان) ، وأُعجبنا بها رغم أنّ أيّاً منهما لم تتجاوز الألفي متر، وهذا دليل علىٰ أننا لم نكن نتوقع أن تصبح المؤسسة بهذه العظمة بحيث أن مساحتها الفعلية لا تسعها .

في ذلك الوقت لم يكن هناك مَنْ يتصور أن هذه المؤسسة ستنمو خلال

أربعة أعوام بهذه السرعة ، وتترك آثارها علىٰ كل البلد وعموم فئات الشعب ، فيحسب حسابها مراجع التقليد والمسؤولون الحكوميون .

ولما تقدم فلا عجب أن تجدوا حالات من (عدم توقع بعض الأمور) ، يُضاف إلىٰ ذلك أن الأعمال البشرية بطبيعتها تضم نواقص ترتفع بـالتدريـج ، وإذا ما سعت المؤسسة الموقرة لحسينية الإرشاد في رفـع نقائصهـا فهذا دليـلُ كمالها ووعي المسؤولين عنها قانـونياً ، مثلمـا أن الإشاعـات والافتراءات التي يثيرها ضدها المنحطّون والمنهزمون هي برهان قوتها وكمالها لا ضعفها .



أما حول آرائي بشأن قرارات الاجتماع المذكور فهي :

١ ـ لوحظ نقصٌ فنيٌّ فيها ، وهو أنه على الرغم من عدم توافر حضور أكثرية الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية نصّت القرارات علىٰ : « تقرر أن تكون المصوبات المذكورة أساساً لتبين منهاج عمل حسينية الإرشاد ، وأعضاء الهيئة الإدارية الرسميون مكلفون بتنفيذها ، كما يجب علىٰ الهيئة التأسيسية إنجاز الأمور المتعلقة بها من المصوبات » .

في حين كان يجب أن يضاف قيدٌ هو أنها واجبة التنفيذ بعد مصادقة الهيئة التأسيسية عليها ، أو علىٰ الأقل أن توكل إلىٰ مراجعة السيد همايون ، وعلىٰ أي حال ولكون الجو الحاكم علىٰ المؤسسة حالياً هو المودة وحسن النية ، فإن مثل هذا النقص الفني لا يضر كثيراً .

٢ ـ تقول المادة الأولىٰ من المصوبات : « بالاستفادة من مواد النظام الداخلي التي أعطت صلاحيات للهيئة التأسيسية ، وكذلك المواد الإصلاحية الملحقة بالنظام الداخلي ، تقرر رفع عدد أعضاء البدل للهيئة التأسيسية من ثلاثة إلىٰ خمسة ، ويُستحصل في انتخاب هؤلاء تأييد الهيئة الاستشارية » .

وعلىٰ هذه هناك **أولاً** : ليس هناك في مواد النظام الداخلي ما يُستفاد منه مثل القرار المتقدم ، فالمادة (٦) منه تصرح بأن كلّ عضوٍ من أعضاء الهيئة التأسيسية يحق له انتخاب عضو واحد علىٰ البدل فقط ، يُضاف إلىٰ ذلك أن من غير المعقول أن ينتخب ثلاثة أعضاء خمساً بدلاً عنهم فهذا يعني أن ينتخب كلّ منهم عضواً و ٢ / ٣ من العضو .

والسبيل الوحيد لإنجاز ذلك هو تغيير النظام الداخلي في الطبقة الثانية فيما يرتبط بعدد أعضاء الهيئة التأسيسية ، وهذا الأمر أجازه النظام الداخلي في غير المادة (٢) المرتبطة بموضوع المؤسسة .

وقد يقع توهم أنّ ذيل المادة (٦) يعطي للهيئة التأسيسية الصلاحية اللازمة

التي يمكن بها إحداث هذا التغيير دون التعرض لأصل مواد النظام الداخلي خلال ٣ أعوام ، ولكن هذا التوهم باطل لتعلق الصلاحية بموضوع آخر ولانقضاء مدة الصلاحية المذكورة .

ثانياً : وحيث تسعىٰ الهيئة التأسيسية للاستفادة من صلاحياتها الآن فيرفع عدد الطبقة الثانية ، لماذا لا تكمل براهين حسن نيتها وتضحويتها فترفع عدد الطبقة الأولىٰ أيضاً ؟!

الأفضل أن يبادر المؤسسون الموقرون إلىٰ رفع هذا العدد إلىٰ خمسة أشخاص فيبرهنوا بذلك ذروة الإخلاص ، وبديهيٌّ أن المعنىٰ القانوني لـ « المؤسس » غير المعنىٰ اللغوي ، فالقانون لا يشترط صدق المعنى اللغوي علىٰ مَنْ أدّى الواجب تحت هذا العنوان ، ولهذا فإن مواد النظام الداخلي تسمي الذين يُحصّلون قانونياً هذه السمة فيما بعد بنفس اسم « الهيئة التأسيسية » ، وعلىٰ هذا فليس هناك أيُّ مانع قانوني من رفع أعضاء الهيئة التأسيسية من ٣ إلىٰ ٥ في الوقت الحاضر .

وثالثاً : ومن الضروري اللازم أن يوضع في المواد الاصلاحية القادمة قيد يوجب إلزاماً أن يكون أحد أعضاء الهيئة التأسيسية في كلا الطبقتين (الأصلية أو علىٰ البدل) ، من المجتهدين الأتقياء والواعين والعارفين بمقتضيات العصر .

ومعلومٌ أن انتخاب هذا الشخص في كل طبقة يكون باتفاق الأكثرية في الهيئة التأسيسية والهيئة الادارية وليس من قبل المجتهد الأول ، وإضافةً لذلك لا يكون لرأيه أيّ امتياز أو رجحان علىٰ آراء الآخرين ، والحكمة من ذلك بصورة عامة ، هي أن وجود عالم روحاني جامع للشرائط اللازمة في أعلىٰ هيئة قانونية لأي مؤسسة دينية هو أمرٌ ضروري ، وبالنسبة لهذه المؤسسة بالخصوص ، فهو أنه يدحض أيَّ توهم بأنها ترىٰ نفسها غنيةً عن الحوزة وعلمائها .

٣ ـ فيما يتعلق برأي الهيئة الاستشارية الذي أُشير إليه في موارد مختلفة

وأشكال مختلفة ؛ ففي مورد انتخاب الأقسام تم التصريح باعتماد رأي الأكثرية في الهيئة الإدارية الرسمية والهيئة الاستشارية ، وفي موارد انتخاب أعضاء البدل للهيئة التأسيسية وكذلك في انتخاب العضوَين اللذين تقرر إضافتهما للهيئة الإدارية ، وردت عبارة « يُستحصل تأييد الهيئة الاستشارية » ، أما في مورد انتخاب أعضاء الهيئة العلمائية الدينية للحسينية فلم يُشر أصلاً إلىٰ استحصال تأييد الهيئة الاستشارية ، هذا في حين أن السيد (. . . . .) أخبرني أن القرار هو أن يكون للهيئة الاستشارية رأيٌ في جميع هذه الموارد ، ومعلومٌ أن ذلك لا يصدق على مجرد الحصول علىٰ التأييد ، إذ ان صاحب الرأي يمكن أن يكون له دورٌ حاسمٌ وإلا فلا .

٤ ـ فيما يرتبط باشتراك اثنين من الهيئة الإدارية في الهيئة العلمائية الدينية ، وعلىٰ الرغم من أني أعتبره غير منطقي إلا أني لا أعارضه نظراً لإصرار بعض الأصدقاء .

٥ ـ ينبغي في تنفيذ القرارات أن تجتنب أي صور الروتين والشكليات الورقية ، فمثلاً عند انتخاب الهيئة العلمائية الدينية يجب توفر الحد الأدنىٰ لمراتب الاجتهاد في المنتخب ، وبالطبع لا ينبغي توقع مشاركة علماء الدرجة الأولىٰ أو الثانية ، ولكن يمكن انتخابهم من بين الطبقة المعروفة في الحوزات العلمية بمدرِّسي السطوح العالية يعني (المكاسب والكفاية وشرح المنظومة) ، وإذا توفر جو سليم باعثٌ للاطمئنان في الحسينية يمكن دعوة أشخاص للتعاون .

٦ ـ إن الهيئة الاستشارية التي استطاعت الحصول على ثقة الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية من المناسب أن تُسمىٰ « هيئة الأمناء » عبر مادة تُلحق بالنظام الداخلي ، وأن يكون لها حق الرأي في القرارات من قبيل انتخاب أعضاء بدل للهيئة التأسيسية أو الإدارية أو هيئة علماء الدين أو في المصادقة علىٰ الميزانية .

٧ ـ من أجل مواجهة معارضيها المغرضين ، ومن أجل رفع سوء التفاهم مع المعارضين غير المغرضين ، ومن أجل جبران وتلافي آثار بعض الأخطاء السابقة تحتاج مؤسسة حسينية الإرشاد إلىٰ الظهور بصورة جديدة بالكامل ليعرف الجميع أن تاريخ المؤسسة قد بدأ صفحة جديدة .

وختاماً أرىٰ من الضروري أن أوضح وجهة نظري بصورة كاملة تجاه موضوعين لكيلا يبقىٰ أيُّ إبهامٍ بشأنهما :

الف ـ الحوزويون :

يعربُ أصدقاء الحسينية أو مدّعو صداقتها ـ علىٰ الأقل ـ عن وجهات نظر متباينة فيما يتعلق بحدود ارتباط المؤسسة واعتمادها علىٰ الحوزويين ، ووجهات النظر هذه هي إما آخذة جانب الإفراط أو جانب التفريط حسب عقيدتي ، وهم يطلبون وجهة نظري فيما أسمع أحياناً أنّ طرفاً يفسر رأيي بهذا الموضوع حسب ميوله ، لذلك أرىٰ من الضروري أن أوضح وجهة نظري بهذا الشأن :

إنني ما زلتُ ومُنذ عشرين عاماً ـ أي منذ أن وصلت إلىٰ مرحلة الاستقلال الفكري ـ مناصراً حازماً للحوزة ومنتقداً لها في آنٍ واحد ، مناصراً ومدافعاً جاداً عنها وهي أصلي ومنطلقي ، ففخري الوحيد هو دخولي هذا المسلك ، ففي الحوزة وجدتُ أشرف وأزكىٰ الأشخاص ، الحوزة هي (نسبياً) وريثة ثقافة الـ (١٤٠٠) عاماً الاسلامية هكذا أرىٰ الحوزة وأرىٰ نفسي سنبلةً في بيادرها العظيمة .

وكنتُ وما زلتُ أعتقد ضرورة بقائها وحفظها فلا يمكن لشيءٍ أن يقوم مقامها ، وأعتبر شعار « إسلام بدون حوزة » شعاراً استعمارياً .

وفي الوقت نفسه فإني شخصٌ منتقدٌ « لحوزتي » ، أعتقدُ بوجوب إحداث إصلاحات فيها ؛ كثيرون هم غير الكفوئين الذين تلبّسوا بزي الحوزويين المقدس ، فلا ينبغي الانقياد الأعمىٰ لأمثال هؤلاء الذين يدّعون تمثيل الحوزة

قبل الحوزويين الحقيقيين .

إن أقوالي وكتاباتي خلال العشرين عاماً المنصرمة موجودة ، والمتعلق منها بهذا الموضوع يتمحور جميعه حول هذين الأصلين ، المناصرة والانتقاد .

وعلىٰ هذا فإن وجهة نظري حول موضوع علاقة مؤسسة الحسينية بالحوزة تتمحور حول وجوب ولزوم الاستفادة من الحوزويين الحقيقيين ، وحول وجوب ولزوم المقاومة العنيفة للمتلبسين بالزي الحوزوي المقدس الذين استغلوا مزاياه دون أن يمتلكوا شيئاً من العلم والتقوىٰ وهما علامة الحوزويين الحقيقيين

ب ـ المتعلمون بالتعليم الجديد :

لحسن التوفيق ، وُجدت في العصر الحاضر فئةٌ جديدة ، متعلمةٌ وفق الثقافة الجديدة الغربية من جهة ، ومن جهة أخرىٰ لها مطالعاتٌ ودراساتٌ إسلاميةٌ وتعلقٌ بالإسلام ، وهي تعرض وتبلّغ الإسلام وفق المعايير الجديدة ، ومن الطبيعي أن تحظىٰ بإقبال جيل الشباب المسلم بالفطرة من جهة والذي تجذبه من جهة أخرىٰ المعايير الغربية الجديدة .

وهناك أيضاً فيما يرتبط بهذه الفئة الآخذة بالنمو والانتشار آراءٌ متباينة تقعُ في الإفراط والتفريط ، وقد طُلب منّي مراراً إبداء وجهة نظري بهذا الصدد .

وأرىٰ من الضروري إبداء وجهة نظري في هذا الموضوع من زاوية علاقة الحسينية بهذه الفئة خاصةً وأنها تحولت اليوم إلىٰ ظاهرة اجتماعية .

إنني مع الاستفادة المشروطة من هذه الفئة ؛ وقد انتفعت مؤسسة حسينية الإرشاد في السابق منها استجابةً لاقتراحٍ منّي وبموافقتي .

هذه الفئة يمكن أن تكون حلقة الارتباط بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية ولكن شريطة أن تكون البرامج والنشاطات التي تنفّذها هذه الفئة خاضعة لإشرافٍ دقيق ومراقبة كاملة يقوم بها أشخاص تربوا بالكامل علىٰ الثقافة

الإسلامية ولهم اختصاصٌ في العلوم الإسلامية : تفسيراً وفقهاً وأصولاً وكلاماً وفلسفةً وأدبيات .

وبدون هذا الإشراف الدقيق والجاد فإن أضرار نشاطات هذه الفئة ستكون أكثر من منافعها .

هذه هي آرائي بشأن قرارات اجتماع (١٣٥٠/٢/٤) إضافة إلىٰ وجهات نظري بشأن موضوعين أساسيين تواجههما الحسينية حالياً ويرتبطان بمسارها ومنهاجها .

وفي الختام أُلفت انتباه الأصدقاء الاعزّاء في الهيئة الاستشارية الذين وافقوا علىٰ التعاون مع مؤسسة الحسينية بناءً علىٰ طلبي ، إلىٰ أنني وبملاحظة شأني الحوزوي وسابقتي في مسؤوليات هذه المؤسسة الموقرة لديّ واجبٌ خاص بي ، ولهم واجبٌ آخر ، وعلىٰ هذا فلو لم توافق الهيئة التأسيسية علىٰ شروطي وأصبحت معذوراً عن مواصلة العمل مع المؤسسة ، فإن ذلك لا يعتبر مانعاً عن مواصلتهم العمل فيها .

إنني سواءٌ واصلت العمل مع المؤسسة أم لم أواصل ، فإني في كلا الحالين أتمنىٰ لها مزيد الموفقية والسمو والحفظ وأدعو الله أن يحفظها من لسعات شياطين الإنس والجن ؛ إنني أُشهدُ الله علىٰ أني أعيش في هذه الأيام في صراعٍ مستمرٍ عنيف مع نفسي ، وأسأل الله تعالىٰ علىٰ الدوام أن يحرسني من شر النفس الأمّارة بالسوء ، وأدعوه وهو ملهم الخيرات أن يُجري علىٰ لساني وقلمي دائماً ما فيه الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٣٥٠،٤،٣ هـ .ش

مرتضىٰ المطهري

« علىٰ هـامش مباحثـات اجتماع يـوم الثلاثـاء (٦، ٧، ١٣٥٠ هـ . ش) الساعة (٢٠ ـ ٢٣) في حسينية إرشاد » :

١ ـ الطرح الذي عُرض في الاجتماع في موضوعه موردُ قبـولٍ ويستحق الشكر والتقدير .

٢ ـ القـرار بشأن « المجلس العلمـائي الأعلىٰ » للحسينية ، يُتخـذُ بعـد تسجيل الطرح الجديد وإلحاقه بالنظام الداخلي وبعد تنفيـذه وتشخيص أعضاء هيئة « الأمناء » والهيئة الإدارية ، إذْ إنّ أي شخصٍ يُدعىٰ لعضوية هذا المجلس يريد أن يعرف هوية الأشخاص الذين سيتعامل معهم في الحسينية ، وهـذا أمرٌ طبيعيٌّ يعتبره أول شيء تجب معرفته .

٣ ـ لقد افترضت أن أصدقائي الأعزّاء وزملائي يحظون بالتأييد من جهة الهدف الذي سعينا وما زلنا لتحقيقه ، ومن جهة الوعي وتشخيص السبـل التي نتبعها للوصول إلىٰ الهدف ، وكذلك من جهة توافر التقـوىٰ فيهم وخلوهم من النقائص في الأخلاق الاجتماعية .

كما افترضت أن الأصدقاء عارفون بالمشكلات العظيمة للحسينية واحتياج رفعها للشجاعة والتضحيات ، وبالتالي نعيشُ جميعاً الهم نفسه ونستشعر الألم نفسه .

أمـا إذا كان الأصـدقـاء يشكّـون في كفـاءتنـا العلميـة والمعنـويـة ، ولا يستشعرون بالآلام التي نستشعر بها ، فـإن ذلك يعني انعـدام الأرضية الـلازمة للتعاون والعمل المشترك ، وعندها لا ينبغي إتلاف الوقت .

٤ ـ بعد انتخاب أعضاء هيئة الأمناء والهيئة الإدارية وأعضاء علىٰ البـدل للهيئة التأسيسية ، إذا كان ذلك بشكل يحرز الرضا ، فالأصل أني عندها سأكون مستعـداً للتعـاون مـع المؤسسـة في حـدود الاشتـراك في اجتمـاعـات الهيئـة الاستشارية والتصدي لمسؤولية قسم النشر في الحسينية .

أما إذا تقرر أن أقبل بمسؤولية بشأن المجلس العلمائي ، فهذه الحالة فرعٌ ، والأصل أن يكون زملائي أشخاصاً ذوي كفاءة ، وسأقترح أسماء اثني عشر نفراً لانتخاب أربعة . .

٥ ـ يجب حتماً أن يكون أعضاء المجلس العلمائي معروفين بالتقوىٰ ، عارفين بأحوال وأوضاع الزمان وشؤونه ، مطلعين علىٰ مقتضيات العصر وتياراته ، وأن يكونوا من ناحية المقامات في العلوم الإسلامية بدرجةٍ تكون معها شخصيتهم العلمية مورد قبول وتأييد الحوزات العلمية ، فلا نريد مجلساً تشريفياً شكلياً ، بل نريد ، دعامةً حقيقية لا تقوم بتنظيم عمل الحسينية وحسب بل تكون قادرةً علىٰ استقطاب ثقة الآخرين أي أن تتوافر فيهم درجة الاجتهاد كحدٍّ أدنىٰ .

لا ينبغي أن تكون في المجلس نقطة ضعف علمية أو أخلاقية من جانب أعضائهِ ؛ إن زملاءنا في المجلس يجب أن يكونوا بمستوىٰ إعطائنا قوةً إضافية لا



أن يأخذوا قسماً من قوانا ، وفي هذه الصورة يمكن للمجلس النجاح .

٦ ـ إذا كان السادة عارفين بمشكلات العمل ، فعليهم أن يعرفوا أن المرحلة الجديدة تحتاج إلىٰ صورة جديدة بالكامل ، وقد يصبح ضرورياً أن نوضحها في بيان عام .

٧ ـ القرار بشأن البرامج الجديدة لشهر رمضان مبارك باشتراكي وباشتراك الأصدقاء المطالَبين بالإصلاحات ، مرهون بتشكيل المجلس العلمائي ، وهذا مرهونٌ بانتخاب هيئة الأمناء والهيئة الإدارية والأعضاء علىٰ البدل للهيئة التأسيسية ، وبملاحظة اقتراب حلول الشهر المبارك ، وأن هناك أشخاصاً قد تمّت دعوتهم من قبل ، لكل ذلك تبقىٰ برامج الشهر المبارك علىٰ الشكل الذي أُتخذ القرار بشأنه سابقاً ، وتوكل الدورة الجديدة إلىٰ ما بعد الشهر المبارك .

٨ ـ لم أكن في السابق ملتفتاً إلىٰ حدود مسؤوليتي ، ولكنّ التجارب عرّفتني بها ، وإني وفي حدود مسؤوليتي التي وصلتُ إليها بفضل التعاون ، يجب أن تتوفر لي الإمكانات القانونية والعملية اللازمة ، وهذه الحقيقة نبّهني إليها بعض الأعاظم .

* * *

اقتراحات :

١ ـ أُريدُ وبصورة أخوية وودّية التذكير بالموضوع الذي قلته قبل ثلاثة أعوام ؛ لقد قُلت حينها إنّ هناك احتياجاً لي هنا أيضاً . . .

وأضيف هنا أنّ أحوالي الروحية تختلف حالياً عما كانت عليه آنذاك ، ولديّ الآن تجارب وخبرات لم تكن لدي في السابق .

٢ ـ إنّ أحوالي الروحية الحالية التي لا أرغب في الحديث عنها واطّلاع أحدٍ عليها ، تدفعني بقوة إلىٰ التفرغ لنفسي وإصلاحها ، وإلىٰ أن أضع نفسي

تحت تربيةٍ روحية لدى بعض الأشخاص الذين أُؤمن بهم ، وهذا الأمر يحتاج بشدة إلىٰ هدوءٍ كامل ، لـذلك لا أرغب في الاشتـراك في أعمال تجلب عليّ الضجيج العقيم الذي لا طائل منه ، وبالطبع فإن هذا الأمر لا يتعلق بالنشاطات الجهادية الحكيمة ، فلهذه قصةٌ أخرىٰ .

أمـا الخبرات التي تعلمتهـا ، فهي : أني في السابق لم أكن ملتفتـاً إلىٰ حدود مسؤوليتي ، ولهذا ومن الآن فصاعداً إذا أردتُ العمل والتعاون فيجب أن تكون إمكاناتي القانونية والعملية متناسبة مع حدود مسؤوليتي .

٣ ـ وحول أسلوب العمل ينبغي أن أقول إنّ التعاون يكون ممكناً عنـدما نكون في ظروف متساوية ، سواءٌ من جهة هيئة الأمناء أو الهيئة الادارية .

٤ ـ أنا لا أتطوعُ لعضوية المجلس العلمائي ، ولكن وعلىٰ أي حالٍ سواءٌ اشتركتُ فيه أم لم أشتـرك ، يجب أن يكون هـذا المجلس بمستوىٰ يؤهله لأن تقتنع الحوزات العلمية به باعتباره مركزاً اجتهادياً ومجلساً اجتهادياً .

لقد كنا أصحاب اقتراح تشكيل « مجلس الإفتاء » (وإن كنّا الآن لا نسميه بهـذا الاسم) ولكن إذا أعطينـا نقطة ضعف في المجلس العلمـائي فإن ذلـك سيزعزع قرارات المؤسسة ويُسقط اقتراحنا وفكرتنا تلك .

٥ ـ فيما يتعلق بالشخص الذي رشّحتموه ، فإن يصلح لكي نوليه مسؤولية أساسية وكبيرة إذا كان ما نريدُهُ هو تأسيس « مجلس تبليغي » ، ولكن لا يمكن انتخـابه في « المجلس العلمـائي » الذي نـريدُهُ أن يكـون بمستـوىٰ « مجلس الافتاء » .

٦ ـ وخلاصة وجهات نظري هي أنني لن أستطيع التعاون والعمل معكم بدون استقطاب جناح العلماء الواعين ، هذا الجناح وخلافاً لتصوركم لا ينقـاد إليّ انقيـاداً أعمىٰ فإذا جئتُ جـاؤوا . إن أعضاء هـذا الجناح أيضـاً مستعدون للتعاون ، ولكن بشروط أيضاً هي أن يكون لديهم ممثلٌ منهم في هيئة الأمناء ،

وممثلٌ في الهيئة الإدارية ، وأن تُدار البرامج والنشاطات تحت إشراف هيئة علمية وليس تبليغية صرفة ، وأعضاء هذا الجناح أيضاً يعرفون أن العمل مع هذه المؤسسة يستتبعُ مسؤوليةً عظمىٰ تتوجه إليهم .

إن المجلس العلمائي هو مجلسٌ علميٌّ وليس تبليغياً ليكون الشيخ « الفلسفي » مرشحه الأصلح .

السيد الطالقاني جيدٌ لهيئة الأمناء والهيئة الإدارية .

وحسب وجهة نظر أعضاء الجناح المذكور فإن الاشتراك في عمل المؤسسة لا يعني الاشتراك في مجلس عزاء حسيني ، بل اتخاذ خندق لمواجهة الأجنحة والتيارات الأخرىٰ التي شاهدنا بأعيننا اتساع وخطورة دعاياتها .

وبناءً علىٰ ما تقدم يجب أن نكون واثقين من خندقنا بحيث نطمئن أن لا يصيبنا خنجر غادر من الخلف ، ولهذا فإن أعضاء ذلك الجناح وما لم يطمئنوا من وضع الهيئة التأسيسية وهيئة الأمناء والهيئة الإدارية والمجلس العلمائي الأعلىٰ ، فلن يكونوا على استعداد للتعاون والعمل هنا ، وحتىٰ إذا جئت أنا فسيتركونني وحيداً ؛ وحسب وجهة نظري فإن مطالبهم منطقية ، في الماضي كان حالنا كحال الفلسطينيين الذين تخندقوا في الأردن فهاجمتهم حكومتها .

وأنتم إما أن تكونوا ترون فينا كفاءةً (أخلاقيةً وعلمية) ، أو لا ترون فينا ذلك ، فإذا كان الحال هو الثاني ، فلنتصافح هنا ونفترق وإذا كنتم ترون فينا هذه الكفاءة فوافقوا علىٰ مطالبنا المنطقية التي لا تخرج عن حدود الإمكانات المتوفرة .

أما بالنسبة للأشخاص الذين أجدُ فيهم كفاءة ومواصفات العضوية في المجلس العلمائي الأعلىٰ ، واحتمل قبولهم بها وليس هناك مانع سياسي أو اجتماعي من اشتراكهم ، فهم :

١ ـ السيد الحاج أبو الفضل الموسوي الزنجاني .

٢ ـ السيد محمد البهشتي .

٣ ـ الحاج الشيخ حسين وحيدي .

٤ ـ الشيخ ناصر مكارم .

٥ ـ الشيخ الخزعلي .

٦ ـ السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي .

٧ ـ الحاج الشيخ محمد رضا المهدوي الكني .

٨ ـ السيد رضا الشيرازي .

٩ ـ السيد رضا الصدر(ابن المرحوم آية الله الصدر) .

١٠ ـ الحاج السيد باقر الخوانساري (ابن المرحوم آية الله الخوانساري) .

١١ ـ الشيخ لطف الله الصافي الگلبايگاني .

١٢ ـ الشيخ محمد تقي الجعفري التبريزي .

* * *

موقفي . . .

١ ـ فتنةُ العامين هي علىٰ رأس الفتن .

٢ ـ الدفاع عن السيد (همايون) ودوافع التأسيس والتفاؤل بالاستمرار والرجاء به وبمستقبله دون أخطاء ، ومعارضة أفكار وآمال إزالته .

٣ ـ لقد مضت (١٢) عاماً علىٰ هذه الفكرة ، شهدت قضايا مختلفة كانت لي تجاهها مواقف ، واليوم وحيث أعودُ إلى الوراء وأتدبر في هذه

المواقف أرىٰ أنها جديرةٌ بالطرح والاستفتاء بشأنها ؛ ولهذا أضعُ تحت الاستفتاء والنقد الاجتماعي والديني مواقفي تجاه مجريات الحسينية المرتبطة بي بدرجة ما وهي تؤثر علىٰ طريقة عملي المستقبلية بالطبع ، فإذا كانت لدي أخطاء نبّهوني عليها ، وإذا كانت مواقفي صحيحة اقتدوا بها ، وأسعىٰ وإنْ كنتُ أنقلُ بعضها عن حافظتي ـ إلىٰ أن لا أقول شيئاً خلاف الواقع وإذا رأوا مثل ذلك فأرجو ممنوناً أن ينبهوني عليه .

٤ ـ لقد بدأ هذا العمل في محرم الحرام عام ١٣٨٥ هـ .ق وعلىٰ هيئة إلقاء محاضرات دينية علىٰ مدىٰ عشرين ليلة في العشرتين الأولىٰ والثانية من شهر محرم في البداية وإلىٰ حدود العام [ ] في مكان مؤقت ، ثم ، وفي عام [ ] انتقلنا الى المركز الجديد الحالي ، ومنذ ذلك التاريخ اتسع المركز وفي تاريخ [ ] أصبحت ، الهيئة الإدارية رسمية .

٥ ـ خلاصة نظري (فيما يتعلق بالمرحوم شريعتي ـ المترجم ـ) ؛ يُذكر بخير ويُنبّه إلىٰ أخطائه .

٦ ـ موضوع تغيير الاتجاه (الخطاب هنا وفي الفقرات (٧ ـ ٨) موجه للمرحوم شريعتي) إذا حملناه علىٰ الصحة بنسبة ٥٠ ٪ فهو كان عن غير اطلاع ، وهذا تجسيدٌ لمثلث ماركس ، ووصف الدكتور (آراني) ، وأضرار هذا الشعار علىٰ الروح الثورية للشباب ، واختيار وجوه من أمثال الخواجه الطوسي ، والمقدس الأردبيلي والميرداماد ، والشيخ البهائي .

٧ ـ إذا كان الخواجه قد قبّل يدّ خان المغول ، فأنتم قد دوّنتم فلسفة النظام المغولي ، وإذا كان المجلسي قد مدح السلطان حسين . . . . . . فإن جميع أعمال علماء الإسلام من هذا النوع لو وُضعت في كفة ميزان لكانت أخفّ من أعمالكم !! لماذا تنسون انتفاضة « التنباك » ، وانتفاضة ميرزا محمد تقي الشيرازي في العراق ؟! ولماذا تنسون أن السيد جمال الدين (الأفغاني ـ

المترجم) كان حوزوياً أيضاً .

٨ ـ إن المقصود من الحوزوي ليس (زيّه) ، فالحوزويون هم حملة الثقافة الإسلامية ذات تاريخ الألف والثلاثمائة عام ، ومعلومٌ أن حملتها هم بهذا الزي ، ولكنّ هناك الكثيرين متلبسون بهذا الزي أيضاً وما هم بعلماء حوزويين ولا « ملالي » كما تسمونهم .

٩ ـ ليست له (المقصود هنا هو الدكتور شريعتي ـ المترجم) ميولٌ سنيةٌ وإن كانت له أخطاء في موضوع (الإمامة) ، وبين هذه الميول وهذه الأخطاء فرق واضح .

أساتذتُهُ (شريعتي ـ المترجم) هم والدُه ، الكسيس كارل ، ماسينسيون المستشرق وعضو وزارة الخارجية الفرنسية) ، كورويج اليهودي المادي ، جان بول سارتر المادي الوجودي ، دور كهايم عالم الاجتماع المعادي للدين ، فأيٌّ من هؤلاء كان سنّياً أو وهّابياً ، ومن الظلم أن نصف والده المحترم بكل ما يمتاز به من (. . .) بميول سنية ، وبالنسبة له (الدكتور شريعتي ـ المترجم) لماذا يُتهم بذلك ؟! إنه كان ينتفع بكل روح ثورية وعقيدة ثورية ، فأيُّ ثورية توجد في الميول السنية أو الوهابية ؟!

إن الأشخاص الذين توجد فيهم ما كانت فيه من روح ثورية ، وحتىٰ لو كانوا من السنة فإن احتمال تشيعهم يكون أقرب ؛ ففي التشيع توجد مكامن الروح الثورية ؛ في التشيع توجد واقعة كربلاء وانتفاضة أبي ذر ، والأئمة الشهداء ، الشهيد تلو الشهيد ، في التشيع يوجد الأمل والانتظار للفرج الشامل .

١٠ ـ موعظةٌ ونصيحةٌ لأولئك الذين هم مثل أبنائي : « اعرضوا عن اللغو ، واحذروا أن بعض الحوادث تجر إلىٰ عواقب قد لا تريدونها أنتم أيضاً . الأوضاع الحالية تحمل حوادث نظير واقعة القرن الثالث عشر الهجري ،

وكتابات ذلك المرحوم (شريعتي ـ المترجم) تحمل بذور مثل هذا الانشقاق المشؤوم (كوبر) (اسم كتاب للدكتور شريعتي ـ المترجم ـ) .

١١ ـ إنني ألتمسُ بالدرجة الأولىٰ من والده المحترم ـ الذي يعترف بالأخطاء (الموجودة في كتاب شريعتي ـ المترجم) وقد تحدثنا حول هذا الموضوع في مشهد ـ أن تدخلوا في الموضوع ـ فأنتم ولا شك أحرص من الجميع علىٰ سعادته الأخروية وطيب ذكراه الدنيوية ـ إذن ساعدوا علىٰ إصلاح أخطائه ، إنه الآن في العالم الآخر ويتوقع من محبيه أن ينشروا سننه الحسنة ويوقفوا سننه السيئة .

الموارد التي أقدم ويقدم عليها السيد (. . . . . . .) دون استشارة :

١ ـ علىٰ الرغم من أنه كان الاتفاق علىٰ أن أكون من الهيئة التأسيسية فقد أخرجني منذ البداية ، رغم أن دوري في تأسيس (المؤسسة) كان أكبر من دور السيد همايون ودور السيد (. . . . .) فضلاً عن الدكتور علي آبادي .

٢ ـ استخدام أيٍّ من الموظفين العاملين هنا لم يتم باستشارتي .

٣ ـ قضية تمديد إقامة خليل الرحمن والمبلغ الذي دُفع له .

٤ ـ استئجار بناية (النقرجي) .

٥ ـ نشر (آذان التكبير) .

٦ ـ نشر (التقويم) .

٧ ـ البيان الأخير وطبعه .

٨ ـ الإعلان عن برامج خاصة بالجامعيات والإشكالات التي أوجدتها .

٩ ـ في قضية الحج علىٰ الرغم من صدور قرار بوجوب أن تتم المصادقة علىٰ برامجه من قبل الهيئة الإدارية من جهة الطبيب والعالم وسائر الأعمال .

١٠ ـ الأموال التي تُؤخذ بمبالغ كبيرة دون اطّلاعي .

١١ ـ الأموال للمسجد بالترتيب نفسه .

١٢ ـ قصة أموال . . .

١٣ ـ قضية الأربعين نسخة من كتاب العدل الإلهي .

١٤ ـ قضية الإعلان عن مجلس تأبين المرحوم الأميني .

١٥ ـ الزيارات المتوالية لمشهد بأموال الحسينية .

الفصل الرابع

لمحة عن الجهاد العلمي للشهيد المطهري

بقلم اثنين من تلامذته

الشخصيات التاريخية هي التي تترك آثارها على أفكار الجيل المعاصر والأجيال اللاحقة وتغيّر نظراتها تجاه قضايا العالم والحياة وتفتح أمامها آفاقاً جديدةً في التعامل مع هذه القضايا ، فتصبح قدوةً لهذه الأجيال .

مثل هذه الشخصيات العظيمة تمتاز بتفوق خاص في بعد واحد أو أكثر من أبعادها على الآخرين ، فتغطّي بتشعشع أنوارها في هذه الأبعاد على الآخرين وتجعلهم أشياعاً لها .

ويمكن الإشارة إلى العديد من مصاديق هذه الشخصيات الاستثنائية على مدى التاريخ ، فهي تمثل قمماً شامخة تبرز من بين الكثير من القمم ذات الارتفاع الأقل ، وتستحوذ على عناوين كبيرة من أمثال الكتّاب المقتدرين ، والفنانين والأدباء المبدعين أو المفكرين ذوي الأفكار العميقة ، أو القادة الأكثر إخلاصاً وصدقاً ، والمخترعين الأذكياء والساسة الأكفاء ، والعرفاء المتألقين ، ومئات أخرى من الأوصاف المماثلة .

وهنا نلحظ درجات ومراتب مشهودة بوضوح بين هذه الشخصيات الاستثنائية ، فمنها ذات تألق أكبر ومحسوس بدرجة أكبر تبرز منها أيضاً ثلةٌ أقل عدداً تتألق بصورة أشد وتمتاز بتعدد أكبر في الأبعاد المتفوقة المتألقة فيها ،

وهذه الثلة هي التي تضم القمم الأكثر ارتفاعاً وشموخاً .

ويقف علىٰ رأس قـائمة هؤلاء الأنبيـاء يليهم الأوليـاء ثم المقتـدون بهم والمقتفون آثارهم .

والمرحوم الأستاذ الشهيد آيـة الله المطهـري (قدس سـره) هو من هـذه الـطائفة النخبـة في المجتمع الإنسـاني ، وهم ـ مع حفظ تـوالي الـدرجـات ـ يعتبرون التابعين للأنبياء القائمين مقامهم ونوابهم .

والمطهري ، تجلّت فيـه مختلف أبعاد شخصيتـه التي جمعت الفضائـل والسمو والنضوج المثير للإعجاب .

كـان أستاذاً ومعلمـاً بارزاً ، ومحققـاً مقتـدراً مـدققـاً ، ومتكلمـاً بصيـراً وغيـوراً ، فيلسوفـاً مجتهداً مبـدعاً وذا آراء عميقـة ، مصلحاً متحمسـاً مخلصاً واعيـاً ، كـان ذا قلب حيّ ويحيي القلوب المستعـدة ، وعـارفـاً ذا وجـدان نوراني . . . وكان وكان . . .

ولكل ذلك ، فإن معرفة مثل هـذه الشخصية محـالٌ دون دراسة مختلف جوانب حياته ومطالعة آثاره ومؤلفاته وباقياته الصالحات ؛ وحيث أن هذا مما لا يدرك كله ، لذا فلا نتركه جُلّه ، ونسعىٰ هنا إلى محاولة التعرف على بعض من نفحات هذه الشخصية التاريخية .

المطهري . . . أستاذ بارز :

الذين قضوا عمراً في التعليم والتدريس ، يعرفون جيداً كم هي حساسة ودقيقة وصعبة هذه المهمة ، وكم هي في حاجة إلىٰ مـزيد من الصبـر والثبات والاستقامة والنظم والدقة ، فلا يكفي أن تكون للأستاذ معلومات كثيرة وعميقة لكي يكون درسُهُ ناجحاً جاذباً مؤثراً ، فالنجاح والاقتدار في التدريس مرهـونان بعوامل عديدة يعتبر امتلاك المعلومات اللازمة أحدها وحسب .

الأستاذ المطهري كان ناجحاً موفقاً بصورة كاملة في مجال التدريس ، وكان من ذاك النوع من الأساتذة الذين يجعلون محضر دروسهم مفعماً بالمودة والمحبة التي تجذب الطالب إليها مهما كان وتجعله يَحِنُّ إلىٰ محضر تدريسهم باستمرار .

وعلىٰ الرغم من أن الأستاذ المطهري قضىٰ دراسته في الحوزة ولم يدرس بصورة مباشرة في المؤسسات التعليمية الحديثة ولم يتعلم من أحد الأساليب الحديثة في التدريس ، إلا أنه كان متسلطاً مقتدراً في العمل التدريسي إلىٰ درجة يبدو وكأنه قد تعلم لسنين طويلة أحدث أساليب التدريس علىٰ أيدي أفضل أساتيذ هذا الفن ووفق آخر نتائج علم النفس

أتذكرُ جيداً المرة الأولىٰ التي اشتركتِ فيها بمعية عددٍ من أصدقائي الجامعيين في محضر درس الأستاذ المطهري في مدرسة مروي الدينية في طهران وفي غرفة أحد الطلبة الأفاضل ، حيث كان يدرس حينها برهان « الوسط والطرف » من المقالة الثامنة من كتاب الشفاء لابن سينا ، وبالخصوص الفصل المربوط بتناهي علل الفاعل والقابل .

كُنّا أنا وأصدقائي قلقين من قدرتنا علىٰ تكييف أنفسنا مع المنهجية التدريسية لهذا العالم الحوزوي ، وعلى الانتفاع من علمه ، حيث أننا قد طوينا كافة مراحلنا الدراسية في فروع فنية ووفق أساليب حديثة منظمة للغاية ، واعتدنا عليها خلال دراستنا للعلوم التجريبية والرياضية .

عندما وصلنا إلىٰ الغرفة التي كان يدرّس فيها الأستاذ ، كان الحضور من الكثرة بحيث امتلأت الغرفة وجلس العديدون خارجها فاضطررنا إلىٰ الجلوس خارج الغرفة أيضاً ، أي في مكان لا نرىٰ منه الأستاذ الأمر الذي ضاعف من قلقنا لأن رؤية الأستاذ أثناء التدريس كما هو معروف تساعد علىٰ فهم المطلب ،

ولكل ذلك فقد وطّنا أنفسنا علىٰ عدم الحصول علىٰ أي ثمرة من هذا الدرس ، خاصة وأنه لم تكن لدينا نسخة من الكتاب الذي يدرّسه الأستاذ لكي نستطيع من خلالها متابعة درسه .

وبَدَأ الدرس ، فتهاوىٰ ذلك القلق كلُّهُ ، وأصبحنا مثل قطعات حديدية صغيرة يجذبها المغناطيس ، وذبنا في بيانه الذي كان من السلاسة والوضوح بحيث استطعنا فهم المطلب بوضوح ويسر علىٰ الرغم من أنّ سابقتنا في دراسة الفلسفة لم تكن طويلة ، كانت أقوال الأستاذ منظمة متسلسلة متتابعة بنسق منطقي واستدلالي هو من المتانة والوضوح ، بحيث يبدو الدرس وكأنه ليس درساً حوزوياً في الفلسفة بل درساً جامعياً في الرياضيات .

هذه المنهجية في التدريس هي من الخصوصيات التي يمتاز بها الأستاذ المطهري عن نظائره الذين تربوا في الوسط الحوزوي ، وهذه الخصوصية هي من العوامل التي ساهمت في خلق تلك الحالة من الاقبال الشديد علىٰ دروسه من قبل الطلبة والأساتذة الجامعيين ، فهم لم يكونوا يحسّون بأنهم غرباء في دروس الأستاذ المطهري ، بل يجدون أجواءه قريبة للغاية من الأجواء العلمية التي اعتادوا عليها وأنِسُوا بها .

المرحوم المطهري كان في منهجه التدريسي ـ وكسائر شؤونه الحياتية الأخرىٰ ـ منظماً للغاية وملتزماً ببرنامج محددٍ دقيق ، فطوال الدرس يلتزم بحفظ الموضوع الأساسي للدرس ، ويتابعه بدقة ، ولا يسمح للاستطراد أن يبعده عنه ، فيختار حتىٰ الاستطرادات بحيث تكون مرتبطة مباشرة بموضوع الدرس .

وفي كل درس كان يلاحظ طبيعةَ الحاضرين ومستوياتهم فيتحدث عن المواضيع التي يحتاجونها وباللغة المتناسبة مع طبيعة إدراكهم ، فمثلاً يختلف

درسه العام في تفسير القرآن عن دروسه الخاصة التي كان يعقدها في المنزل ، وهذه تختلف عن دروسه في الجامعة وهكذا ، وبصورة عامة كان ينتفع من الأمثلة والحكايات الطريفة الحاملة للعبر في دروسه العامة لكيلا يصيب الحاضرين الملل أو التعب ، أما في دروسه الخاصة وخاصة الفلسفية فقد كان نادراً ما يخرج عن موضوع الدرس طوال فترته .

وإضافةً إلىٰ سعة المعلومات وعمقها ، كان للأستاذ الشهيد بيانٌ متينٌ يجذب الحاضر ويشده للدرس أكثر وأكثر ، كما كان يتحلىٰ بالصبر وسعة الصدر في الإجابة علىٰ أسئلة الحاضرين ، ولكنه كان جاداً للغاية في الدروس الخاصة ـ لا سيما في الفلسفة ـ وفيها كان يحدث أحياناً أن يرفع صوته أكثر من المتعارف إذا لاحظ في طلبته عدم الجدية في فهم مباحث الدرس ، ولكنه في الوقت نفسه كان يحرص علىٰ تشجيع التفاتاتهم الجيدة ويوصيهم بالمزيد من المطالعة والأعمال التحقيقية .

قبل حضوره إلىٰ الدرس كان الأستاذ ملتزماً بسنةِ أساتذة الحوزة في مطالعةِ موضوع الدرس وترتيب كافة مباحثه ، وكان يُحضِّر للندوات التحقيقية ويسجل ملاحظات حول موضوعها وحول مباحثه الأساسية ، وإذا لم تتوفر له فرصة التحضير يفصح عن ذلك ويطلب من التلامذة تأجيل الموضوع إلىٰ الدرس القادم .

وإذا أراد نقد كتابٍ ما ، أحضر نسخة منه كتب هوامشه عليها فيقرأ المتن ثم يقرأ حاشيته عليه ، وإذا احتاج الدرس إلىٰ مطالعة الطلبة لبعض مباحثه حدّدها لهم وطلب منهم مطالعتها بدقة تمهيداً للدرس القادم ، فيما يتولىٰ هو إعداد ما تحتاجه المباحث من آيات وأحاديث وأقوال العلماء .

وكانت طريقة الأستاذ في كافة دروسه وتقريباً بصورة عامة تتمثل في

إيضاح رأي صاحب متن الكتاب مورد الدرس ثم آراء شرّاح الكتاب ويشرح في الأخير رأيه الاجتهادي ؛ وهذه الطريقة يقل نظيرها بين أساتذة الحوزة والجامعات علىٰ حدٍّ سواء ؛ إذْ إنهم يكتفون في الغالب بالشرح الدقيق للمتن وقلما يشرحون آراءهم الاجتهادية ، في حين كان الأستاذ المطهري يوضح رأيه المستقل تجاه كل موضوع بل وكان يشجع طلبته علىٰ التحقيق والتدبر الاستدلالي في المتون وتحديد الغثّ من السمين .

الأستاذ المطهري أعدّ دروساً منتظمة لأساتذة جامعة طهران ، وكثيراً ما كان يحدث أن يعرض فيها نتائج تحقيقه وتمحيصه الشخصي لآراء ونتاجات كبار الفلاسفة الغربيين ـ اعتماداً علىٰ الترجمات غير الكاملة لمؤلفاتهم ـ أمثال « هيغل وهيوم » ، فيذعن الأساتذة وبعضهم من المتخصصين بمؤلفات هذا الفيلسوف أو ذاك بأنهم لم يروا من قبل تحليلاً بهذه الدقة لآراء الفيلسوف المتخصصين في دراسة آثاره .

ومن الخصائص الأخرىٰ للأستاذ في التدريس بيان الخلفية التاريخية للمباحث ، فحسبما يقتضيه كل موضوع في كل مجال ، كان يعمد إلىٰ تبيان مراحل تطور هذا العلم منذ البداية إلىٰ زماننا هذا ، ويعطي نظرةً إجماليةً عن الموضوع مورد البحث فيسهّل علىٰ الطلبة إدراك الموضوع ، كما كان يسعىٰ الأستاذ إلىٰ توضيح ارتباط كل موضوعٍ بالمواضيع الأخرىٰ ، فيوضح مثلاً ارتباط هذا المبحث الفلسفي بذاك المبحث في علم الكلام أو ذاك المبحث في علم الأصول ؛ وإضافة إلىٰ ذلك كان الأستاذ يوضح جيداً علاقة المطالب التي يدرسها بالقضايا المستحدثة في زماننا وتأثيراتها العملية ، وبهذه الخاصية كانت دروسه تكتسب صفة عملية وجاذبية خاصة تخرجها من صبغة الدروس التجريدية الجافة .

إن دروس الأستاذ المطهري بكلا نوعيها العامة ذات الحضور الكثير أو

الخاصة التي يلقيها علىٰ عددٍ محدود من الطلبة ، كانت تمتاز بكونها دروس تربية وتزكية وليست تعليمية محضة ، والأستاذ نفسه كان يحضر الدرس وهو علىٰ وضوء ، وكان لمجرد حضوره أجواءً معنوية سامية تلقي ظلالها علىٰ المستمعين فتغرقهم بحالة خاصة من القدسية تؤهلهم للحصول علىٰ الجذبات الإلهية كل حسب استعداده ، أما علاقة المرحوم المطهري بتلامذته فلم تكن علاقة عادية بين أستاذ وتلميذ ، بل كان الأستاذ مرشداً مربياً يلتف حوله مريدوه ليقتبسوا من أنواره وينتفعوا بإرشاده .

المطهري . . . المحقق المقتدر

هناك نوعٌ من التشابه بين التحقيق العلمي وبين استخراج المعادن الثمينة من أعماق الأرض ، فإذا كان الباحث عن الكنز ، لا يعرف جيداً خصائص المنطقة التي تضم الكنز وإذا لم يضع خططاً دقيقةً محسوبة لعملية الاستخراج ، والأهم من ذلك إذا كان لا يدري عما يبحث وأين يبحث ، فلن يكون نصيبه في هذه الحالة غير التعب والنصب والإعراض عن مواصلة مشروعه ، بل وقد يصيبه اليأس إلى درجة لا يفكر معها بالعمل في أي نشاط مثمر .

الأستاذ المطهري كان من تلك الطائفة من المحققين الذين :

أولاً : يعرفون جيداً ما هو الشيء الذي يبحثون عنه ، وهذا ليس بالأمر اليسير الذي يمكن التغاضي عنه ، وكثيرون هم في التاريخ البشري أولئك الذين كانت لهم طاقات كبيرة لكنها ضاعت ، وضلوا دون أن تثمر شيئاً بسبب عدم توافر الدرك والفهم الكافي الوافي للهدف الذي يجب أن يسعوا له ، وأصبح مثلهم مثل الذي وصله مالٌ كثير إرثاً من والده ولكنه أضاعه وأتلفه لقلة عقله فأوصل نفسه إلىٰ الإفلاس .

وثانياً : كان المطهري من المحققين الذين يمتازون بدقة النظر وعمق التدبر ، فكان محققاً مدققاً وهناك فرق بين التحقيق والتدقيق ، فقد يكون هناك

بعض الأفراد يحسنون استنباط المسائل بدقة ، يجيدون القراءة والفهم ويربطون ببصيرة بين أجزاء القضية ويصلون إلىٰ النتائج الصحيحة ويجيدون الفصل بين نقاط القوة والضعف في الموضوعات ولكنهم ليسوا من أهل البحث والتحقيق ، وليست لهم القدرة الذهنية علىٰ فتح آفاق جديدة في التعرف علىٰ الأفكار والآراء وتوسيعها .

وعلىٰ الطرف الآخر هناك من يحسنون جمع المسائل وتتبعها والتحقيق بشأنها ولكنهم يفتقدون العمق والدقة اللازمة للانتفاع بما جمعوا .

المرحوم المطهري كان إضافة إلىٰ سعة المعلومات يمتلك قدرة كبيرةً علىٰ التحليل والبحث والتفسير والتمحيص ، فما يمر عليه الكثيرون دون أن يكتشفوا فيه شيئاً ، يناقش المطهري أبعاده ويوضح حقيقته ونقاط القوة والضعف فيه .

وثالثاً : الأستاذ الشهيد كان يرفض بشدة التقليد الصرف والنقل الببغاوي من هذا الكتاب أو تلك الرسالة أو عن ذلك المفكر ، فهو كان يعمد إلىٰ مناقشة ونقد مختلف الآراء وتبيان الصحيح منها وبهذا امتازت مؤلفاته عن غيرها لم يكن يأنف عن تبني آراء الآخرين الإبداعية القيمة ، ويعتبر المخالفة غير الاستدلالية نقيض الروح العلمية ، لكنه في الوقت نفسه كان يرفض تبني أي رأي ما لم يناقشه بذهنه الثري بالمعارف الإسلامية الغنية ، ويطمئن من انسجامه معها ، فلا يخضع في ذلك لأي قالب أو إطار .

كان يعتقد بأن الإنسان ـ وكل موجودٍ حيٍّ ـ يؤثر ويتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه ، وكلما ارتقىٰ في مراتب كمال أسمىٰ كلما زاد تأثيره وقلّ تأثره ، وحتىٰ هذا التأثر القليل يطرحه ثانية بصورةٍ تنسجم مع معاييره ، وهكذا كان الأستاذ .

رابعاً : كان الأستاذ المطهري في عمله التحقيقي منظماً كسائر شؤون

حياته الأخرىٰ ، وإضافةً إلىٰ الحواشي التي يكتبها علىٰ متونِ بعض الكتب لتبين وجهة نظره أو لتقسيم وتصنيف مواضيعها أو تصحيحها ، كان يعتمد أسلوب التلخيص وكتابة الملاحظات بشأن المواضيع المهمة كما كان يعتمد اسلوباً منظماً مرتباً وفق تصنيف (بطاقات) تحقيقية خاصة .

قبل عام (١٣٧٩ هـ .ق) كان الأستاذ يعتمد أسلوب تسجيل الملاحظات والمعلومات التي يحتاجها في دفاتر خاصة ، وتضم بعض هذه الدفاتر أشعار ومراثي ومدائح أهل البيت (ع) والقصص والأدعية . . . ، والبعض الآخر يضم مطالب عميقة ذات ماهبة تحقيقية ، بعضها يختص بموضوعٍ محدد والبعض الآخر أشبه ما يكون بالكشكول .

وبعد عام (١٣٧٩ هـ .ق) غيّر الأستاذ المطهري من أساليب جمع المطالب واعتمد أسلوب الكارتات (البطاقات) التحقيقية وهو أسلوبٌ أكثر عمليةً وأيسر وأكثر مرونة ومنفعة ، وهذه الكارتات علىٰ قسمين :

أ : الكارتات التي ترتبط بموضوع واحد مثل (القرآن ، الإمام علي ، الإمام الحسين ، الفلسفة ، وغير ذلك . . . وتجمع كارتات كل موضوع في مكانٍ مشخّص .

ب : الكارتات المتعلقة بمواضيع شتىٰ إما لم يَجْرِ تحقيقٌ بشأنها ، وإما أنها تُعد للتحقيق حولها مستقبلاً عندما تكتمل المعلومات المطلوبة عنها .

وقد طُبع فهرس كامل تقريباً للكارتات التحقيقية ضمن الجزء الأول من الكتاب الخاص عن الشهيد المطهري الذي نُشر في ذكرىٰ استشهاده ، ويضم كل كارت عنوان موضوعه وخلاصة عنه وتُلحق كل مجموعة منها بكارت يضم فهرس حول الكتب مورد الحاجة بشأن موضوع كل مجموعة من الكارتات .

خامساً : كان المرحوم المطهري في عمله التحقيقي يلتزم بقاعدة الأهم فالأهم ويؤمن بضرورة إجراء التحقيقات في المواضيع التي يحتاجها المجتمع ،

وكان يجتنب بصورة كاملة التحقيقات الأكاديمية التي لا تحل مشاكل المجتمع وتنعدم فوائدها .

وخلافاً لأغلب المثقفين بل ولعددٍ كبير من العلماء الدينيين الذين يخوضون في تحقيقات يجدون في أنفسهم ميلاً إليها حتىٰ لو كانت لا تخدم المجتمع بشيء ، كان الأستاذ المطهري يجتنب تضييع وقته في بحث أي موضوع ما لم يتيقن من أنه يلبي إحدىٰ حاجات المجتمع ، ويحل المشاكل الفكرية للشباب المعرَّضين للانحراف وإساءة الظن بالمعارف الإلهية ؛ وكان يتألم كثيراً من التحقيقات العديمة الفائدة للمجتمع ، يقول رحمه الله في إحدىٰ مؤلفاته :

« تعتبر المنشورات والمطبوعات في كل مجتمع معياراً لمستوىٰ نضوجه الفكري ، ويمكن من ملاحظة المؤلفات المنشورة باسم الإسلام معرفة مستوىٰ النضوج الفكري لمجتمعنا .

ولو قارنا بين المطبوعات الإسلامية المعاصرة وبين مؤلفات ما قبل ألف عام فستكون نتيجة المقارنة مخجلة لنا حقاً .

وعندما تراجعون المؤلفات الغربية تجدون أن أحدثها هو أكثر علمية وتطوراً وقيمة من سابقاته تاريخياً ، ولكن عندما تراجعون المؤلفات الإسلامية تجدون العكس ، فالأحدث هو الأقل قيمة ، قد يكون في الأمر مبالغة بعض الشيء ، وهذا صحيح ولكن مما لا شك فيه أن أكثر الكتب التبليغية الإسلامية تزيد أضرارها علىٰ منافعها ، فبدلاً من أن تكون منبهة منوّرة نجدها تخديرية ، مضلة غير هادية ، ولعل علة ذلك ترجع إلىٰ فقدان النظم والتنسيق في عمل أجهزتنا الحوزوية ، فكل مَنْ هبّ ودبّ يهوىٰ تصنيف كتاب عن الإسلام فيكتب ، ويحدث أحياناً أن يأخذ تقريضاً من أحد العلماء المشهورين وعندها تكون الطامّة الكبرىٰ » .

« مثلما ذكرتُ في بعض كتاباتي فإن مطبوعاتنا الدينية لا تحظىٰ بالنظم المطلوب ، ولو غضضنا النظر عن المؤلفات التافهة والضارة ، فحتىٰ المؤلفات النافعة أيضاً تفتقد إلىٰ الحسابات الصحيحة لطبيعة الاحتياجات ومراعاة الأولويات ، فكل مؤلف يكتب ما يراه ـ حسب وجهة نظره وذوقه ـ مفيداً ويطبع ما يصنّف ، فتكون النتيجة أن نجد تراكماً في المؤلفات المكرّرة حول بعض المواضيع فيما هناك مواضيع ضرورية لم يكتب عنها أحد .

ونحن في هذا المجال حالنا حال البلد الذي لا يستند اقتصاده إلىٰ نظام اجتماعي صحيح ، فتجد كل شخصٍ ينتج أو يستورد الذي يعجبه دون أن تتوافر قيادة مخططة تسيطر علىٰ حركة الإنتاج والاستيراد وفق احتياجات المجتمع ، وبعبارة أخرىٰ فإن كل شيء فيه متروك للصدفة ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن تتراكم في السوق سلعٌ تزيد عن الحاجة الحقيقية فيما تنعدم سلعٌ أخرىٰ . . . » .

سادساً : وكان الأستاذ المطهري يرفض بشدة المطالعة والقراءة غير المنظمة والتي لا تعتمد برنامجاً صحيحاً واعتبرها نوعاً من كفران النعمة ؛ يقول في مقالة (الإدارة والقيادة) من كتاب الامدادات الغيبية :

« يتباين الأفراد من جهة مستوىٰ الذكاء والقدرة علىٰ الفهم والاستيعاب وقوة الحافظة .

الأفراد الناضجون يمتازون بأنهم يستفيدون من حافظتهم بصورة صحيحة ، أما غير الناضجين فعلىٰ العكس رغم أنهم قد تكون لهم حافظة قوية ، فهم يتوهمون أن الحافظة مثل المخزن الذي يجب أن يكون مملوءاً بأيٍّ شيء كان ، حالها في ذلك حال مخزن البيت الذي تجد فيه قطعة معدنيـة هنا وكرسياً مهشماً هناك وعلبة فارغة . . .

أما الإنسان الناضج الرشيد فهو يدقق في الاستفادة من نعمة الحافظة ،

فهو أولاً يختار المواد النافعة ليودعها فيها ، أي أنه يحترم حافظته فلا يلقي فيها أي شيء ، وهو يفكر في أي معلومات ينفعه حفظها ، ثم يصنف المعلومات النافعة حسب أهميتها ويختار الأكثر نفعاً ويودعها حافظته مثل أمانةٍ يودعها عند أمين . . . أي أنه يكون دقيقاً في المعلومات التي يتلقاها ويودعها ذهنه . . . » .

وكان الأستاذ نفسه ينتفع من مطالعاته بأقصىٰ حدّ ، ويُلاحظ هنا أن (الكارتات) التحقيقية التي خلّفها تصيب الإنسان بالحيرة والتعجب لكثرتها وسعة المطالعات والمناقشات التي تكشف عنها ، وكان الأستاذ يسعىٰ علىٰ الدوام إلىٰ تشخيص المواضيع التي تلبي احتياجات فورية عاجلة للمجتمع الإسلامي ويرتبها حسب الأولوية ، ثم يعمد إلىٰ التحقيق الكامل بشأنها مع مراعاة الأهم فالأهم ومع مراعاة قدرته واستعداده .

سابعاً : كان الأستاذ المطهري دؤوباً متابعاً في أعماله التحقيقية ، إذ كان يتابعها باستمرار ويعيد النظر فيها ويضيف إليها المطالب الجديدة دائماً فتتكامل الموضوعات لديه وتزداد نضوجاً ومتانة .

وكان عمله في هذا الصدد يبدأ بمطالعات المقدمات وإعداد الكارتات والملاحظات مورد الحاجة ، ثم دراستها والتحقيق حول موضوعها واستكشاف نقاط القوة والضعف فيه ثم التحدث عنه أو عن الكتاب وطرحه في الدرس الخاص أيضاً كل مرة من زاوية مختلفة مكملة للمرة السابقة ، ثم يُراجع ما قاله وما كتبه ويزيل الإشكالات الواردة فيه ، ثم يعدّ الصيغة النهائية ويعرضها علىٰ أصدقائهِ وطلبته لنقدها ثم يراجع أراءهم ويجري التعديلات اللازمة بشأنها ، وحتىٰ بعد طبع كتبه يقوم الأستاذ المطهري بمراجعة كل كتاب وتكميله ونقده ثانية عند تهيئته للطبعة الثانية ، وهو بذلك أعطىٰ نموذجاً بارزاً للتحقيقَ العلمي وتطوير وتكميل المباحث .

الأستاذ المطهري متكلّم بصير غيور :

علم الكلام قديمٌ قِدَمَ الدين في المجتمعات البشرية ، فهي لم تخلُ من التفكير الديني في أي فترة حتىٰ وإن تباينت حالة إقبالهم علىٰ الدين شدة وضعفاً ، وفي كل الفترات كان لعلم الكلام وحل المعضلات التي يطرحها أعداء الدين موقع مهم في الحياة الفكرية لبني الإنسان .

وعلم الكلام الإسلامي كسائر فروع المعارف الإسلامية الغنية ، خطا خطوات تطورية مهمة علىٰ مدىٰ القرون السالفة ، واقترب عند الشيعة من الفلسفة وذاب فيها مع ظهور متكلمين وفلاسفة بارزين من أمثال الخواجه نصير الدين الطوسي ، فظهرت معرفة واحدة متناسقة ؛ طوت مراحل نموها وسيرها التكاملي حتىٰ عصر صدر المتألهين الشيرازي الذي أوصل الحياة الفكوية الإسلامية إلىٰ الذروة ، وامتزجت في أفكار هذا المفكر العظيم الفلسفة بالعرفان وعلم الكلام فظهرت معرفة سامية هي بحق « الحكمة المتعالية » .

وبعد صدر المتألهين ضعفت روح التفكير الإسلامي ، والعلماء اكتفوا بكتابة حواشٍ علىٰ مؤلفاته وإكمال بعض براهينه أحياناً ومعالجة بعض أخطائه .

وفي غضون ذلك هجمت علىٰ العالم الإسلامي الأفكار الغربية في وقت كان المسلمون يعيشون مرحلة الانحطاط والتخلف بعد زوال مجد حضارتهم وثقافتهم لذا لم يكونوا قادرين علىٰ مواجهة هجمة تلك الأفكار الغربية .

المرحوم المطهري ارتوىٰ من نبع المعارف الإسلامية النقي ، وأدرك جيداً عظمة الميراث الذي خلفه عظماء الإسلام ، وكان أيضاً علىٰ إحاطة بالأفكار الغربية التي صدّرها العالم الغربي المتقدم للبلدان الإسلامية ويعرف جيداً نقاط

قوتها وضعفها ، لذلك سار علىٰ نهج أسلافه العظماء، وعمد إلىٰ تدوين علم كلامٍ يستند إلىٰ المعارف الإسلامية النقية، ويلبي احتياجات المجتمع المعاصرة ، وقام بتوضيحه وتبليغ مطالبه بلغةٍ مفهومة تجذب الشباب المبتعدين عن الإسلام وترغبهم في مطالعة معارفه ، وفي الوقت نفسه تكون هذه اللغة قادرةً علىٰ إبطال الآراء المخالفة بصورة يقتنع بها ويؤيدها أصحاب العقول .

ويمكن من خلال ملاحظة عناوين كتب المطهري والتدبر في محتوياتها التيقن من نجاحه في إحياء علم الكلام الإسلامي وتدوين ما يصفه هو بعلم الكلام الجديد .

في البداية شرع في كتابة مقالات ورسائل في المسائل الأساسية لعلم الكلام ظهرت بصورة أو بأخرىٰ بين المتكلمين في كل عصر وبين كل جيل من أمثال :

١ ـ علاقة العقل بالايمان ، وحدود حجيّة العقل وحدود فاعلية وحجيّة النقل .

٢ ـ العلاقة بين الإيمان والعمل .

٣ ـ قضية الجبر والتفويض .

٤ ـ قضية صفات الله تعالىٰ وأفعاله .

٥ ـ قضية الإمامة والقيادة .

وكل واحدة من هذه القضايا هي من المسائل القديمة المهمة لعلم الكلام وقد طرحت بصورٍ مختلفة تتناسب مع طبيعة كل عصر ، وقد عمد الأستاذ

الشهيد إلىٰ طرحها وفق براهين منطقية قوية داحضة لشبهات التيارات الإلحادية أو المنحرفة وإثبات تفوق الأفكار الإسلامية بشأنها .

وبعد الانتهاء من مسائل علم الكلام التقليدية ، عمد الأستاذ إلىٰ المناقشة الدقيقة للمسائل المستحدثة ، فطالع بصبرٍ ودقة نادرة آراء المخالفين من كافة المشارب ، وتُلاحظ في مكتبته ـ الكبيرة نسبياً ـ كتب ومراجع مختلف التيارات السياسية والفكرية وعلىٰ أغلبها حواشٍ وهوامش بقلم الأستاذ ، تعتبر دليلاً خالداً علىٰ عمق تبحّره وسعةِ مطالعاته ، وعدة من هذه الكتب كانت نادرة أو ممنوعة يحصل عليها عبر تلامذته الذين يسعون إلىٰ جلبها إليه .

وبعد النقد والمناقشة الشاملة للأفكار الرائجة ،شرع الأستاذ في نقد وتفنيد آراء أعداء الدين ، والإجابة علىٰ شبهاتهم ، وتوضيح الأفكار الدينية ، فكان بحق حارساً يقظاً محامياً عن حريم الإسلام ، رادّاً هجمات أعدائه من مختلف الجهات والاتجاهات داحضاً لأفكار المخالفين .

فمثلاً دافع عن الأدب الفارسي بعد الإسلام ، ورد سهام أولئك الذين حاولوا تصوير الأدباء والشعراء والمفكرين المسلمين بأنهم سكارىٰ أو عابثون أو زنادقة وملحدون أو متعاونون مع السلطات الظالمة . الأستاذ المطهري كان يعرف أن علة هذه الهجمات الظالمة ترجع إلىٰ كون أفكار الإسلام ومعارفه نفذت إلىٰ قلوب الإيرانيين عبر آثار هؤلاء الذين ترجموها أدباً ونثراً إلىٰ الفارسية ، هذه الآثار التي شملت معارف الإسلام في التفسير والفقه والأصول والحكمة والعرفان والأخلاق . . . ، فأراد الاستعماريون قطع ارتباط الإيرانيين بمعارف الإسلام السامية ، من خلال محاربة الأدب الفارسي تحت ذريعة كثرة اختلاط المفردات العربية به ، الأستاذ المطهري فنّد في كتابه « الخدمات المتبادلة بين الإسلام وإيران » أفكار هذه الهجمات ، ومحورها الأساسي الذي سعىٰ إلىٰ الربط بين مجد الإيرانيين وبين فترة ما قبل اعتناقهم الإسلام ، وإنكار تأثيرات الإسلام علىٰ رقي المجتمع الإيراني ، كما فنّد المطهري شبهات أعداء

الإسلام بشأن حقوق المرأة في الإسلام أو مسألة الرق وما شابه ذلك .

في ذروة تصاعد وقائع الثورة الإسلامية في إيران وقبل فرار الشاه ، قام أحد مدعي الثقافة ـ الذي صرعه اليأس الفلسفي طويلاً ـ قام بنشر مقال مُفصّل سعىٰ من خلاله إلىٰ التشكيك بالحكم الإسلامي الذي كانت تطالب التظاهرات المليونية بإقامته ، وقد نشر هذا المقال في صحيفة « أيندگان » التي كان يديرها الصهاينة المتسترون بغطاء يساري ، وأُحيط المقال بحملة دعائية واسعة ، في تلك الأيام طلب المرحوم المطهري من كاتب هذه السطور أن أجمع كافة نتاجات هذا الكاتب لكي يطّلع عليها ويعد الرد المناسب علىٰ شبهاتها .

وعلىٰ الرغم من ضخامة المسؤوليات التي كان يضطلع بها آنذاك ومن ضمنها مسؤولية رئاسة مجلس الثورة ، وفي خضم تلك اللحظات المصيرية ومشاغلها الكثيرة، لم يترك الأستاذ المطهري مهمة الدفاع عن حريم الإسلام ، فعمد إلىٰ مطالعة آثار ونتاجات الكاتب المذكور وإعداد الرد المناسب علىٰ ما ورد في مقدمته . وقد قام بتوضيح بعض جوانب هذا الرد من خلال مقابلتين تلفزيونيتين أُجريتا معه قبل استشهاده ، وأوضح تناقضات وسخف الأفكار الواردة في تلك المقالة ، وآسف لعدم توفر فرصة شرح أمهات المطالب التي أوردها الأستاذ في هاتين المقابلتين .

المرحوم المطهري لم يكن أبداً من أهل المساومة والمداهنة خاصة في المسائل المرتبطة بالإسلام ، وخلافاً للكثيرين الذين يلتزمون الصمت ـ حفظاً لمصالحهم الشخصية أو مكانتهم الاجتماعية ـ ، تجاه الكثير من التجاوزات علىٰ أحكام ومفاهيم الشرع الحنيف ، كان المطهري يعتبر مثل هذا الصمت ذنباً لا يغتفر ، وكان محالاً أن يلتزم الصمت تجاه ذلك ، فهو في مقام الدفاع عن الإسلام لم يكن يراعي أي مقام أو شخصية فيتحدث عن المخالفات الشرعية بصراحة ويذكر بها دون أيّ ملاحظات مصلحية .

في الأعوام الأخيرة من عمر الحكم الشاهنشاهي واستمراراً لسياساته

المعادية للدين ، قام عملاؤهُ في كلية الإلهيات في جامعة طهـران باستجلاب عـدد من المعادين للدين بعنـوان أساتـذة ومدرسين في الكليـة ليجعلوها منبـراً للدعاية للنظام وسياساته ؛ أحد هؤلاء كان يهاجم الإسلام صراحة في درسه من خلال تدريسه لموضوع تأريخ الفلسفة الإسلامية ، فتصدىٰ له عددٌ من الطلبـة ولكن بسبب قلة معلوماتهم لم يستطيعوا أن يدحضوا شبهاته وأفكاره المنحـرفة فتمادىٰ الأخير في نهجه التضليلي ، أولئك الطلبة المؤمنون لم يجدوا ملجأً إلا الأستاذ المطهري ، فذهبوا إليه وشكوا إليه الحـال ، فتوجـه إلىٰ ذاك المدرّس وعنّفه وفضح مساعيه لاستغفال الطلبة وقال له : « إنه ليس من الفضـل تضليل عدد من الطلبة ذوي المعلومات المحدودة ، ولو كنت تدعي المعرفة فأنا مستعدٌ لمناقشة آرائك في حضور أساتذة الكلية أو طلبتها أو في محفل عام ، ليتضـح الحق من الباطل ، والزبد مما ينفع الناس » ، كما كتب الأستاذ رسالـة مفصلة حول هذا الموضوع إلىٰ إدارة الكلية ودعا إلىٰ تأسيس درس جديد للماركسية في الكلية بدلاً من السماح لذلك المخادع بطرح أفكاره الماركسية من خلال درس الفلسفة الإسلامية .

حادثة أخرىٰ نذكرها كنموذج علىٰ عمق الغيرة الإسلامية لدىٰ هذا العظيم وشـدة حـرصـه عـلىٰ تـصحـيـح الانـحـرافـات ، وهـي تـعـود إلىٰ عام (١٣٩٥ هـ . ق) ، وقد وقعت في مسجد جاويد بطهران ، في تلك الفترة العصيبة وحيث ارتفعت حمىٰ الكفاح المسلح وأصالة أسلوبه ، شاعت في كل مكان العبارة المشهورة « إنّ الحياة عقيدة وجهاد » ، واتخذها العديد من تيارات المسلمين الكفاحية كشعار استراتيجي مقدس ، خاصة تلك التيارات التي كانت تشعر بالضعف والانهزامية مقـابل التيـار الماركسي ، فعمـدت إلىٰ وضع هـذه العبارة ونسبتها إلىٰ الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ، كمقابل للعبارة المنقولة عن ماركس والتي يعتبرها أشياعه شعاراً لهم وهي عبارة « إن تاريخ كافة المجتمعات البشرية هو تاريخ الصـراع الطبقي » ، واستهـدفوا من وضـع تلك

العبارة الحصول علىٰ اعتبار ما لدى اليساريين من أن أصالة الكفاح والصراع موجودة أيضاً في الفكر الديني ، فهم يشاركونهم أيضاً في هذا الشعار الاستراتيجي .

وفي شهر رمضان أو محرم من ذلك العام سعىٰ أولياء المسجد المذكور إلىٰ الاستفادة من تصاعد المشاعر الدينية الثورية تلك ، لرفع مستوىٰ الوعي العام تجاه الأوضاع السياسية ، فدعوا مجموعة من الخطباء الدينيين لإلقاء محاضرات في المسجد ودعوا الأستاذ المطهري لإلقاء محاضرة في أهم ليالي تلك الأيام .

وعلىٰ الرغم من مشاركة بعض زعماء تلك التيارات المتأثرة بالتيار الماركسي ، والذين يرفضون أي نوع من أنواع توضيح الثقافة الدينية الصحيحة تحت ذريعة أن ذلك يؤثر علىٰ وحدة قوىٰ المعارضة للنظام ، وكانوا لذلك ساخطين علىٰ الشهيد المطهري لشدة التزامه برعاية المعايير الشرعية في الأمور كافة وخاصة تلك المتعلقة بشؤون العمل السياسي ، نقول علىٰ الرغم من كل هذه الأجواء غير المساعدة ، كان الأستاذ المطهري وانطلاقاً من إحساسه بمسؤوليته الإلهية ، قد قرر طرح توجيهات حسّاسة تستهدف تصحيح مسار الكفاح وتفنيد قسمٍ من القناعات غير الصحيحة والانحرافية وتوعية الأذهان تجاهها ، ومن هذه القناعات تطرق في محاضرته إلىٰ تلك العبارة المنسوبة إلىٰ الإمام الحسين (عليه السلام) وأوضح عدم صحة هذه النسبة مشيراً إلىٰ أنها مستحدثة في الأدب العربي ولا أثر لها فيه إلىٰ ما قبل خمسين أو ستين عاماً ، وقال : « وفقاً لما توصلت إليه من خلال تحقيقاتي بهذا الشأن فإن هذه العبارة هي شطر من شعر أحد الشعراء المصريين ولا تجوز نسبتها إلىٰ الإمام الحسين (عليه السلام) لا سيما إذا لم يتم توضيح نوع الجهاد المذكور فيها بصورة دقيقة وتحدد هويته الإلهية . . . » .

وهنا تعالت صيحات أولئك المتأثرين باليساريين قائلةً انه ليس من

الصحيح طرح هذه المواضيع لأنها تؤدي إلىٰ إثارة الخلاف بيننا وبين الماركسيين ، وهم يكافحون النظام أيضاً ، لذا علينا احترامهم وتقديرهم ، ولا يجوز القول بخطأهم لمجرد أن كفاحهم غير إلهي .

وعلىٰ أي حال فقد تشنج الوضع في اجتماع تلك الليلة كثيراً ، ولكن الشهيد المطهري أثبت مرة أخرىٰ أنه غير مستعد في دفاعه عن الحق ، أن يغض الطرف ويتساهل ملاحظة لبعض الاعتبارات ، وقد شاهدنا كيف أنه بمرور الزمان وتوالي الحوادث قد اتضحت صحة نظرات المطهري ومواقفه ، واتضح بطلان مواقف المعترضين عليه ، الذين تحولوا سريعاً إلىٰ الانضمام إلىٰ الماركسيين مفتخرين بالإعلان الصريح عن هويتهم ، فاتضح نفاقهم السابق بشأن الارتباط بالإسلام ، وقد تضاعفت أكثر وأكثر فضيحة هؤلاء خلال وقائع ثورتنا الإلهية « ولم يبق للفحم إلا السواد » .

الاستاذ المطهري . . . المصلح المخلص الواعي :

ولد المرحوم المطهري في واحدة من أكثر فترات الحياة الفكرية للبلدان الإسلامية حساسية ، وتعرض وهو في أول شبابه إلىٰ موجات وهجمات الأفكار الإلحادية ، وتعرف عن قرب علىٰ أشكال مؤامرات الكفر العالمي لضرب الإسلام ، كما أدرك علل فشل الكثير من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، وأدرك بوضوح ضخامة مسؤولية الدفاع عن حريم الشريعة المحمدية المنتهك ، خاصة مع اتّساع نطاق المؤامرات المضادة وفقدان إمكانات المواجهة ، ونتيجة كل ذلك أدرك أنّ أي تهاون في الدفاع عن رسالة إبراهيم (عليه السلام) وسلالته الطاهرة سيؤدي إلىٰ ضياع كل شيء وذهاب فرص الإحياء .

وللتحرك في المساهمة في أداء هذه المسؤولية ، عرف أن الخطوة الأولىٰ في مواجهة هذا الخطر العظيم هو في التعرف العميق الشامل علىٰ أبعاد القضية

كافة وماهية المرض لكي نستطيع تحديد العلاج المناسب .

من هنا عمد الأستاذ المطهري إلىٰ القيام بعملٍ تحقيقي واسع ، من أجل معرفة علل تخلف المسلمين وضعفهم وتعريفهم بنقاط الضعف ، يقول هو رحمة الله عليه عن هذا العمل التحقيقي العميق الواسع :

« لا أتذكر بالتحديد متىٰ بدأتُ بالتفكير في علل تخلف المسلمين، ومتىٰ تولدت لديّ رغبة البحث والتحقيق شخصياً حول هذا الموضوع ، ولكن يمكنني القطع بأن هذا الموضوع قد جذب انتباهي منذ أكثر من عشرين عاماً ، حيث أخذتُ بالتفكير به وحوله ومطالعة كتابات الآخرين عنه .

ومنذ ذلك الحين وما زلت أطالع أو أسمع بشوقٍ أيّ كتاب أو قول عن هذا الموضوع وأسعى للتعرف على آراء الخطيب أو المؤلف بشأنه .

وقبل عدة أعوام وخلال محاضرة كنت ألقيها حول أحد الأحاديث الشريفة[1] ، انسحب الحديث في ، منتصف المحاضرة إلىٰ هذا الموضوع ، وعلىٰ الرغم من أن ما قرأته وسمعته إلىٰ ذلك الوقت بشأنه كان مفيداً ، لكنه لم يقنعني ، وحيث وجدت رغبة لديّ ولدىٰ الحاضرين في البحث عن هذا الموضوع واستيعابه ، لذا قررت الخوض فيه بدقة وتحليل وتحقيق كامل ، لأن معرفة علل التخلف التي ما زالت قائمة هي مقدمة معرفة سبيل إصلاح أوضاع العالم الإسلامي الراهنة .

ولإنجاز هذا العمل التحقيقي ، كان عليّ أولاً أن أتعرّف علىٰ آراء الآخرين ـ من المسلمين وغيرهم ـ بشأنه وأناقشها ، وثانياً أن أحدّد المطالب التي ينبغي طرحها بشأن هذا الموضوع حتىٰ لو كانت لم تطرح من قبل ؛ وهنا عرفت اتساع نطاق هذا المبحث ، وأدركت أن هناك مطالب ومباحث كثيرة يجب

---

(١) هو الحديث النبوي «الاسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه» وهو معتمد لدىٰ السنة والشيعة .

البحث فيها والتحقيق بشأنها لكي يكون العمل تحقيقياً مستوعباً وعلمياً ، والتحقيق حول هذه المواضيع كلها أمر لا يستطيعه شخص واحد أو على الأقل يستلزم سنين طويلة .

ورغم ذلك قررت أن أُلخّص مقدمة المطالب المذكورة ، وأخضع بعضها للبحث والتحقيق كنماذج، وأحولها إلى الآخرين لعلني من خلال ذلك أستطيع إيجاد نوع من التعاون والاتحاد الفكري بشأن موضوع اجتماعي إسلامي مهم ، تُنجز في إطاره سلسلة من البحوث المنظمة المفيدة » .

ويشرع الأستاذ في تحقيق عميق حول الموضوع ويستقصي أغلب الموارد الأساسية والمهمة ويسعى إلى عدم إغفال شيء قدر المستطاع ، وكانت الحصيلة إعداد فهرس لسلسلةٍ من المباحث الأساسية التي يستلزم كلٌ منها تحقيقاً علمياً دقيقاً يحتاج إلى مشاركة جمعٍ كثير من المفكرين الإسلاميين ، يقول الأستاذ المطهري بشأن ذلك :

« وفي سلسلةِ هذه المباحث ، يجب طرح مبحث بمثابةِ مقدمة لها ، ويدور حول مسار عظمة المسلمين ثم تخلّفهم ويشمل المطالب التالية :

١ ـ أساس عظمة وسمو الحضارة الإسلامية .

٢ ـ علل وموجبات وركائز الحضارة الإسلامية .

٣ ـ أثر الإسلام في رفعة المسلمين .

٤ ـ اقتباس واستناد الحضارة الأوروبية الحديثة على نتاج الحضارة الإسلامية .

٥ ـ الواقع الراهن للعالم الإسلامي ومظاهر التخلف والانحطاط .

٦ ـ رغم زوال الحضارة الإسلامية إلا أن الإسلام ما زال قوةً حيّة وفاعلة ومترسخة وهو ينافس أقوى القوى الاجتماعية والثورية المعاصرة .

٧ ـ إن الشعوب الإسلامية هي في حالة الاستيقاظ والنهوض .

وبعد هذا المبحث (المقدمة) الذي يحتاج إلىٰ رسالةٍ مستقلة ينبغي طرح بحث فلسفي عميق هو « طبيعة الزمان » المرتبطة بفلسفة التاريخ ، وتُبحث إجابة التساؤل القائل هل أن عامل التقدم والتطور لقوم ما هو نفسه عامل انحطاطهم فيما بعد ، وهذا ما تنازع حوله فلاسفة التاريخ ، حيث هناك مَنْ يقول إن كل عامل يستطيع دفع شعب ما للتقدم والتطور في ظل ظروف معينة ضمن مرحلة تاريخية خاصة ، وفي حال انتهائها وتغيير تلك الظروف لا يعود ذاك العامل قادراً علىٰ دفع مسيرة التقدم تلك ، بل يتحول نفسه إلىٰ سبب للتأخر والتخلف والانحطاط ، فإذا صح هذا القول فهو يعني أن كل حضارة تزول بفعل العوامل نفسها التي أوجدتها ، دون أن تتدخل عوامل خارجية ، فعلىٰ الدوام تكون العوامل القديمة رجعية والعوامل الجديدة هي الرابحة ، فالعوامل الاجتماعية الجديدة توجد حضارة جديدة تختلف لا محالة عن الحضارة السابقة .

ولو صحت هذه القاعدة فلا يمكن بالطبع استثناء الحضارة الإسلامية منها وعليه يكون عقيماً أي بحث عن علل تخلف المسلمين إذا ما فُصلَ عن موضوع علل وعوامل قضية التحضر الاسلامي .



وعلىٰ هذه القاعدة أيضاً لا يجوز لنا تحميل شخص أو شعب أو تيار ما مسؤولية تخلف المسلمين ، فزوال الحضارة الإسلامية كسائر الحضارات الأخرىٰ وكل الظواهر الحية الأخرىٰ هو نتيجة حلول الأجل الطبيعي أو غير الطبيعي عاجلاً أم آجلاً ، فالحضارة الإسلامية ولدت ونمت ومرّت بمرحلة الشباب ثم الشيخوخة ثم ماتت ، فالأمل بعودتها مثل رجاء عودة الموتىٰ إلىٰ الحياة الدنيا ، فلا يمكن القبول به وفق القوانين الطبيعية ولا يمكن تبريره إلا بالمعجزات أو الحوادث الخارقة للعادة الخارجة علىٰ كل حال عما اعتاده بنو الإنسان .

وبعد ذاك المبحث التمهيدي (المقدمة) يأتي دور هذا المبحث الفلسفي التاريخي العميق الذي لا يمكن التغاضي عنه ، فالأفكار الساذجة في هذا المجال كثيرة ولعل هناك الكثيرين ممن يصدقونها .

ولإكمال هذا المبحث الفلسفي وربطه بسلسلة المباحث التالية ، نرى من الضروري البحث الشامل حول قدرة الإسلام في الاستجابة لمقتضيات الزمان أو عدم قدرته علىٰ ذلك ، وهذا البحث يكون بطبيعته علىٰ قسمين الأول فلسفي صرف والثاني إسلامي ، وكلاهما ينضوي تحت عنوان « الإسلام ومقتضيات الزمان » .

وعندما ننهي هذا المبحث ، ونثبت عدم صحة القاعدة المتقدمة حول فلسفة التاريخ ، ونبرهن علىٰ عدم لزوم أن تكون علل تخلف المسلمين هي نفسها علل تقدمهم وتطورهم ، نصل إلىٰ بحث علل ركود مسيرة المسلمين وتوقفها ثم تخلفهم وانحطاطهم وأقوال الآخرين بهذا الصدد .

وينبغي البحث هنا ضمن ثلاثة أقسام بملاحظة أقوال الآخرين ـ من المسلمين وغيرهم ـ وملاحظة المواضيع والقضايا والتيارات المرتبطة باحتمالاته ؛ وهذه الأقسام هي :

١ ـ قسم الإسلام .

٢ ـ قسم المسلمين .

٣ ـ قسم العوامل الخارجية .

ويشمل كل قسم قضايا ومطالب عديدة ، فمثلاً في القسم الأول من المحتمل أن تبحث بعض المفاهيم والعقائد الإسلامية التي تطرح كعوامل مؤثرة في تخلف المسلمين ، وقد يعتبر البعض أن النظام الأخلاقي الإسلامي موجب لتخلف المسلمين وضعفهم ، كما قد يوجد هناك من يعتبر القوانين الاجتماعية الإسلامية سبباً لتخلف المسلمين .

وبالفعل فقد وُجّهت هذه الاتهامات لقسم من المفاهيم والعقائد الإسلامية ، ولقسم من الأخلاق الإسلامية ، وكذلك لقسم من الضوابط الاجتماعية الإسلامية .

وهناك أيضاً فصولٌ متعددة يجب أن تبحث في قسمي المسلمين والعوامل الخارجية .

ومن المفاهيم والعقائد الإسلامية التي وجّهت لها تلك الاتهامات :

١ ـ الاعتقاد بالقضاء والقدر .

٢ ـ الإيمان بالآخرة واحتقار وذم الدنيا .

٣ ـ الشفاعة .

٤ ـ التقية .

٥ ـ انتظار الفرج .

والقضايا الثلاثة الأولى مشتركة بين السنّة والشيعة فيما الأخريان من مختصات الشيعة تقريباً .

فأحياناً يُقال إنّ سر تخلّف المسلمين يكمن في شدة اعتقادهم العميق بالقضاء والقدر ، ويُقال أحياناً أخرىٰ إنّ اهتمام الإسلام الكبير بالآخرة والحياة الخالدة جعل المسلمين يُعرِضون عن التفكير الجاد بالقضايا الحياتية الأساسية ، ويُقال حيناً آخر إنّ الاعتقاد بالشفاعة الموجود في جميع مراحل التاريخ الإسلامي (باستثناء بعض الأفراد وأخيراً باستثناء فرقة مخصوصة) ، جعل المسلمين لا يتورعون عن أي رذيلة ويتساهلون تجاه الذنوب التي ترجع حكمتها أساساً إلىٰ تأثيرها السيء على السعادة .

أما ما يُتهم به الشيعة خاصة فهو التقية وانتظار الفرج ، بالنسبة للأولىٰ قيل إنها أولاً درس في النفاق، وإنها ثانياً جعلت الشيعة خائفين ضعفاء غير قادرين علىٰ مواجهة الحوادث ، أما بالنسبة لانتظار الفرج ، فقيل إنّ هذه الفكرة سلبت من الشيعة أي مسعى للإصلاح ، وفيما تفكر سائر الأمم والأقوام الأخرىٰ بإصلاح شؤونها يجلس الشيعة (بانتظار يدٍ غيبية تأتي لتفعل شيئاً ما) .

وفي الأخلاق الإسلامية اتّهموا : الزهد ، القناعة ، الصبر ، الرضا ، التسليم ، التوكّل ، بأنها عوامل مؤثرة في تخلف المسلمين .

أما فيما يتعلق بالأحكام الإسلامية يبدو أن الأولوية تُعطىٰ لدراسة موضوع « الحكم » وملحقاته حيث يعتقد البعض أن الإسلام لم يحدد بصورة كاملة واجب المسلمين تجاه هذا الموضوع المهم .

وتعتبر القوانين القضائية والجزائية في الإسلام ، من المواضيع التي يجب أن تُبحث هنا، وهي التي أُستبعدت في الكثير من البلدان الإسلامية ، ولجأت هذه البلدان إلىٰ اقتباس قوانينها الجزائية من منابع أخرىٰ وهي الآن تتلقىٰ عقوبة ذلك بدرجةٍ أو بأخرىٰ .

وهناك قسمٌ من القوانين المدنية في الإسلام ، وُجّهت لها هجمات عنيفة كحقوق المرأة أو الأحكام الاقتصادية المتعلقة بالمالكية والإرث وغيرهما .

الحدود التي شرَّعها الإسلام فيما يرتبط بعلاقات المسلمين بغيرهم من أمثال زواج المسلمين بغير المسلمين ، أو ذبيحة غير المسلم أو نجاسة الكافر ، أو الحقوق والحدود في العلاقات الدولية . هذه الحدود هي من ضمن المواضيع التي أزعجت البعض فاعتبروها سبباً لتخلفهم عن ركب الحضارة .

هذه هي مجموعة مسائل وقضايا ينبغي أن تبحث في قسم الإسلام من الأقسام الثلاثة المتقدمة ، وهناك ـ ولله الحمد ـ أرضية مناسبة حالياً لإنجاز هذه التحقيقات التي يؤدي اتضاح نتائجها إلىٰ تعزيز إيمان الشباب والمتعلمين ودحض الشبهات عن أذهانهم .

وبعد الانتهاء من هذا القسم نصل إلىٰ قسم المسلمين حيث ننتقل من الإسلام إلىٰ المنتمين إليه ، حيث هناك مَنْ يقول إنّ الإسلام ليس هو عامل تخلف المسلمين ، بل إنهم هم أنفسهم عامل هذا التخلف وهم المسؤولون عنه .

وتبرز في هذا القسم تفصيلات عديدة ، فعلينا أولاً تحديد نقاط الانحراف ، فما هي الأمور الإسلامية التي هجرها المسلمون ؟ وما هي الأمور التي ليست من الإسلام في شيء لكنها شاعت بين المسلمين ؟! وعلينا ثانياً مناقشة هل أنّ عامة المسلمين هم المسؤولون عن هذا التخلف أم خاصتهم ؟!

لقد ظهر الإسلام بين العرب ثم انضوت تحت لوائه شعوب أخرىٰ من الإيرانيين والهنود والأقباط والبرابرة وغيرهم ، ولكل منهم خصائص قومية وتاريخية خاصة به ، فيجب البحث والتحقيق لمعرفة هل أن جميع هذه الشعوب أو بعضها هي التي حرفت الإسلام عن مساره الأصلي بسبب خصوصياتها القومية الراسخة ؟ وهل أن مصير المسلمين سيكون غير ما هو عليه الآن لو كان الإسلام قد انتشر بين شعوب أخرىٰ كالشعوب الأوروبية مثلاً ؟

ألم يكن لعامة المسلمين تأثير في الوصول إلىٰ الواقع الراهن وما نزلت

بالإسلام والمسلمين من مصائب ؟! وهل أن مسؤولية ذلك تقع علىٰ خاصة المسلمين من حكّامٍ وعلماء ؟!

أما في قسم العوامل الخارجية فهناك الكثير من التيارات التي يجب دراسة تأثيرها ، فمنذ صدر الإسلام كان له أعداء لدودون في الداخل والخارج ، فلم يكن اليهود والنصارىٰ والمجوس والمانويون والزنادقة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، لم يكونوا يغفلون عن الكيد للإسلام وكانوا يضربونه بخناجر من الخلف ، وكان لمعظمهم تأثيرٌ كبيرٌ في تحريف وقلب الحقائق الإسلامية ، من خلال وضع الأحاديث ، أو إثارة الفرقة والاختلاف بين المسلمين ، أو الترويج للاختلافات وتكريسها علىٰ الأقل .

وتُلاحظ في تاريخ الإسلام حركاتٌ سياسية ودينية أوجدها غير المسلمين بهدف إضعاف أو محو الإسلام .

وكانت توجّه أحياناً هجمات عنيفة ضدّ العالم الإسلامي ، وأبرزها الحروب الصليبية والهجوم المغولي ، ولكل من هذه الهجمات تأثيرٌ كبيرٌ في تخلف المسلمين .

وأخطر هذه الهجمات هو الاستعمار الغربي في القرون الأخيرة الذي امتص دماء المسلمين وجعل ظهرهم محنياً بفعل ضغوط مظالمه بحقهم » .

* * *

بعد أن عرض هذه الأطروحة دعا المرحوم المطهري كل من يستطيع أن يقدم شيئاً إلىٰ التعاون لإنجازها ، لكنّهُ لم يحصل علىٰ استجابة مشجّعة ، ورغم ذلك شدّ أحزم العزم دون أدنىٰ ضعف أو تردد ، وتولىٰ بنفسه مسؤولية القيام بهذا العمل التحقيقي الواسع والمهم .

إن ملاحظة عشرات المؤلفات التي خلّفها الأستاذ المطهري وسائر

محاضراته وآثاره الأخرى، توضح حقيقة أنه لم يَحِدْ قيد شعرة عن أطروحته الأساسية هذه طوال حياته القصيرة المباركة ، وتثبت حقيقة أنه قد نجح إلىٰ درجة كبيرة في إنجاز الكثير والكثير جداً من مطالب ومباحث هذا العمل التحقيقي الضخم .

المرحوم المطهري وضمن مواصلة نشاطاته الإصلاحية ، عبر أعماله التبليغية والإرشادية في الحوزة والجامعة وعبر المحاضرات العامة، وكذلك عبر كتابة الكتب والرسائل والمقالات المختلفة في المواضيع التي يحتاجها المجتمع ، إضافةً إلىٰ كل ذلك كان الشهيد يهتم بأمرين آخرين الأول إصلاح الجهاز الحوزوي، والثانية تربية أنصار أوفياء يواصلون الدرب حتىٰ تُعطي تلك المشاريع الإصلاحية ثمارها، وكان إلى آخر أيام حياته يعتقد بقوة أن الطائفة الوحيدة الجديرة بقيادة الثورة الإسلامية هم العلماء الحوزويون الواعون الأتقياء العارفون بأحوال العصر وشؤونه ، لذلك كان يدعوهم للثورة والقيام بدورهم الأساسي هذا ، كان ومنذ سنيّ حياته الاجتماعية الأولىٰ يقول للعلماء إنكم أنتم المسؤولون عن إنقاذ الناس من هجمات وعدوان الغرب والشرق، ولا يليق بكم الغفلة عن ذلك في هذه الظروف الحساسة .

في عام (١٣٨٢ هـ .ق) نشر الأستاذ مقالاً تحت عنوان « المشكلة الأساسية في الجهاز الحوزوي » سعىٰ خلالها إلىٰ تقديم اقتراحات لإزالة العقبات القائمة أمام التحرك الفاعل للحوزة ، وتابع هذه المساعي باعتبارها فريضة مقدسة واستمر علىٰ ذلك حتىٰ عامي (١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ .ق) حيث تبلورت الثورة الإسلامية للشعب الإيراني ، وآنذاك قام بنشر كتاب « الحركات الإسلامية في القرن الأخير » والذي استهدف من خلاله توعية الجماهير بالأخطار والعقبات التي تعترض طريق الثورة وتقديم التوجيهات اللازمة لمواصلة التقدم ضمن المسار الصحيح، مذكراً بالدور الأساسي للحوزة وعلمائها في هداية الثورة وقيادتها ، وفي هذا الكتاب حدد الأستاذ بوضوح ودقة آفات الثورة، ومواصفات

القيادة الصالحة، مصرحاً أن العلماء الحوزويين الواعين والأتقياء هم وحدهم الجديرون بقيادة الثورات الإلهية .

وهنا ومن خلال نقل فهرس الآفات التي تحدث عنها الأستاذ في هذا الكتاب وأشار إلىٰ تعرض الثورات الإلهية لها ، ومقارنتها بوقائع الأعوام المنصرمة من عمر ثورتنا الإسلامية ، يمكننا ملاحظة مصداق آخر من مصاديق النظرة الصائبة الثاقبة للأستاذ الشهيد ؛ يقول (رحمة الله عليه) :

« . . . نذكّر هنا بما نراها آفات ـ تهدد الثورات الإلهية ـ دون أن ندعي أننا استقصيناها بصورة كاملة وهي :

١ ـ تسلل الأفكار الأجنبية الدخيلة .

٢ ـ الإفراط في التلاهث خلف الحداثة .

٣ ـ عدم متابعة الثورة والتخلي عنها قبل الوصول إلىٰ الهدف .

٤ ـ تسلل النفعيين .

٥ ـ عدم وضوح المشاريع والخطط المستقبلية للثورة .

٦ ـ تغيير الدوافع والانحراف عن المسار الأصلي » .

المطهري . . . المصلح العامل :

الأستاذ الشهيد كسائر المصلحين المخلصين ، قرنَ آراءه الإصلاحية بالخطوات العملية ساعياً لتحسين أوضاع المسلمين وموقعية الإسلام .

فقد كان له تعاون وثيق مع لجان « الائتلاف الإسلامي »، وتولى مسؤولية توجيهها وهدايتها فكرياً وعملياً ؛ ومعروفٌ أنه وبعد عملية اغتيال حسن علي منصور (رئيس وزراء الشاه الأسبق) واعتقال الشهيد (محمد بخارائي) واختفاء أفراد هذه اللجان ، قام الشهيد المطهري بمهمة إعادة الثقة والسكينة إلىٰ

القلوب التي اضطربت بسبب تلك الاعتقالات والملاحقة ، وشجّعها علىٰ مواصلة الجهاد ، فقام بعقد دروس عميقة لأفراد اللجان المذكورة تحت عنوان « الإنسان والمصير » ، وكانت ثمرة هذه الدروس كتاباً قيّماً طبع تحت هذا العنوان نفسه .

وكان للأستاذ الشهيد دور أساسيّ في نشاطات جماعة العلماء المجاهدين منذ بداية تأسيسها تحت قيادة الإمام الخميني إلىٰ انتفاضة خرداد من عام (١٣٨٣هـ .ق) ثم وبعد نفي الإمام عن إيران ، تولىٰ المطهري مهمة « تسجيل » الثورة وأنجز هذه المهمة علىٰ الرغم من كل الصعاب والضغوط الآتية من الأصدقاء الجهلة بشكل إتهامات وإشاعات أو من جبهة الأعداء بشكل ملاحقة وسجن وأشكال المنع وتقييد التحرك .

وعلىٰ صعيد آخر فمما لا شك فيه أنه ولولا الجهود الضخمة الدؤوبة لهذا الرجل العظيم لما كان معلوماً كيف كانت ثورتنا الفتية ستواجه وتصمد وتقاوم ـ بعد سقوط الشاه ـ كل تلك التيارات الفكرية المنحرفة ذات الإمكانات الواسعة والدعاية الواسعة التي تبثّ بها أفكارها المسمومة بين الشباب الطيّبين والسذّج ويرغبونهم ببضائعهم الفكرية الخادعة والمزيفة .

لقد دأب الأستاذ المطهري مُنذ بداية حياته الاجتماعية وخاصةً بعد انتفاضة خرداد وإلىٰ نهاية حياته المباركة ، علىٰ تكثيف جهوده من أجل توعية المسلمين وإصلاح حالهم وتعريفهم بواقعهم وحقيقة التيارات الفكرية المخادعة ، هذه الجهود ـ ورغم عدم وضوحها الظاهري ـ شكّلت تياراً قوياً مقتدراً أوجد تغييرات أساسية في أفكار المجتمع ، وواصل عمله الأساسي دون الاهتمام بعتاب اللائمين ، فهو يدرك أهمية وفورية الحاجة لهذا العمل الرسالي المهم فواصله دون يأس أو ضعف وكأنه كان يضع نصب عينه مفاد قوله تعالىٰ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا مَنْ يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾

في سنيٍّ تصاعد حمى أفكار الكفاح المسلح ، واجهت مجموعةٌ من الجامعيين ـ المتأثرين بهذه الحمى والذين لم يستطيعوا بسبب ضيق آفاقهم من فهم الأبعاد المختلفة للحوادث الواقعة وطبيعة اتجاهاتها ـ واجهت الأستاذ المطهري بالعقوق ، واتهمته بعدم التوجه الفاعل للعمل الثوري الاجتماعي ، وهي على الرغم من اعترافها بمنزلته العلمية ، كانت تعارض حضوره في محافل الطلبة الجامعيين الذين يكنون له الكثير من الود والاحترام .

ورغم عدم نجاح تلك المجموعة في مساعيها لمنع حضور الأستاذ ، إلا أنها كانت تواصل مساعيها في إثارة العقبات بكل ما استطاعت ، وكانت بذلك تعمل ـ عن جهل أو عن عمد ـ على حرمان الشباب الظامىء المستعد من الارتواء من نبع المعارف الإسلامية النقية المتجسد في أفكار المطهري موجهة بذلك ضربةً للثورة الإسلامية .

وننقل هنا بعض الحوادث الحاكية عن جهل وتعصب تلك المجموعة المنحرفة ، والكاشفة في الوقت نفسه عن عمق مظلومية وصمود وثبات الأستاذ المطهري ، وهذه الحوادث التي عاصرها كاتب هذه السطور وإن كانت ترتبط بجامعة « صنعت شريف » في طهران إلا أنها تمثل الحالة التي كانت عليها المحافل الجامعية كافة في ايران في تلك الأعوام .

في عام (١٣٩٤ هـ .ق) ، كان بعض أفراد تلك المجموعة من الجامعيين يتولون إدارة الشركة التعاونية في الجامعة ، وكانوا عبر ذلك يقومون بطرق ملتوية بإبعاد كتب المطهري عن أيدي الجامعيين . وعندما اعترضت غالبية الطلبة في الجامعة على هذا الإجراء ، كانوا يبررونه بأن هذه الكتب

تحتوي مطالب ضعيفة وغير علمية ، كما أنها تسبب الفرقة بيننا وبين القوىٰ اليسارية (التقدمية) ، (وبالطبع لا يحتاجون إلىٰ الاستدلال علىٰ هذه الادعاءات) أو عندما يعجزون عن الإجابة يقومون بتحركات دكتاتورية لإجبار سائر الطلبة علىٰ الرضوخ ، والملفت للانتباه هنا أن عدداً من أفراد تلك المجموعة الجامعية انضموا إلىٰ منظمة « بيكار » الشيوعية واختفوا ، وعدد آخر منهم انضم بعد الثورة إلىٰ صفوف منظمة « منافقي الشعب » وقدموا لها خدمات كبرىٰ قبل أن ينتقلوا إلىٰ العيش في الأوكار والمخابىء ؛ ولا شك بأن القراء الذين عاصروا تلك الأحداث يعرفون هوية هؤلاء .

حادثة أخرىٰ ترتبط بالعام المذكور نفسه ، فبعد إعلان منظمة « پيكار » لتبنيها الصريح للماركسية ، قرر طلبة جامعة (صنعت شريف) ، دعوة عدد من المفكرين الإسلاميين لإلقاء محاضرات في الجامعة من أجل الحدّ من الاضطراب والأذىٰ المعنوي الذي لحق بالطلبة الجامعيين بسبب ذاك الإعلان ، وبعد تبادل وجهات النظر تقرر دعوة الأستاذ المطهري أو أحد الشخصيات العلمائية وكان حوزوياً أيضاً وهو ما زال علىٰ قيد الحياة ، فرجّح أكثر الطلبة اختيار الشهيد المطهري واتفقوا علىٰ ذلك ، ولكن اعترض عددٌ من أفراد تلك المجموعة من الجامعيين علىٰ قرار الأغلبية وقالوا نرجح اختيار العالم الآخر ، وبرروا هذا الاختيار بقولهم إنهم انتبهوا مرة عند صعوده المنبر أن « جواربه » ممزقة وهذا دليل علىٰ شدة الروح الثورية لديه ! !

وهناك الكثير من الذكريات عن أمثال هذه التبريرات الطفولية يتذكرها من عاشوا في محيط الجامعات في تلك الأيام ، ولو قدر لهذه الذكريات أن تجمع وتُدون لاحتاج الأمر إلىٰ حمل بعير من الورق ، وعلىٰ أي حال فمن المناسب أن نختم هذا البحث بالحادثة التالية :

في عام (١٣٩٩) وقبل أشهر من انتصار الثورة وحيث اقتربت نشاطات ثورة شعبنا المسلم من ذروتها ، شدد المتآمرون المنافقون من تحركاتهم

الشيطانية من أجل حرف الثورة عن مسارها الأصلي ، وكان منهـا مؤامرة إقـامة أسبوع التضامن الـوطني ، فوفقـاً لخطة معـدة محسوبـة تقرر إقـامة مؤتمـرات وندوات في جامعات البلد كافة التي كانت مغلقةً آنذاك كإجراء احتجاجي ضد النظام ، وفي هذه المؤتمـرات تقرر أن يتحـدث ممثلون عن مختلف الأحزاب والتيارات بمختلف مشاربها وعقائـدها حـول موضـوع التضامن الـوطني وكيفية الـوصول إليه، وأن يجتنبوا قـدر الإمكان التـطرق للقضايـا المختلف بشأنهـا ، ويؤكدوا في المقابل علىٰ النقاط المشتركة ، وكان الهدف من ذلـك هو إعـداد الأرضيـة لسلب القـوىٰ الإسـلاميـة حق قيـادة الثـورة ، لكي يـطرح أولئـك ـ المتآمرون ـ أنفسهم كشركاء فيها .

وبدأت هذه المؤتمـرات عملها في عـدة جامعـات في آن واحد ؛ وَلكن المقيمين لها كانوا عجولين إلىٰ درجةٍ اتضح معها منذ اليوم الأول أن الهدف منها هو مجرد إنكار الروح الإسلامية للثورة ، وضرب العقيدة التي تشكل المحـرك الأساسي لها ، والغريب أنه حتىٰ بعض الخطباء الذين شاركـوا في المؤتمرات ممثلين للقوىٰ الإسلامية وقعوا في الفخ وساهموا ـ من حيث لا يدرون ـ في دعم أهداف المقيمين لها ؛ وهذه الحقيقة اتضحت لهم في اليوم الثاني أو الثالث من بدء عقد تلك المؤتمرات ، وقد اتفقنا بمعية عدد من أصدقائنا في الجامعة علىٰ أن نستعين بالأستاذ المطهري لوضع حدٍّ لهذه المؤامـرة ، والمثير أنـه حتىٰ في تلك الظروف كان بعض أفراد تلك المجموعة من الجامعيين ، يعارضون فكرة طرح اسم الأستاذ المطهري في تلك المؤتمرات ، ومع ذلـك ذهبنا إلىٰ منـزل الأستاذ وطلبنا أن يحضر الاجتماع التـالي لإلقاء محـاضرة بـاعتباره ممثـلاً عن القـوىٰ الإسـلاميـة ، ورغم ذلـك الـظرف غيـر المشجـع وافق الأستـاذ وأعلن استعداده ولكنه قال « انظروا الوضع فإذا رأيتم أن فائدة حضوري أقل من ضررها فأخبروني لامتنع عن الحضور » ، وعلىٰ الطرف الآخر قام أفراد تلك المجموعة ولأجل مواجهة دعوتنا للشيخ ، قاموا بدعوة الدكتور « بيمـان » لإلقاء كلمـة في

اليوم نفسه ، وقرروا أن يكون هو المتحدث الأول ، ومع الأسف فعلىٰ الرغم من تذكيره المتكرر بالاتفاق ، نحا الدكتور « جيمان » في كلمته باتجاه الهدف الذي يريده مقيمو تلك المؤتمرات ، فأكد أن جميع الأحزاب والتيارات لها دور في الثورة ، وعلىٰ الإسلاميين أن لا يتصوروا بأنهم أصحاب الدور الرئيسي فيها ، وأحاديث أخرىٰ من هذا النوع كانت أشبه ما تكون بالهجمات العنيفة ، وانقضت دقائق كلمته علينا وكأنها قرون ، وأخيراً انتهت كلمته وجاء دور كلمة الأستاذ المطهري ، فبدأ كلمته بمتانةٍ واتزانٍ وعزّة وهيبة هي من خصائص عباد الله المؤمنين ، وتحدث عن تاريخ الثورة مشيراً إلىٰ مختلف المؤامرات التي حاكتها أحزاب شتّىٰ لحرف الثورة عن مسارها ، ثم أشار بصورة إجمالية إلىٰ انتفاضات الشعب الإيراني خلال القرن الأخير ، وشرح أسباب هزيمتها ، وأثبت أن جميع هذه الانتفاضات إنما هي نتاج روح الإسلام وارتباط الجماهير المسلمة بتراثهم الديني العريق ، كما أن النجاحات الأولية التي حققتها كانت بفضل حضور العلماء الحوزويين فيها ، وعندما فُصلوا عنها عبر مكائد شتىٰ ، أُصيبت بالضعف والفتور والوهن ثم الهزيمة والانكسار .

ثم تحدث عن دور شخصية قيادة الثورة ، وأثبت ببيانٍ بليغ أن قيادة الثورة الحقيقية هي كما في الثورات السابقة للعلماء المجاهدين الأتقياء السائرين علىٰ نهج سيد الأحرار الحسين بن علي (عليه السلام) ، وأن القائد المطلق الوحيد للثورة الحالية هو روح الله وسليل رسوله الإمام الخميني . . .

وهنا دوت صيحات التأييد من الحاضرين الذين تجاوز عددهم عدة آلاف ، وارتفعت أصوات التكبير والصلوات علىٰ الرسول وآله معبرة عن أن ما يقوله الأستاذ معبّر عن لسان حال الجميع .

وكانت ثمرة هذه الكلمة الحماسية للأستاذ ، هي قيام الطلبة المسلمين في جامعة « صنعت شريف » ، بحركة جريئة منسّقة في عصر ذلك اليوم نفسه ، طهروا خلالها الجامعة من عملاء النظام الشاهنشاهي المشؤوم ، وأعلنوا عبر

تظاهرات غاضبة إنهاء أسبوع التضامن ووأد مؤامرتـه ، وقد أدت هـذه الحركـة البطولية التي فجّرها الأستاذ الشهيد من خلال كلمته التوعوية ، إلىٰ فضح هوية المقيمين الحقيقيين لتلك المؤتمـرات التآمـرية وأجبـرتهم علىٰ وقف مؤامرتهم تلك .



غلّفوا بها الإسلام بل جنّد جهوده النشطة من أجل المساهمة الفعّالة في تحقيق ذلك .

وكان يعتقد بضرورة الالتزام الدقيق بالمبادىء والتعاليم الإسلامية النقية ، وفي الوقت نفسه التعرف علىٰ ثقافات ومعارف الآخرين واستخراج الثمار الإيجابية لها ولأفكار كبار مفكريها للاستفادة منها في توسيع وتنضيج الثقافة الإسلامية .

يقول الأستاذ المطهري في مقدمة الجزء الأول من كتابه « التعرف علىٰ العلوم الإسلامية » وبعد أن يوضح المعنىٰ الصحيح لهذه العلوم ، يقول حول الثقافة الإسلامية :

« تعتبر الثقافة الإسلامية ، ثقافة مميزة بين ثقافات العالم ، فلها روحٌ خاصة بها ، ومجموعة من المميزات الخاصة بها .

ولمعرفة فيما إذا كانت ثقافةٌ ما تمتاز بالأصالة والشخصية المستقلة ، ولها روح وخصائص خاصة بها ، أم أنها ثقافة تلفيقية منتزعة من ثقافات أخرىٰ سابقة لها ، أو أنها مجرد استمرار لهذه الثقافات ، نقول لمعرفة ذلك يجب علينا دراسة الدوافع الحاكمة علىٰ تلك الثقافة واتجاهات حركتها وطبيعة ظهورها ونموها وكذلك عناصرها البارزة .

فإذا كانت لها دوافع خاصة بها ، وكانت حركتها موجهة باتجاه خاص بها ، كما أن طريقة ظهورها ونموها وتحركها تختلف عن سائر الثقافات الأخرىٰ ، ولها أيضاً عناصر خاصة بها تمتاز بظهور خاص أيضاً ، ففي هذه الحالة يمكننا القول بأن هذه الثقافة أصيلة ولها شخصية مستقلة .

ولكن الأصالة والشخصية المستقلة لا تعني أن هذه الثقافة يجب أن لا تكون قد انتفعت من ثقافات وحضارات أخرىٰ فهذا هو المحال ، ولا توجد ثقافةٌ

المطهري . . . مجاهد صادق لاحياء الاسلام :

سخّر المرحوم المطهري حياته المباركة من أجل إحياء العلوم الدينية ، وبعث الحياة في أوساط المسلمين ، ولم يكتفِ بالدعوة لإزالة الخرافات التي في العالم لم تستفد من الثقافات والحضارات الأخرىٰ ، ولكن المهم هو طريقة الاستفادة .

فمرةً تضم الثقافة أو الحضارة ، ثقافةً وحضارةً أخرىٰ دون أي تصرف أو غربلة ، وهذا نوعٌ من الاستفادة ، وهناك نوعٌ آخر تتغذىٰ فيه الثقافة بالثقافات الأخرىٰ فتهضمها وتحولها إلىٰ شيء جديد والثقافة الإسلامية انتفعت من الثقافات والحضارات الأخرىٰ وفق الطريقة الثانية ، فهي نمت وتطورات مثل نمو الخلية الحيّة ، جذبت الثقافات اليونانية والهندية والإيرانية وغيرها ، وحولتها إلىٰ شيء جديد يحمل مواصفات وخصائص الثقافة الإسلامية نفسها .

ويعترف المحققون في تاريخ الثقافات والحضارات أن الثقافة والحضارة الإسلامية تقف في صف كبريات الحضارات الإنسانية » .

ولكن وعلىٰ الرغم من هذه السابقة المشرقة للثقافة الإسلامية الأصيلة التي كانت في زمن ما علة ظهور كبرىٰ الحركات الحضارية في التاريخ الإنساني ، يرىٰ الأستاذ المطهري أن هذه الثقافة قد فقدت حيويتها ، وأصبحت أشبه بموجود في حالة الاحتضار منها بشجرة مثمرة يانعة ؛ ومن جهة أخرىٰ لا نجد بين المسلمين أثراً لتلك الروح الملحمية التي تجسّدت في أسلافهم الأماجد ، حتىٰ أصبح الحال وكأن غشاوة غليظة من غبار الاستكانة والتهاون والنسيان قد غلّفت جسد الأمة الإسلامية وأطفأت شعلة الحياة الإسلامية بين المسلمين .

ومن أجل إحياء الأفكار الإسلامية وبعث الحياة والحركة بين المسلمين

عمد الأستاذ المطهري ـ في الخطوة الأولىٰ ـ إلىٰ توضيح علل الواقع المأساوي هذا ، وهي إضعاف الروح الدينية ، والإعراض عن الحق كما سماها ، فسعىٰ في كتابه « الدوافع نحو المادية » إلىٰ تحديد أبرز عوامل التوجه نحو المادية والإعراض عن المعنويات والإيمان في الغرب ، وضمن حديثه عن كل عامل سعىٰ إلىٰ توعية « المتغربين » الذين تطوعوا للترويج للثقافة الغربية وتوهموا أن أتباعها هو سبيل التخلص من تخلفهم ، وكذلك سعىٰ إلى توعية المسلمين الذين فقدوا الثقة بأنفسهم وانبهروا بالتقدم الظاهري للحضارة الغربية واعتبروها حقاً مطلقاً لا نقاش فيه ، نقول سعىٰ الأستاذ لتوعية جميع هؤلاء بحقيقة أن الغربيين لو كانوا قد أعرضوا عن الدين واعتبروه أفيون الشعوب بألف مبررٍ ومبرر فإن ذلك يصدق علىٰ الدين المحرّف المنتشر بينهم ولا ينطبق بأي حالٍ من الأحوال علىٰ الإسلام ، فهو دين الحياة والحركة الذي يدعو الجميع إلىٰ السعي والتحرك وينبذ الجمود ، يقول (رحمه الله) في رسالة « إحياء الفكر الإسلامي » التي تضم محاضرة ألقاها في عام (١٣٩٠ هـ .ق) بمناسبة ذكرىٰ وفاة العلامة إقبال : ـ

« الإسلام هو علىٰ الدوام داعية الحركة والحياة المفعمة بالمعرفة والاقتدار .

وإطلاق صفة « الحي » علىٰ الذات الإلهية المقدسة في القرآن الكريم لا تعني بحال أن الله قلباً ودماً وشرايين ، بل تعني أنه العالم والقادر المطلق .

إن منهج الإسلام هو منهج المعرفة والاقتدار أو الوعي والحركة ، وطبقاً لنصوص القرآن فإن المنهج التفكيري الذي لا يثمر المعرفة والاقتدار بل يؤدي إلىٰ الجمود والجهل ، ليس من الإسلام في شيء ، فالإسلام هو دين الحياة التي ترفض الجهل والجمود والعجز والضعف . . . » .

ولكن المسلمين الذين ورثوا هذا المنبع الفياض العظيم والجوهرة الثمينة، جهلوا قيمتها فهجروها ووصل بهم الحال إلىٰ درجةٍ أصبحوا يعارضون فيها أي نوع من النشاط والتحرك، يقول الأستاذ الشهيد في جانب آخر من الرسالة المذكورة: -

«أحد أصدقائنا كان يمتاز بطرافة خاصة، وله تفسير طريف للظواهر يسميه «منطق سيارة الدخان»، كان يقول: عندما كنت صغيراً كان منزلنا في مدينة ري قرب مرقد السيد عبد العظيم الحسني، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك خطوط سكك الحديد العديدة، وكان هناك سكة قطار واحدة فقط توصل بين مرقد السيد عبد العظيم ومدينة طهران، كنت أرىٰ الأطفال يجتمعون في محطة القطار وهم ينظرون إليه بإعجاب ودهشة وكأنهم يولونه احتراماً وتعظيماً، ويستمر هذا الحال إلىٰ أن تحين ساعة تحركِ القطار، وعندما يشرع بالحركة يأخذ الأطفال بالركض ورمي القطار بالحجارة.

كنتُ أستغربُ هذه الحالة وأتساءل مع نفسي، إذا كان ينبغي رمي القطار بالحجارة فلماذا لا يفعلون ذلك وهو واقف، وإن كان ينبغي إظهار الإعجاب به، فهذا الإعجاب ينبغي أن يتضاعف عندما يتحرك القطار فلماذا يشرعون في رميه بالحجارة بعد أن يتحرك؟

وظلت هذه التساؤلات قائمة في نفسي حتىٰ كبرتُ ورأيت أن هناك قانوناً عاماً حاكماً علىٰ مختلف المجتمعات البشرية، فأي شيء نجده يحظىٰ بالاحترام والإعجاب ما دام ساكناً، ولكن ما أن يتحرك ويشرع في خطوته الأولىٰ تهجم عليه الحجارة من كل جانب يرمونه بها إضافة إلىٰ الامتناع عن مساعدته...».

المرحوم المطهري كان يدرك جيداً أن التخلف الذي شاع بين الشعوب الإسلامية خلال القرون الأخيرة، قد أصابها بمصيبة مضاعفة، إذْ إنه من جهة

أبعدها عن ثقافتها ودينها وأفكاره ومفاهيمه ، وجعلها تقتنع بالقشور دون اللب ، ومن جهة أخرىٰ جعلها عاجزة عن معرفة الجذور والأساس الفكري للحضارة الغربية المهاجمة ـ بمعناها الثقافي لا الجغرافي ـ ، وكل ذلك جعلها علىٰ استعداد لتقبل أيّ تخلف وسقوط وأي إجراء آخر .

ويرىٰ الأستاذ المطهري أنّ الخلاص من هذا الواقع المأساوي المؤسف يستلزم طي ثلاث مراحل أو التسلح بثلاثة أسلحة هي :

آ : الإحاطة ومعرفة الثقافة الإسلامية بمختلف أبعادها .

ب : الاطلاع علىٰ الثقافات الأجنبية .

ج : تعزيز وإكمال ملكة الاجتهاد ، وهو القوة التي يمكن من خلال الاستعانة بها والاستناد إلىٰ العلوم المكتسبة ، الإجابة علىٰ المسائل المعاصرة والمستحدثة واكتشاف نقاط القوة والضعف في الأفكار المختلفة والاستعانة بذلك لحل مشاكلنا . وقد سعىٰ (رحمة الله عليه) بنفسه لتحقيق هذا النموذج الإنقاذي واتباعه بدقة . فإلىٰ جانب إكمال دراساته في مختلف فروع الثقافة الإسلامية (فقهاً وفلسفةً وعلم كلامٍ وعرفاناً وتاريخاً وتفسيراً وأدباً) ، قام الأستاذ بدراسة الثقافة الغربية ، مركزاً علىٰ الجانب الفلسفي والاقتصادي منها ، بحكم دائرة تخصصه .

وقد قام الأستاذ بالدراسة النقدية للثقافة الغربية منذ الأعوام التي كان خلالها يكتب هوامشه وشرحه لكتاب « أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة » ، وتابع هذه الدراسة النقدية الجادة إلىٰ آخر أيام حياته . وكان يُدرّس في الدروس الخاصة التي أعدّها لأساتذة الجامعة ، مباحث الاقتصاد والفلسفة الحديثة ، كما كان يعمد بحكم سعة اطلاعاته ومعلوماته إلىٰ دراسات مقارنة ، ومناقشات نقدية وتطبيقية .

وكانت ثمرة هذه الجهود الدؤوبة هي نجاح الأستاذ الشهيد في حلٍّ الكثير

من المشاكل والمعضلات التي طرحتها التيارات المتغربة وكشف نقـاط ضعفها ونقائصها ، كما استطاع من جهة أخرىٰ إحياء الثقافة الإسلامية والمساهمة في إثرائها .

ويمكن الإشارة ـ كنماذج لإبداعات الأستاذ في هذا المجال ـ إلىٰ نجاحه في حلٍّ مشكلة ملكية وسـائل الإنتـاج المتطورة والمكـائن الصناعيـة الكبيرة ، وكذلك برهنته علىٰ بطلان نظريةِ « جدلية هيغل » بأسلوب جديـد مبدع ، كمـا أوضح بطلان ادعاء الماركسية للواقعية .

وإضافة إلىٰ متابعة تحقيقاته العميقة وجهوده الدؤوبة لإحياء دور وفاعليـة المعارف الإسلامية المنسية ، كان الأستاذ المـطهري يسعىٰ إلىٰ تصحيـح آراء سائر المفكرين والمحققين المعاصرين وتوجيههم إلىٰ التحقيقات العلمية النافعة وتحذيرهم من الأفكار غير النقية ، وهنا يمكن اعتبار انتقاداته الاستدلالية المتينة لآراء المفكرين التجريبيين أو المؤلفين المتغربين أو المتشرقين من المعالم التي لا تُنسىٰ في العقود المنصرمة من تاريخ هذا البلد .

ويعتبـر الدكتـور علي شريعتي من أبـرز المفكـرين الـذين كـان الأستـاذ المـطهري يـرغب في تصحيح أخـطائه والحيلولـة دون انحرافـاته المحتملة ، وحسبما ما نقله الأستاذ بنفسه لكاتب هذه السطور ، فإنه كان وبحكم معرفته عن قرب بكفاءات الدكتور شريعتي ، يعتقد أن للدكتور قدرة عميقة يمكنه بها التأثير بدرجة كبيرة في صياغة أفكار جيل الشباب ، ولذلك كان الأستاذ يرغب كثيراً في تنقية أفكار الدكتور قدر المستطاع من الغث والانحرافات ويقـرّبها من الأفكـار الإسلامية النقية ، شريطة أن ينجز هذه المهمة الإلهية ، بطريقة لا يُلحق معها أدنىٰ إساءة بشخصية الدكتور شريعتي .

ومن إجراءات الأستاذ في هذا المجال التصحيحي والتي أُثيـرت حولهـا ضجّة كبيرة هي نشره بياناً حول الموضوع بالاشتراك مع المهندس « بازرگان»،

ولكن هذا الإجراء الضروري الذي لم يرد منه سوىٰ رضا الله تبارك وتعالىٰ لم يُنقل إلىٰ الحيز العملي ـ رغم توافر الجرأة المطلوبة فيه ـ بسبب وساوس الخناسين وضعف وتهاون بعض الأصدقاء ، فبُعيد نشر هذا البيان نشر المهندس بازرگان بياناً آخر تبرأ فيه مما ورد في البيان الأول وكأن نشر البيان الأول هو ذنبٌ لا يغتفر ، لذا سعىٰ لتبرئة نفسه من مسؤولية كتابته ونشره .

وقد سألت الأستاذ بعد فترة مديدة من هذه الحادثة عن ملابساتها فقال :

« كان هدفنا هو إحياء الأفكار الجديدة البديعة للدكتور شريعتي ، وأردنا من خلال تصحيح أفكاره ومؤلفاته ، أن نجعل المتعلقين بقلمه ينتفعون به بصورة أفضل ، هذا أولاً وثانياً أن نسدَّ الطريق أمام أي شكلٍ من أشكال إساءة استغلال مؤلفاته والمساعي المنحرفة لأولئك الذين يسعون إلىٰ تشويه صورة المعارف الإسلامية .

أما بالنسبة للمهندس بازرگان فلعله كان أكثر اندفاعةً منّي للقيام بهذه المهمة ، لقد كنا حريصين علىٰ أن ننجز هذه المهمة بصورة يُحفظ بها احترام شخصية الدكتور شريعتي في أذهان الناس خاصةً جيل الشباب ، فلا تلحق به أي إساءة ، فنناقش أفكاره بصورة علمية محضة .

وقررنا أن ننجز هذه المهمة والخدمة للمجتمع الإسلامي حتىٰ لو كان ثمن ذلك تعرضنا لأشكال الاتهامات والافتراءات ، قررنا أن نحفظ مفكراً مثل الدكتور من أن يتحول إلىٰ مصدر للانحراف الفكري ، وأن تتحول أفكاره إلىٰ موارد استغلال المنحرفين ، وأن نجعل المجتمع الإسلامي قادراً علىٰ الانتفاع من الأفكار المنسجمة مع المعارف الإسلامية من بين الأفكار الجديدة التي طرحها الدكتور .

ولكن مع الأسف ، جاء المهندس بازرگان بعد فترة وجيزة من بدء العمل بهذه المهمة ليخبرني باعتذاره عن مواصلة العمل ، وبذلك توقف هذا المشروع

الكبير الذي كان من الممكن أن يصبح منشأً للكثير من الخيرات والبركات ويفتح باب الحوار والنقد الذاتي في أوساط المتدينين وإحياء آثار الدكتور الباقية .

وقد عرفت فيما بعد هوية الذين غيّروا رأي المهندس بازرگـان ، وبينهم أشخاصٌ ليست لهم نوايا حسنة أبداً ، بل ان نصائحهم كانت بدوافـع الأهواء والأمراض النفسية » .

أما الشهيد المطهري ووفاءً بالعهد الذي عاهد العلماءُ الربانيون الله تعالىٰ عليه من مواصلة الدفاع عن دين الحق حتىٰ النفس الأخير ، فقد واصـل إنجاز هذه المهمة المقدمة قدر استطاعته ، ولـم توحشـه في طريق الحق قلة سـالكيه متحملاً شتىٰ الاتهامات والافتراءات والأذىٰ وضغوط الأعمال والمهـام الأخرىٰ ليكون مصداقاً حقيقياً للنهج النبوي : ـ « إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب . . . » .

ومن خـلال مراجعـة نتـاجـات الشهيـد المـطهـري في الفتـرة التي تلت الحوادث المتقدمة يمكن ملاحظة أنه خصص أقساماً وفصولاً لنقـد أفكار وآراء الدكتور شريعتي وتصحيحها دون أن يذكر نسبتها إليه بالاسم .

كمـــا يمكن من خـلال مـراجعـة الآثـار المخـطوطـة التي تـركهـا الأستاذ (رحمة الله عليه) وكذلـك الحواشي التي دونهـا علىٰ مؤلفات الـدكتور شريعتي ، تشكيل مجموعة قيمـة ونادرة من مبـاحث النقد العلمي النـزيه التي دونهـا عـالمٌ إسـلامي عـارف علىٰ آراء مفكـر مسلم ، وآمـل أن تنـظم هـذه الملاحظات الخطية للأستاذ المطهري وحواشيه النقدية وتوضع بصورة مناسبـة تحت تصرف الجيل الثوري المعاصـر المتعطش لمعـرفة الحقيقـة والذي يُكنُّ الاحترام والتقدير لأساتذته ومعلميه .

وكما قُلنا في بداية هذا الفصل فإن جهود الأستاذ لإحياء الفكر الإسلامي لـم تنحصر في إزالة الخرافات والأفكـار غير الأصيلة التي علقت بـه ، بل إنـه

ومثلما كان يعارض بشدة إلحاق الأفكار غير النقية والأجنبية بالمعارف الإسلامية بصورة تلفيقية غير سليمة ، كان في الوقت نفسه يرفض ويكافح بقوة الجمود والتحجر والتعبّد بالخرافات والافتخار الأحمق بالعظام النخرة للسالفين ، والخشية من التطوير والتحديث والابتكار .

كان (رحمة الله عليه) ينتقدُ بشدة ، تلك الطائفة من المسلمين الذين يعشقون ويقدسون أفكارهم التي تبنوا أغلبها عن تقليد محضٍ ودون مناقشة نقدية سليمة ـ والذين يرفضون التخلي عن الخرافات التي أدخلوها في عقائدهم وعقائد أتباعهم باسم الدين ، وكان الأستاذ يعتبر هؤلاء من العوامل المهمة في إبعاد الشباب عن الأفكار الإسلامية الأصيلة البناءة .

وإضافةً إلىٰ ما تقدم ، وإضافةً إلىٰ مساعيه في التحديث وتقديم الأفكار الإبداعية السليمة والأصيلة ، وجهوده لإثراء الثقافة الإسلامية عبر استخراج وتنقية منابعها الثرية المنسية ، وكذلك عبر التركيب والتأليف بين الآراء والنظريات العميقة للمفكرين من المدارس الأخرىٰ بعد تنقيتها وغربلتها وتحويلها إلىٰ ما يناسب الصبغة الإسلامية ومعارفها القوية الراسخة دون تلفيق انحرافي مرفوض ، نقول إضافةً إلىٰ كل ذلك ، شخّص الأستاذ المطهري الطريق العملي لإحياء مجد المسلمين ، بتحقق الوحدة الواعية بينهم أولاً ، وثانياً بالتخلق بالأخلاق الإسلامية والالتزام العملي بأحكام وأوامر الشريعة الإسلامية السمحاء وبالخصوص إحياء العمل بسنّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله .

في الفصل الأخير من كتاب « الدوافع نحو المادية » يشرح الأستاذ جانباً من توجيهاته بشأن إحياء الفكر الإسلامي ومواجهة التيارات الإلحادية فيقول :

« . . . وعلىٰ أي حالٍ فإن الخطوة الضرورية لمواجهة النزعة المادية تكمن في تقديم وعرض المنهج الإلهي القادر علىٰ الاستجابة وتلبية الاحتياجات

الفكرية لمفكري العالم .

وفي المرحلة الثانية يجب توضيح ارتباط المسائل والأحكام الإلهية بالقضايا والشؤون السياسية والاجتماعية ، كما ينبغي تحديد منزلة ومقام الدين الإلهي من زاوية أساسية الحقوق السياسية والاجتماعية فيه ، بحيث تزول شبهة أن الإيمان بالله ملازم للخضوع لمنطق القوة واستبداد الحكام ، والتعاليم الإسلامية ولله الحمد غنيةٌ ثريةٌ بما يدحض أمثال هذه الشبهات علىٰ الرغم من أنها لم تُبلّغ إلا قليلاً .

إن واجب المفكرين الإسلاميين الواعيين هو تبيان وتبليغ الأحكام الحقوقية في الإسلام تجاه القضايا السياسية والاقتصادية بالذات وتعريف الناس بها .

كما يجب في المراحل اللاحقة مكافحة فقدان النظم والتنسيق في العمل التبليغي ومكافحة الآراء غير التخصصية في هذا المجال .



كما ينبغي الاهتمام الكامل بقضية توفير الأجواء الأخـلاقية والاجتمـاعية المتناسبة مع المفاهيم المعنوية السامية ، إذ إن الإسلام أولىٰ أهمية كبرىٰ لهذه القضية ولأجلها شرع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبغض النظر عن سائر أبعادها فإن توفير تلك الأجواء يعتبر أمراً ضرورياً للأرضية المناسبة لنمو وتطور المفاهيم والقيم المعنوية السامية .

والأكثر ضرورةً من كل شيء في عصرنا الراهن ، هـو أن يسعى العارفون بالمفاهيم والقيم الإسلامية الحقّة إلىٰ بعث الروح الثـورية التي تشكـل عنصراً أساسياً في التعاليم الإسلامية ، « وهذا يحتاج ولا شك إلىٰ جهاد فكري وجهاد بالقلم والبيان . . . وجهاد عملي كذلك » .

وللتفكير الفلسفي والمطارحات العقلية والتأملات النظرية ، سابقة طويلة بين المسلمين وتاريخ مليءٌ بالحوادث الطريفة والمرّة .

ورغم أن الإسلام قد ظهر في وسط قوم سيطرت عليهم الأوهام الجاهلية والظنون الباطلة لا معرفة لهم بالمعارف السماويـة ، لكنه استـطاع خلال فتـرةٍ قصيرةٍ وبصورةٍ إعجازية تحويل رجالٍ من هؤلاء إلىٰ عرفاء ليوث النهار ورهبان الليل ، بل وخلق حضارةٍ عظيمة متألقة امتدّت إلى أجزاء واسعةٍ من العـالـم ، ولـم يشهد التاريخ الإنساني نظيراً لها لا من قبل ولا من بعد .

لقد أدىٰ الانتشار السريع للإسلام ودخول أقوامٍ وشعوب مختلفة إليـه ، بينهـا من يتملك مواريث ثقـافيـة عـريقـة ، كـالإيـرانيـة واليـونـانيـة والـروميـة والهندية ، إلىٰ توفير الأرضية المناسبة لتفتّح الطاقات الكثيرة الكامنة في الثقافة الإسلامية .

لقد أدرك المسلمون مبكّراً ضرورة الاطّلاع والتعرف علىٰ ثقـافات سـائر الأقوام والملل الأخرىٰ ، فعمدوا إلىٰ الاستعانة بالمترجمين المتمرسين والبـدء بحملةٍ واسعةٍ لترجمة المصادر العلمية للملل الأخرىٰ ، وخلال مدة قصيرة نقلوا

مجموعةً ضخمةً من الآثار والمؤلفات العلمية والفلسفية من اللغات اليونانية والسريانية والبهلوية (الفارسية القديمة ـ المترجم ـ) والسنكريتية إلىٰ اللغة العربية .

ولكن ترجمة هذه الآثار والمؤلفات ما هي إلا المقدمة الضرورية لإنجاز مهمة إثراء الثقافة والعلوم الإسلامية ، من هنا لم يمرَّ وقتٌ طويلٌ حتىٰ بدأت عمليات التحقيق والنقد والمناقشة لهذه المؤلفات من قبل علماء المسلمين ، فنمت بذلك ـ وبسرعة قياسية ـ الشجرة المباركة الطيبة للمعارف الإسلامية التي أصلها راسخ ثابتٌ في الوحي الإلهي ، وامتدّت فروعها الطيبة إلىٰ مختلف الفروع الحياتية ، من علوم اللغة والآداب ، إلىٰ الفلك والنجوم والرياضيات إلىٰ علم الكلام والفلسفة والعرفان ، وعلوم الفقه وأصول الفقه ، وعلوم التفسير وغيرها ، نمت وتكاملت كل هذه الفروع بسرعةٍ مدهشةٍ وعانقت ثمارها السماء وعطّرت روائحها أجواء الأمصار الإسلامية .

ومن بين هذه الفروع الطيبة لشجرة الثقافة الإسلامية حظيت الفلسفة بموقعٍ ممتاز ومكانة سامية ؛ وفي الوقت نفسه تعرضت أكثر من غيرها من فروع الثقافة الإسلامية الأخرىٰ ، إلىٰ هجوم ورفض وإبطال طائفة لها ، وتأييد وإحقاق طائفةٍ أخرى .

فبعض اعتبر دراسة الفلسفة مساوية للكفر والزندقة ، وطرحوا شعار « حسبنا كتاب الله » مؤكدين أن لا حاجة لنا بالمعارف المستلهمة من اليونانيين وأمثالهم ، فلا مبرر أن يتوجه المسلمون الذين ارتووا من ينابيع الوحي الصافية إلىٰ ما نسجته عقول أرسطو وأفلاطون وأمثالهما .

وبعضٌ ذهب إلىٰ ما هو أبعد من ذلك واعتبروا دراسة الفلسفة أسوأ من الكفر ، وانتقدوها لأنها تؤدي إلىٰ إيجاد الحجاب الأكبر والجهل المركب .

وقد ضعفت الحركة الفكرية كثيراً واشتدت معارضة الفلسفة بين أهل

السنة بسبب رواج أفكار الأشاعرة ونبذ مسلك المعتزلة من جهة ، ومن جهة أخرىٰ ظهور مشرب من وصفوا أنفسهم بأهل الحديث الذين استندوا إلى ظواهر الأحاديث واكتفوا بها وأعرضوا عن أي شكلٍ من أشكال البحث والتعمق والتفسير في القضايا المختلفة بل ومنعوا ذلك ، حتىٰ وصل الأمر الى حدّ قيام أبي حامد الغزالي ـ وهو الفقيه السنّي الكبير وصاحب الكتاب القيّم إحياء علوم الدين ـ ، بتصنيف كتاب تهافت الفلاسفة ، الذي انتقد فيه الفلاسفة في عشرين مسألة واعتبرهم في سبعة عشر مسألة منها أهل بدعة ، وفي ثلاث أخرىٰ من أهل الكفر ، وهي مسائل القول بأزلية العالم وإنكار المعاد الجسماني وإنكار العلم الإلهي بالجزئيات .

ولم يضعف تيار رفض الفلسفة بين عامة المسلمين في القرون الأخيرة ، بل استقوىٰ بفعل تأثير أفكار المفكرين الغربيين علىٰ المسلمين خاصةً في البلدان العربية ، فتجدد هذا التيار واستقوىٰ في مقدمة الجزء الخامس من شرحه لكتاب « أصول الفلسفة ومنهج معرفة الحقيقة » يشير الأستاذ المطهري إلىٰ القضية المتقدمة فيقول :

« في عصرنا الحاضر ، اتّخذت معارضة التعمق في المسائل الفلسفية شكلاً آخر وصبغةً جديدة ، وهي صبغة الفلسفة الحسّية ، فكما نعلم ، انتصر في أوروبا المنهج الحسّي والتجريبي في معرفة حقائق الطبيعة علىٰ المنهج القياسي ، وإثر هذا الانتصار ظهرت فكرة تقول إن المنهج القياسي والعقلي لم تعد له قيمة في أي مكان ، وإن الفلسفة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها هي الفلسفة الحسّية ، والنتيجة اللازمة لهذه الفكرة هي أن الإلهيات ما دامت خارجة عن دائرة الحس والتجربة فهي أمرٌ مجهولٌ لا يمكن التحقق بشأنه ، بل إن البعض عمد إلىٰ إنكارها جملةً وتفصيلا ، وهذا هو الذي شهده الغرب . . . » .

أما بالنسبة للعالم الإسلامي فقد شهد موجةً من المعارضة ذات السابقة

التاريخية تبنّاها أهل الحديث تجاه كافة أشكال التفكر والتعمق ، هذا أولاً وثانياً شهد علىٰ الطرف الآخر الانتصارات المتتالية للمنهج الحسّي في معرفة الطبيعة ، وهناك ثالثاً عامل صعوبة التعمق في الفلسفة وصعوبة حلّ معضلاتها ، هذه العوامل أثّرت بشدة علىٰ الكتاب المسلمين وأدت إلىٰ ظهور نظرية تلفيقية بينهم تقول بأن التحقيق في الفلسفة الإلهية أمرٌ ممكن ولكن هنا أيضاً تجب الاستفادة من المنهج الحسي والتجريبي المستخدم في معرفة الطبيعة ، وقد دعا إلىٰ هذه النظرية وانتقد مخالفيها كُتّابٌ من أمثال فريد وجدي وسيد أبو الحسن الندوي وكذلك مفكرو الإخوان المسلمين من أمثال سيد قطب ومحمد قطب .

وعلىٰ الرغم من مخالفة المسلمين العرب للفلسفة ، فإن إقبال الإيرانيين عليها كان ملحوظاً منذ بداية انتشار الإسلام بينهم ، واستمر بحيث أنه وبعد انطفاء شعلة الأفكار الفلسفية بين عامة المسلمين ، حمل الإيرانيون مشعلها وحالوا دون زوالها ونجحوا في ذلك بل وفي انتشار أنوارها ومضاعفة تشعشعها وتألقها يوماً بعد آخر ، مؤدّين دَينهم تجاه المعارف الإسلامية من خلال تربية فلاسفة كبار ، منْ أمثال أبي علي ابن سينا ، والشيخ شهاب الدين السهروردي والملا صدر الدين الشيرازي .

وقد أدىٰ إقبال الايرانيين على الفلسفة إلىٰ ظهور أشكالٍ من سوء الفهم لدىٰ بعض المفكرين العرب ، وكذلك المفكرون الغربيون ، فادّعىٰ بعضهم كأحمد أمين المصري ، أن الفلسفة ألصق بالشيعة منها بالسنّة ، وعلّل ذلك بميل الشيعة إلىٰ الأفكار الباطنية ؛ فيما ادّعىٰ بعضٌ آخر من أمثال « راسل » أن سر ميل الشيعة إلىٰ المسائل العقلية يرجع إلىٰ خصوصيتهم القومية وانتمائهم الإيراني .

وإضافةً إلىٰ هذه الآراء التي تفتقد التحقيق العلمي ، ظهرت بين الشيعة أيضاً تيارات عديدة معارضة للفلسفة تشابه التيارات التي ظهرت بين أهل السنّة ، والحديث عن هذه التيارات مفصلٌ لا يسعه المقام .

وهناك تيارٌ ظهر في السنين الأخيرة يحصر طريق معرفة الحقائق الإلهية بالتدبر في آيات القرآن الكريم دون أن يحدد طريقة التدبّر وقواعدها ، هذا التيار لم يحرّم تعلّم الفلسفة والعلم الجديد والعرفان ـ صراحةً ـ لكنه يحصر فائدتها بمعرفة الباطل دون الحقائق الإلهية ، فهو يسعىٰ بطريقةٍ خفيةٍ إلىٰ نفي الفلسفة الإلهيّة وبالتالي المعارف الإسلامية التي تثمرها هذا أولاً ، وثانياً فهو يغرق طلاب الحقيقة في الظلمات من خلال عدم تحديد سبل وقواعد التدبّر في آيات القرآن الكريم والاكتفاء بالأقوال العامة دون تفصيل وشرح ينير أمام المشتاقين لمعرفة الحقائق الإلهية درب التدبر في القرآن المجيد .

المرحوم المطهري كان يرىٰ نفسه وجهاً لوجه أمام هذه التيارات المختلفة التي تعارض التعقل وتطوير العمل العقلي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت دراسته الدقيقة المعمّقة للتاريخ الإسلامي تُثبت بوضوح حقيقة أن ضعف الاهتمام بالعلوم العقلية بين المسلمين كان علىٰ الدوام سبباً في ازدياد قوة وشدة تأثير التيارات المنحرفة علىٰ الأمة الإسلامية ، وتمزيقها لها وتحويل المسلمين إلىٰ فرق متنازعة وتيارات صغيرة متطاحنة ضلت جميعها عن الصراط المستقيم .

ومن جهة ثالثة كان (رضوان الله تعالىٰ عليه) يرىٰ الأفكار المنحرفة ذات الظاهر الحسن والمجهزة بسلاح الاستدلال المنطقي والفلسفي المخادع ، وهي تهجم بكثافة من الشرق والغرب علىٰ العالم الإسلامي ، وتوقع المسلمين لا سيما جيل الشباب في شباكها المتنوعة ، كما كان يرىٰ هذه الأفكار المنحرفة المستوردة تتلفح أحياناً بغطاء إسلامي ، وتختلط ببعض الأفكار الإسلامية ، فيزيد ذلك من قدرتها علىٰ خداع وتضليل شباب المسلمين .

كما كان (رحمه الله) يرىٰ كيف أن النزعة المادية والإعراض عن الحق أخذا ينتشران في البلدان الإسلامية كتيارات غالبة خطف بريقها الأبصار فأعماها عن إدراك عمق الفاجعة .

ولمواجهة هذا الواقع المأساوي الخطير ، قام الأستاذ المطهري بإنجاز مجموعة من الأعمال الإصلاحية الأساسية أبرزها هي :

أولاً : الدفاع عن الحكمة والفلسفة الإسلامية وإثبات استقلالها ودحض الاتهامات التي وجّهت إليها خاصة اتهام كونها ذات منشأ يوناني .

وعلىٰ هذا الصعيد قام (قدس سره) وبعد مقدمات تمهيدية بإثبات حقيقة أن القرآن الكريم والسنّة (الأحاديث الشريفة) ، شكلا المصدر الأساسي والأول في تدوين العلوم العقلية الإسلامية لا سيما الفلسفة الإلهية ، ولو لم يكن هناك من دافع للمسلمين سوىٰ هذين المصدرين لكانا كافيين في تشجيع المسلمين للتوجه نحو هذه العلوم والبحث فيها بصورة فعّالة وجادة .

لقد وردت في القرآن والسنّة الكثير من الأحاديث السماوية عن قضايا الفلسفة الإلهية ، فما هو الهدف منها ؟! ، هل أن الهدف هو طرح سلسلة من المسائل المستعصية التي لا يمكن حلّ رموزها لإجبار العقول علىٰ التسليم والسكوت والقبول الأعمىٰ بها ؟! أم أنّ الهدف هو طرح دروس سامية للتدبر



التفكّر والفهم والاستلهام ، وتحريك الأذهان وفتح آفاق الخوض في بحور المعارف الإلهية السامية ؟!

إن القضايا الصادرة عن منابع الوحي الإلهي هي علىٰ قسمين ، الأول يشمل مجموعة من الأحكام العملية التي يجب الالتزام بها لتُعطي الثمار المطلوبة منها ، وفي هذا القسم لا يؤثر فهم وإدراك ماهية هذه الأحكام ومعرفتها كثيراً في الحصول علىٰ ثمارها ، المهم هو العمل بها وليس معرفتها ، فمن يدرك أسرارها دون أن يعمل بها لا يحصل علىٰ شيء ، فيما الذي يعمل بها تعبّداً وحتىٰ دون الاطلاع علىٰ أسرارها وحكمتها يحصل علىٰ ثمارها المقررة ؛ وغالباً ما تكون حكمة وأسرار هذه الأحكام خارج دائرة إدراك العقل الإنساني ، نعم مما لا شك فيه أنّ اقتران المعرفة والعمل بهذه الأحكام يؤدي إلىٰ نتائج وثمار أفضل ولكن الهدف الأول هنا علىٰ كل حال هو العمل وليس المعرفة فالتعبّد والتسليم تجاهها أمران أساسيان .

أما القسم الثاني من القضايا الصادرة عن الوحي الإلهي فهي سلسلة من المسائل النظرية والعقائدية المتعلقة بالذات الإلهية المقدسة وصفاتها الثبوتية والسلبية ـ صفات الجمال والجلال ـ ، ومسائل العوالم السابقة لعالم الدنيا والتالية له ، وكثيرةٌ جداً هي النصوص الواردة بشأن هذه المسائل سواءٌ في القرآن الكريم أم في السنة علىٰ هيئة أحاديث أو أدعية أو احتجاجات أو خطب .

فمثلاً في نهج البلاغة ورد الحديث عنها حدود الأربعين مرة بعضها علىٰ شكل مباحث مفصلة يستغرق كل منها الصفحتين والثلاث ؛ وفي كتاب « الكافي » للكليني ورد أكثر من (٢٠٠) حديث شريف في أبواب التوحيد تناولت قضايا من أمثال إثبات وجود الخالق والحد الأدنىٰ من المعرفة ، وصفات الجمال كالعلم والقدرة ، وصفات الجلال كنفي الجسمية والتحرك وغيرها ؛ وكتاب « التوحيد » للشيخ الصدوق هو بحدِّ ذاته يضم بحوراً من المعرفة ، فحملت حدود الـ (٤٥٠) صفحة مباحث وأحاديث تحت

عنوان « التوحيد ونفي التشبيه » و (٢٠) صفحة عن « العلم والقدرة » و (١٢) صفحة عن « صفات الذات وصفات الأفعال » ، و (٣٧) صفحة عن « اسماء الله » و (٢٧) صفحة في «الرد علىٰ الزنادقة» ، و (٢٥) صفحة عن « القضاء والقدر » ، و (٣٥) صفحة اختصّت باحتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) مع أهل الأديان وأصحاب المقالات ، وهناك مباحث أخرىٰ غير ذلك ، وجميعها لم تُطرح بشكل سلسلة من القضايا التعبدية بل بصورة مطالب استدلالية تفهيمية تضم مقدمات منطقية تبنىٰ علىٰ أساسها النتائج .

في القرآن ونهج البلاغة وخطب المعصومين واحتجاجاتهم وأدعيتهم وردت مباحث عن الإحاطة الذاتية لله عز وجلّ وقيوميته وكونه مطلقاً لا حدّ له ، وكونه الوجود المطلق الذي لا يُحدّ بحدٍّ ولا يُقيّد بقيد لا يخلو منه مكانٌ ولا زمان ، سابق للمكان والزمان ، واحد دون عدٍّ ، الزمان والمكان متأخران عليه ، بمعنىٰ أنهما في مرتبة فعله ، وجودُهُ مساوٍ لوحدته ، ودليل وجوب وجوده هو عين دليل وجوب وحدانيته ، مع كل شيء وليس في شيء ، مع كل شيء لا علىٰ نحو التقارن ، وخارج كل شيء لا علىٰ نحو الفصل والعزلة ، كل شيء منه وراجع إليه ، بسيطٌ لا جزءَ له ، صفاته عينُ ذاته ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، أوليته عين آخريته ، وظهورُهُ عين بطونه ، لا يشغله شأنٌ عن شأن ، كلامُهُ عينُ فعله ، كلت العقول عن كنه معرفته ، ومعرفته نوعُ تجلّيه في العقول جلّ عن التجسيم والسكون والحركة والتبدل والتغيّر والمثل والضد والشَبَه والاستعانة بغيره .

كما وردت في القرآن أشكالٌ من الاستدلال نظير قوله تعالىٰ :

﴿ قل لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ﴾ الأنبياء ، آية ٢٢ .

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق

ولعلا بعضهم علىٰ بعض . . . ﴾ المؤمن ، آية ٩١ .

لقد بُحثت قضايا « الذات والصفات والأسماء » مفصلاً من قبل فلاسفة الشرق والغرب وعرفائهما ومتكلميهما ، ضمن مناهج استدلالية كثيرة ومتنوعة ، ولكن المنهج المستخدم في المتون الإسلامية ، هو منهج مبتكر لا سابق له ، مثلما أن القضايا المطروحة فيها لم يُطرح الكثير منها سابقاً كمعظم المسائل التي أشرنا إلىٰ عناوينها آنفاً . كما أن مناهج الاستدلال في فلسفة ما بعد الإسلام اختلفت عما قبله ، فمثلاً نلاحظ ـ خلال مرحلة ما بعد الإسلام ـ أن أساليب الاستدلال اليونانية علىٰ الأغلب التي نراها في كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد ، ونصير الدين الطوسي ، تختلف عن مناهج الاستدلال عند صدر المتألهين الشيرازي ، فمناهج الأخيرة مفعمة بالاستلهام من القرآن ونهج البلاغة وأحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام) .

المحور الاستدلالي في كتب الفارابي وابن سينا مثلاً ، ينطلق من قاعدة « وجوب الوجود » في مباحث الذات والصفات وشؤون الحق تعالىٰ من وحدة وبساطة وغنىً ذاتي وعلم وقدرة وإرادة ، فجميعها تُستنتج من وجوب الوجود وهذا يُبرهن عليه بدوره بنوع من « البرهان الإنّي » عبر طريق غير مباشر ، وبهذا الطريق لا يمكن دون فرض « واجب الوجود » إثبات وجود « الممكنات » ، لذا فلا يمكن للعقل أن يصل عبر هذا الطريق إلىٰ الملاك في واجب الوجود .

أما في المتون الإسلامية ، فقد تم الاستناد إلىٰ منطلق آخر هو ملاك وجوب الوجود ، وهو إطلاق وعدم محدودية الذات المقدسة للحق تعالىٰ ؛ يقول الأستاذ العلامة الطباطبائي (قدس سره) في (العدد الثاني من نشرة « مكتب تشيع »/ مقدمة بحث روايات المعارف الإسلامية :

« هذه الإيضاحات الواردة في الفلسفة الإلهية ، تحلُّ سلسلة من المسائل

والمطالب التي لم تُطرح بين المسلمين من قبل ولم تكن مفهومة بين العرب ، بل لم تكن أساساً معنونة في كلمات فلاسفة ما قبل الإسلام الذين تُرجمت كتبهم إلىٰ العربية بل وفي كتب حكماء الإسلام ـ من عرب وعجم ـ الذين تركوا آثاراً في هذا المجال .

وبقيت هذه المسائل علىٰ هذه الحالة من الإبهام والغموض وقام كل واحد من الشرّاح والباحثين بتفسيره حسب ما يفهم فاتضحت بعض الشيء ، وفي القرن الحادي عشر الهجري حُلّت وفُهمت كمسألة الوحدة الحقّة للواجب « الوحدة غير العددية » ، ومسألة أن ثبوت وجود الواجب هو عينه ثبوت وحدانيته (وجود الواجب لكونه وجوداً مطلقاً فهو مساوٍ للوحدانية) ، ومسألة أن الواجب معلومٌ بالذات ، وأنه يُعرف بنفسه دون واسطة ، ويُعرف كل شيءٍ به وليس العكس . . . » .

وعلىٰ سبيل المثال لا نجد في نهج البلاغة وهو أحد المصادر الأساسية للمسلمين لا نجد أبداً ولو مورداً واحداً يُطرح فيه « وجوب الوجود » باعتباره قاعدة لتفسير وجود الممكنات ، بل إن المنطلق هو من الملاك الحقيقي لوجوب الوجود ، أي من حقيقة محض وجودِ الذات الإلهية المقدسة .

يقول الأستاذ المطهري ضمن شرحه لحديث مروي عن الإمام علي (عليه السلام) في كتاب « التوحيد » للشيخ الصدوق :

« إن أساس البيان هنا هو أصل أن وجود الحق سبحانه حقيقة واقعية لا حدّ لها ولا حصر ولا نهاية فهو الواقعية المحضة التي يفتقر إليها كل موجود ويصدر وجوده منه .

نعم فالأساس والمنطلق في المباحث كافة الواردة في نهج البلاغة عن الحق تعالىٰ ، هو حقيقة أن الله تعالىٰ الوجود المطلق غير المحدود الذي لا يحدّه أبداً قيدٌ ولا حد . . . هو أول الأولين وآخر الآخرين . . . » .

وهذا المنطلق والأساس الذي نجده في نهج البلاغة لا نرىٰ من آثاره شيئاً في كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي ونصير الدين الطوسي ، وكما أشار الأستاذ العلامة فإن هذه المطالب العميقة في الإلهيات بالمعنىٰ الأخص ، تستندُ إلىٰ سلسلةٍ من القضايا التي تمت البرهنة عليها في مباحث الفلسفة العامة ، ولا يسعنا هنا التطرق إليها وبيان براهينها .

القضايا المطروحة في نهج البلاغة لم تكن مطروحة من قبل من قِبَل فلاسفة العالم حتىٰ في عصر السيد الرضي جامع نهج البلاغة أمثال : أن وحدة واجب الوجود ليست وحدةً عددية ، فالعدد في مرتبة متأخرة عن مرتبة الذات المقدسة ، أو قضية أن وجوده تعالىٰ مساو لوحدته وأنه بسيط الحقيقة ، ومعيته مع كل شيء وقضايا أخرىٰ ، هذا أولاً ، وثانياً فإن الاستناد في هذا الكتاب يختلف عن البحوث الفلسفية المتداولة في عالم اليوم ، وعلىٰ هذا لا نستطيع القول إنّ ما ورد في هذا الكتاب هو من اختراعات العارفين بالمفاهيم الفلسفية .

إن لنهج البلاغة دوراً عظيماً في فلسفة المشرق ، ونلاحظ هنا شدة تأثر صدر المتألهين ـ الذي غيّر الكثير من أفكار ونظريات الفلسفة الإسلامية ـ بكلمات الإمام علي (عليه السلام) ، فكان منهجه في مسائل التوحيد قائماً علىٰ أساس الاستدلال بالذات من الذات ، ومن الذات علىٰ الصفات والأفعال ، وجميعها مستندة إلىٰ محض وجود الواجب ، وهذا يستند إلىٰ سلسلة من المبادىء والأصول التي تمت البرهنة عليها في الفلسفة العامة .

إن الفلسفة الإلهية للمشرق قد نمت ببركة معارف الإسلام وبها استقوت مستندةً إلىٰ سلسلة من الأصول والمبادىء المتينة ، أما الفلسفة الإلهية في الغرب فهي محرومة من هذه المزايا .

وبعد أن يستعرض الأستاذ الشهيد كل القضايا المتقدمة ويؤكد علىٰ أن

طرح المباحث العميقة في الفلسفة الإلهية هو الذي فتح الآفاق الرحبة للمسلمين لا سيما شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ؛ يقول رحمة الله عليه :

« وعلىٰ أي حال لم تكتف المصادر الإسلامية ببحث هذه المسائل وهي من أمهات مسائل الفلسفة الإلهية ، بل إنها طرحت مسائل أخرىٰ عديدة تعتبر ذروة ما يصل اليه العقل البشري ولم يسبقها أليها أحدٌ في عالم الأفكار والآراء ؛

فما هو الهدف من طرح هذه المسائل ، إنها ليست أحكاماً وأوامر لكي نقول إن واجبنا تجاهها هو العمل بها وحسب ، فهي مجموعةٌ من القضايا النظرية ، فإذا كان من غير الممكن للعقل الإنساني فهمها واستيعابها فما الفائدة من طرحها ؟! كأن يطرح معلمٌ علىٰ تلميذ في الصف الأول الابتدائي مسائل تتعلق بمرحلة الجامعة ، ويأمره بأن يقتنع بما يقوله رغم أنه لا يفهمه .

ويصرح حديث شريف مروي عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بأن الله تبارك وتعالىٰ أنزل سورة الإخلاص (التوحيد) والآيات الأولىٰ من سورة (الحديد) لقوم يأتون في آخر الزمان يشير الحديث الشريف إلىٰ تعمقهم في المعارف الإلهية .

والعجيب أن النظريات الفلسفية والعرفانية الدقيقة قد أثبتت أن آيات قل هو الله أحد والآيات الأولىٰ من سورة الحديد هي الذروة النهائية للتوحيد والمعرفة .

وواقع الأمر هو خلاف ما يدّعيه البعض ، فإن طرح مباحث الفلسفة الإلهية من قبل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وتفسيرهم وتوضيحهم لهذه المباحث خاصة في نهج البلاغة ، قد أدىٰ إلىٰ أن يصبح العقل الشيعي منذ البداية عقلاً فلسفياً وليس ذلك بدعةً في الإسلام ، فهو الطريق الذي هدىٰ القرآن الكريم المسلمين إليه وهو الطريق الذي بيّن حقائقَهُ الأئمة الأطهار (عليهم السلام) اتباعاً لتعاليم القرآن وتفسيراً له ، وإن كان هناك من



تأنيب أو تقريع فهو موجّه إلىٰ الذين لم يسلكوا هذا الطريق وضيعوا وسيلة الوصول . . . » .

ثانياً : وبعد أن يوضح الأستاذ الشهيد حقيقة أن الحكمة (والفلسفة الإسلامية) ـ وخلافاً لما يدعيه الجهلة والمغرضون ـ لم تستورد من اليونان ولا غيرها بل هي حكمةٌ إلهيةٌ إيمانية تُبيّنُ فيها براهين أصول دين الإسلام ومعارف القرآن العقلية بأفضل بيان ، بعد ذلك خطا (رحمة الله عليه) الخطوة الثانية التي سعىٰ فيها إلىٰ إكمال ثمرة الخطوة الأولىٰ ، وتبيان أنّ الميراث الفلسفي للمسلمين الذي تكامل طوال القرون والأعصار يختلف كثيراً عما لدىٰ الأقوام الأخرىٰ اختلافاً جوهرياً وأساسياً ، وإذا كان هذا الميراث قد أخذ أو اقتبس شيئاً من الآخرين ، فمن نوع اقتباس الموجود الحي النشط الذي ينتفع ـ خلال نموه ـ من جميع ما حوله من سائر الإمكانات التي يرىٰ فيها موادَّ أوليّة تساعد علىٰ نموّه وظهور وتفجّر طاقاته الذاتية لا أن يصطبغ بلونها .

الأستاذ كان يستدلُّ علىٰ أن لازمة التكامل هو الاستقلال المضطرد عن

المحيط والتسلط المتنامي عليه والتأثير المستمر فيه ، فالموجود المتكامل هو الذي ينتفع بالوسط المحيط به لكنه لا يصطبغ بصبغته ، بل إنه يستندَ إلىٰ قواه وطاقاته الذاتية ، فتعامله مع ما يحيط به يكون تعاملاً فعّالاً بنّاءً مؤثراً في الوسط وليس تعاملاً انفعالياً متأثراً مخرّباً ، والمصاديق الكاملة لهذا النمط من التعامل نجده في سلوكيات وحياة أولياء الله ، ونقيض ذلك نجده في سلوكيات الذين خرجوا من دائرة الإنسانية وظهروا بسلوكية الحيوانات ، الطائفة الأولىٰ نجدهم قد تركوا أقوىٰ التأثيرات في محيطهم وأوجدوا أفضل التغييرات فيه لكنهم ورغم انتفاعهم بإمكانات محيطهم لم يتلوثوا بسلبياته وخبائثه وكأنهم يخوضوا البحر دون أن يبتلّوا .

أما الطائفة الثانية فقد خضعوا لتأثيرات محيطهم الخارجي إلىٰ درجةٍ فقدوا معها استقلاليتهم بدرجةٍ كاملة ، يتلونون بلونٍ ما كل حين ، ويسعون إلىٰ التلوّن بألوان الآخرين فراراً من فضيحة فقدان الشخصية المستقلة .

لقد نجحت العلوم العقلية الإسلامية ـ واعتماداً علىٰ قدراتها الذاتية ـ في مواجهة الثقافات القوية للشرق والغرب ، والحفاظ علىٰ هويتها الإسلامية النقية ، بل واستطاعت الانتفاع بإنجازات الآخرين الجيدة وجذبها وهضم العناصر الإيجابية في آراء الآخرين وتوسيعها وتنضيجها ، وفي الوقت نفسه حفظ الصبغة الإلهية وزيادة تألقها وتجليها وهي ضمانة وحدة الفلسفة الإسلامية وقوامها وعلّة دوامها .

وبملاحظة أن الفلسفة هي معرفةٌ عالميةٌ وليست حكراً علىٰ قوم ما قام حكماء المسلمين ـ وإضافة إلىٰ طرحهم مسائل فلسفية جديدةً لم يسبقهم إليها أحدٌ وقد توصلوا إلىٰ سبل حلٍّ عميقة بديعة لها ـ ، قاموا بغربلة المسائل الفلسفية القديمة ونقدها وتحسين براهينها وتكميلها وأبطلوا في بعض الموارد الاستنتاجات غير الصحيحة للسابقين وقدموا بدلاً عنها استنتاجات جديدة متينة قوية ، وبعد إجراء كل هذه المراحل من الغربلة والنقد سمحوا لها بالورود إلىٰ

دائرة الحكمة الإسلامية .

يقول الأستاذ المطهري حول مسائل الفلسفة الإسلامية :

« حسب دراستي لها من الوجهة التأريخية تصنف مسائل الفلسفة الإسلامية ضمن أربعة أقسام :

١ ـ المسائل التي بقيت على صورتها الأولى ـ تقريباً ـ والتي تُرجمت إليها ، فاحتفظت بصورتها دون تصرف ولا تغيير ولا إكمال .

٢ ـ المسائل التي أكملها فلاسفة الإسلام بصورة قوّت أسسها والبرهنة عليها ، كأن غيّروا براهينها أو أضافوا إليها براهين أخرى ، ومعلومٌ أن لتكثير البراهين قيمة كبرى في الفلسفة وخلافاً للرياضيات .

في الرياضيات يعتبر تكثير البراهين نوعاً من التفنن الفكري كالذي فعله الخواجه نصير الدين الطوسي والآخرون في شرح « تحرير إقليدس » ، حيث برهنوا على المسألة بطرق مختلفة ؛ ولكن بساطة مفاهيم الرياضيات تجعل الأذهان تقنع ببرهان مقنع واحدٍ عليها ، أما في الفلسفة فالأمر يختلف ، إذ إنّ طرق إثبات مسائلها أشبه بالطرق الوعرة والمنعطفات ، فلبعض الأذهان يسهل العبور من طريق ويتعذر من طريق آخر ، من هنا فإن لتكثير البراهين والاستدلالات قيمة كبيرة في مسائل الفلسفة .

٣ ـ المسائل التي وإن احتفظت بعناوينها القديمة إلا أن مضمونها ومحتواها قد تغيّر بالكامل وأصبح شيئاً آخر ؛ فالذي تم إثباته وتأييده في مرحلة الفلسفة الإسلامية هو غير ذلك الشيء الذي يحمل الاسم والعنوان نفسيهما في الفلسفات القديمة .

٤ ـ المسائل التي تحمل اسماً وعنواناً جديدين ، بمعنى أنها لم تكن مطروحة أساساً قبل الإسلام ، وطرحت في العالم الإسلامي » .

وإضافة إلىٰ تصرفهم وتصحيحهم وإدخالهم آراءً مبتكرة كثيرة علىٰ مسائل الفلسفة العامة ، قام حكماء المسلمين بتغيير الشكل الظاهري لهذه المسائل ونظموا ورتّبوا مطالبها ورتبوا لها أبواباً وفصولاً وفروعاً في الكتب الفلسفية وأخرجوها بصورة أكثر وأفضل تنظيماً من جهة الترتيب المنطقي وأسهل منهجية في التعلم .

ومن بين تلك الأقسام الأربعة للمسائل الفلسفية فإن التي تشكل العمود الفقري للفلسفة الإسلامية ـ حسب تعبير الأستاذ الشهيد ـ هي المسائل المستحدثة وليدةُ نبوغ وإبداع حكماء المسلمين الذي لا نظير له ، وهذه الطائفة من المسائل الفلسفية هي التي شكلت عماد وأساس الكثير من المسائل الفلسفية الأخرىٰ ؛ وبعض هذه المسائل المبتكرة هي كما يحددها الأستاذ (رحمة الله عليه) :

« قضايا الوجود الأساسية ؛ يعني أصالة الوجود ، وحدة الوجود ، الوجود الذهني ، أحكام العدم ، امتناع إعادة المعدوم ، وكذلك مسألة الجعل ، ملاك احتياج الشيء إلىٰ علّة ، اعتبارات الماهية ، المعقولات الفلسفية الثانية ، بعضٌ من أقسام التقدم ، أقسام الحدوث ، أنواع الضرورات ، والمحاولات (الامتناعات) والإمكان ، بعضٌ من أقسام الوحدة والكثرة ، الحركة الجوهرية تجرد النفس الحيوانية ، التجرد البرزخي للنفس الإنسانية إضافةً إلىٰ التجرد العقلي ، جسمانية حدوث النفس وروحانية بقائها ، الفاعلية بالتسخير ، وحدة النفس والبدن ، نوع تركيب المادة ، صورة الوحدة في كثرة قوىٰ النفس ، عودة ارتباط المعلول بالعلة وفق إضافة إشراقية ، المعاد الجسماني البرزخي ، البعد الرابع للزمان قاعدة بسيط الحقيقة ، العلم البسيط الإجمالي في عين الكشف التفصيلي .

وأما في المنطق ، فهناك تقسيم العلم إلىٰ تصورٍ وتصديق ويبدو أن هذا التقسيم تم للمرة الأولىٰ علىٰ يد الفارابي ، وهناك القضايا الاعتبارية ، تقسيم القضية إلىٰ خارجية وذهنية وحقيقية وهو من أهم المسائل المنطقية وأكثرها قيمة وقد تم للمرة الأولىٰ علىٰ يد أبي علي بن سينا ، تكثير الموجّهات الذي أثمره التعمق والتحقيق في « القضية المطلقة » لأرسطو ، فمثلاً طرح القضية العرفية العامة التي ذكر الخواجه نصير الدين الطوسي أنّ أول من عنونها هو فخر الدين الرازي ، وكذلك الحال مع تقسيم القياس إلىٰ اقتراني واستثنائي وكذلك مع تبيان أن نقيض القضية المركبة الجزئية هي القضية الحملية مرددة المحمول ، خلافاً لما توهمه القدماء من أن نقيضها هي القضية المنفصلة المانعة الخلو المركبة من نقيضي الجزءين الأساسيين ، تبيان نوع آخر من عكس النقيض غير النوع المعروف ، التفكيك بين القضية السالبة الطرف عن القضية المعدولة الطرف » .

ومفهومٌ أن هذا الفهرس الذي يقدمه الأستاذ إنما يوضح قسماً من المسائل التي استحدثتها الفلسفة الإسلامية ، وهو نموذج يوضحُ ضخامة الجهود التي بذلها حكماء المسلمين المبدعين حيث طرح كلّ منهم بدوره مسائل متعددة في الحكمة الإسلامية ، وأبرزهم المرحوم الملا صدر المتألهين الشيرازي الذي ابتكر وحده عشرات المسائل الفلسفية الجديدة التي لم يطرح حتىٰ اسمها إلىٰ زمانه .

ثالثاً : وضمن دفاعه عن تطوير العمل العقلي ومعارضته الجمود الذهني والتيارات التي تجمد عمل العقل ، كان المرحوم المطهري يسعىٰ إلىٰ فتح أبواب الاجتهاد الدؤوب في مجال تقديم الحلول للمسائل المستحدثة، استناداً إلىٰ المعلومات والعلوم الموجودة، وحلٍّ المعضلات الجديدة في مختلف شؤون الحياة الفكرية للمسلمين، ويشجّع علىٰ إجراء التحقيقات الفكرية العميقة .

في مقالة حملت عنوان (حق العقل في الاجتهاد) يقول (رحمة الله

عليه) :

« . . . إن العلم هو مفتاح الدين ، فإطار المعارف والمقررات والأحكام الإسلامية واسع يشمل مختلف شؤون الحياة الإنسانية ، ومعلومٌ أننا نستطيع الانتفاع أكثر من فيض التعاليم الإسلامية في كل قسمٍ من شؤون الحياة الإنسانية عندما نكون عارفين بالأصول العلمية المتعلقة بهذا القسم .

لو كان الاطلاع علىٰ اللغة العربية كافياً في فهم الدين لكان أي من عوام العرب يفهم من المعارف الدينية بالمقدار نفسه الذي يفهمه الحكيم الإلهي . . .

. . . نظراً لكون أن الأحكام الإسلامية شملت كافة شؤون حياة المجتمع الإنساني ، وهي أحكام وتعاليم تستند إلى الحكمة وليست عبثيةً وهذا ما يقتضيه أصل « العدل » المعروف ، من هنا فإننا نكون أقدر على فهم وإدراك لغة الوحي الإلهي ، من خلال مطالعة واقعيات وحقائق تلك التعاليم التي سُجّلت على مدى قرون طويلة بصورة علوم مدوّنة . . .

. . . هناك مقررات وأحكام في الإسلام ترتبط بصورة أو بأخرىٰ بالاقتصاد أو الاجتماع أو الحكم أو السياسة ، وقد اتضح الآن أنها مقررات يقينية وقواعد ثابتة حتمية التأثير ، ومع وضوح هذه الحقيقة فكيف يمكن لأحد أن يدّعي القدرة علىٰ إدراك مقاصد الإسلام وأهدافه تجاه هذه المجالات ، بدون معرفة تلك الأصول والقواعد ، فضلاً عن ادعاء القدرة علىٰ تبليغها للعالمين باعتبارها أسمىٰ التعاليم الاجتماعية .

ولو استطاع أحد العوام الذي لم يعرف شيئاً من الفلسفة الإلهية أن يفهم الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد والمعارف الربوبية بمستوىٰ فهم الفيلسوف الإلهي نفسه ، العارف بالأصول والمبادىء العقلية ، لاستطاع عندها جاهلٌ أن يفهم آراء الإسلام تجاه القضايا الاجتماعية بالصورة نفسها التي يفهمها عالمٌ

اجتماعي متخصص » .

رابعاً : لقد سعىٰ المرحوم المطهري إلىٰ الحيلولة دون تكرار مأساة الجمود علىٰ الآراء الفلسفية لصدر المتألهين الشيرازي واعتبار فلسفته بأنها الفلسفة الإسلامية ولا فلسفة بعدها .

ولتحقيق هذه الغاية سعىٰ الأستاذ المطهري إلىٰ التأكيد علىٰ أهمية التحقيقات والنشاطات العقلية والخوض والتعمق في المعارف الإسلامية وأفكار وآراء سائر المدارس الأخرىٰ ، كما كان يشجع كثيراً علىٰ التفكير النقدي والدراسة التحقيقية الناقدة لآراء المتقدمين .

في العالم الغربي ومع استقرار حاكمية الكنيسة في القرون الوسطىٰ ورواج الأفكار التي طرحها رعاة الكنيسة باعتبارها تمثل الديانة المسيحية ، ظهرت حالةٌ من التوجه للفلسفة للاستعانة بها للدفاع عن آراء رعاة الكنيسة ومحتويات الإنجيل ومواجهة الأفكار المعارضة للمسيحية .

وعلىٰ مدىٰ قرون عدة كان المسيحيون يستعينون بآراء أفلاطون للبرهنة علىٰ عقائدهم ، لكنهم شيئاً فشيئاً أعرضوا عنها عندما اتضح تناقض النظام الأفلاطوني مع الأفكار المسيحية ، فتوجهوا إلىٰ آراء « أرسطو » التي بدأت تصل إليهم عبر ترجمة مؤلفاته في القرن الثاني عشر الميلادي وكذلك من خلال الشروح التي كتبها الفلاسفة المسلمون علىٰ آراء « أرسطو » .

وقد استطاع كبار مفكري المسيحية من أمثال « ألبرت كبير » و « سن توماس أكونياس » من الربط بذكاء بين فلسفة أرسطو وبين العقائد المسيحية بحيث استطاعوا جعل آراء أرسطو مسيطرة على العالم المسيحي وأصبحت آراؤه حجة ومخالفتها مخالفة للمسيحية .

ولو كان مفكرو المسيحية إلىٰ ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي يسعون للبرهنة علىٰ انسجام عقائدها مع الأصول العقلية ، فإنهم بعد هذا القرن الذي

شهد سيطرة آراء أرسطو على العالم الغربي ، أخذوا يسعون للبرهنة على انسجام عقائد المسيحية مع آراء أرسطو ، وتطور وانتشر هذا الاتجاه بين المسيحيين إلىٰ درجة أصدر معها « البابا لويس الثالث عشر » دستوراً أصبحت بموجبه « فلسفة سن توماس أكونياس » ـ وهي أفضل شروح آراء أرسطو في العالم الغربي ـ « الفلسفة الرسمية الصحيحة الوحيدة » ، وأصبح تدريسها أمراً إلزامياً في المدارس الكاثوليكية كافة وأصبحت لنصوص (سن توماس) في شرح نصوص الانجيل حجية الإنجيل نفسه بل أكثر ، حتىٰ أصبح انتقادها علامة لعدم الإيمان والارتداد عن الدين ، ومازال الأمر علىٰ هذا المنوال بين المسيحيين الكاثوليك وقد لاحظنا كيف أن الفيلسوف « راسل » تعرض لتلك الاعتراضات والاحتجاجات العنيفة كلها من قبل المسيحيين ، واتهموه بالسعي لإضعاف الأصول الدينية ، وكل ذلك لأنه انتقد بعض آراء أرسطو خلال برنامج إذاعي .

وعلىٰ أي حالٍ ، فقد أدّىٰ جعل فلسفة أرسطو الفلسفة الرسمية في العالم المسيحي وحصر حق تفسير نصوص الانجيل بها ، إلىٰ تجميد الفكر المسيحي بالكامل ، إذ إن أي فلسفة تظل حيّة مثمرةً ما دامت تتعرض للنقد والتفسيرات المتنوعة وما دامت تستطيع مواجهة الأفكار القوية التي تنبري لنقدها ومهاجمتها ، وكذلك ما دامت قادرة علىٰ التوسع والتكامل والنمو من خلال إجراء الجرح والتعديل والاستجابة للصور المتغيرة بحكم تغيرات الزمان، مع الحفاظ علىٰ أصولها ومبادئها الثابتة ، أما عندما يصبح نقدها أمراً ممنوعاً ، وينحصر الرد علىٰ المنتقد باستخدام العصا والإبعاد ، وعندما يُدعىٰ العوام إلىٰ التقليد الأعمىٰ لها ويُمنعون من التفكير ، فإن من اليقين أن الشك سيتسلل إلىٰ اعتقادات اتباعها وستنهدم أركان الإيمان بها ، ولن يبقى منها سوىٰ الأثر التاريخي لا أكثر .

وقد شاهدنا في التاريخ الإسلامي أنه وبعد رواج أفكار الأشاعرة ـ بين

أهل السنة ـ وإبعاد المعتزلة عن ميادين الفكر والسياسة ، ظهرت علائم بارزة لضعف الحياة الفكرية ، وتأخر نضوج المعارف العقلية وتطورها وكانت النتيجة هي خفوت شعلة هذه المعارف بينهم ، علىٰ الرغم من الجهود التي بذلها بعض علمائهم للحيلولة دون ذلك ، وهذا الأمر أدىٰ إلىٰ تلك المواقف الانفعالية الضعيفة التي واجه بها مفكرو عامة المسلمين هجوم الحضارة الغربية علىٰ ديارهم ، وحتىٰ تلك الثلة من المفكرين المسلمين التي أدركت عظمة أخطار الهجوم الحضاري الغربي لم تستطع مع الأسف ـ بسبب فقدانها الإمكانات الفكرية القوية ـ تشكيل سدٍّ منيعٍ في مواجهة هذا السيل العارم .

أما في العالم الشيعي ، فلم يتمكن هذا التيار التجميدي التحجيري من الظهور بالقوة التي تسيطر علىٰ الحركة الفكرية وتجمّدها ، وسر ذلك يرجع إلىٰ الارتباط بأئمة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) فهؤلاء هم أكبر الدعاة إلىٰ الفكر النقدي ، والمشجعون علىٰ تطوير وتنمية الجانب العقلي ، والمانعون الرافضون للتعصب الأعمىٰ والتقليد الجاهلي .

لقد أصبحت الروح الاجتهادية وخاصية التفقه بمعناها العميق المعبّر عن البصيرة بالحقائق وتجاوز ظواهر الأمور إلىٰ بواطنها ، أصبحت طبيعة ثانيةً في هؤلاء العظماء ، وكانت ثمرة كل ذلك أن لا نجد بين مفكري هذه المدرسة من يدّعي أن فهمه وتفسيره للنصوص هو وحده التفسير المعتبر والحقيقي ، وسائر التفاسير غير صحيحة ، أو أن آراءه هي فقط المنسجمة مع حقائق عالم الوجود .

إن ظهور منهجية السير والسلوك العرفاني بين الشيعة ، وتعاملهم الفعّال النشط مع المسائل الفلسفية الحكمية ، وانتفاعهم من كنوز المعرفة العظيمة لأهل البيت (عليهم السلام) ، قد أدىٰ إلىٰ نمو وترعرع العلوم العقلية بينهم وتطورها بصورة محيّرة ، فترسخت بهمّة مفكريها شجرة المعرفة وامتدت جذورها وتكاثرت فروعها .

وقد استمر تيار السلوك الفكري إلىٰ القرن الحادي عشر الهجري ، حيث ظهر الحكيم المتألّه الأستاذ الملا صدر الدين الشيرازي (رضوان الله تعالىٰ عليه) وعلىٰ عهد هذا النابغة وببركة نبوغه الإعجازي امتزجت فروع المعرفة المختلفة من عرفان وتصوّف وفلسفة وعلم كلام وغيرها ، وشكلت في بوتقة واحدة فلسفةً فريدةً هي التي سُمّيت « الحكمة المتعالية » ، وقد اقترنَ ظهور هذه الفلسفة المتطورة التي تضم ذرىٰ المعارف الإسلامية السامية ، ببدء مرحلة التخلف المادي والمعنوي للمسلمين وضمور الحركة الفكرية بينهم ، وقد أدّىٰ هذا التزامن إلىٰ إيجاد ظاهرتين هما :

أ : توهم بعض المفكرين والمثقفين أن الفلسفة الإسلامية قد وصلت إلىٰ ذروة تكاملها ، فلا سبيل بعد ذلك إلىٰ إبداعات جديدة ، وهي فقدت القدرة علىٰ إعطاء ثمرات جديدة ، لأن ظهور « الحكمة المتعالية » قد نقل عملياً جميع أقسام المعارف التي تشكل بالقوة دائرة الفلسفة الإسلامية إلىٰ مرحلة الفعل ، فلا إمكانية بعد ذلك إلىٰ تصور توسّعها وتكاملها ونموها ، واستناداً إلىٰ هذا أعلن أولئك المفكرون أن أي شكلٍ من أشكال النمو والتوسع والتكامل في الفلسفة الإسلامية أصبح أمراً محالاً منطقياً ، أي أنهم في الحقيقة أعلنوا نهاية تاريخ الفلسفة الإسلامية بلغة واضحة يفهمها الجميع[1] .

---

(١) لا يخفىٰ أن إعلان وصول الفلسفة الإسلامية إلى نهايتها ليس أمراً جديداً، وقد صدرَ هذا الخطأ في السابق من قبل المستشرقين المتسرعين الذين لم تسنح لهم فرصة التعمق في آراء الفلاسفة المسلمين ، أو من المستشرقين المغرضين الذين سعوا علىٰ الدوام إلىٰ التعتيم علىٰ الحقيقة .

فإلىٰ فترة قريبة كانت معظم كتب تاريخ الفلسفة الاسلامية التي ألفها الغربيون، تصرح بأن الفلسفة الاسلامية قد بلغت نهايتها علىٰ عهد ابن رشد الذي شرح آراء أرسطو ، أو علىٰ عهد ابن سينا، وأن من تلاهما من فلاسفة المسلمين لم يقوموا بأكثر من شرح آراء السابقين لهم فلم يأتوا بجديد، =

ب : أما الظاهرة الثانية فهي النزوع إلىٰ تثبيت فلسفة « الحكمة المتعالية » باعتبارها الفلسفة الرسمية للدين الإسلامي ، وبعبارة أخرىٰ تكرار التجربة نفسهاالمرة للعالم المسيحي تجاه جعل فلسفة أرسطو وشرح (سن توماس آكونياس) لها ، الفلسفة الرسمية للمسيحية .

ولقد حارب الأستاذ الشهيد المرحوم المطهري كلا هاتين الظاهرتين بطريقة جذرية ، وبأسلوب ذكي مبتّكر أصاب عدة أهداف بحجر واحد ، فردّ علىٰ أصحاب كلا الاتجاهين المتقدمين ، بل وغيرهما من المعارضين لكل تفكير فلسفي ، والرافضين للاستفادة من وسيلة الفلسفة في فهم الحقائق وكشف الأسرار ودحض ادعاءات المدعين ، وقد أنجز الأستاذ المطهري هذه المهمة ، بجدارة كاملة ونجاح تام .

نقلاً عن مجلة سروش

= وإذا أردنا أن نحسن الظن بالغربيين فإن هذا القول نتيجة جهلهم بالمسار التكاملي للفلسفة الإسلامية خاصة في ايران، ولكن حسن الظن بالمستشرقين فيه الكثير من السذاجة والبساطة.

الفهرس